

كولن ولسون

راسبوتين وسقوط القيامة

ترجمة: مالت فايلر البديوي



الكتاب
للكتاب

الكتاب

كولن ولسون

راسبوتين وسقوط القيامة

ترجمة: مالت فايز البديري



مكتبة المجتمع العلمي
الطبعة الأولى
١٩٩٤م - ١٤١٤هـ

الأهلية
للطباعة والنشر

المطبعة الأهلية العامة - مكة المكرمة - ٢٢٧٧ - هاتف: ٥٤١٨٨
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الترجمة

يزعت أسطورة واسبوتين مع قيام الثورة البلشفية عام ١٩١٧. فقد عاد (البيدور) حيث الخطى إلى روسيا وطبع كتابه (الشیطان المقدس). وفيه وصف واسبوتين بالسكير المحتال الذي غلبت سطوته التزارينا المستيرية والقبصر الضعيف. ثم أصدر (جنارلس اوميا) كتابه عام ١٩١٨ الذي هو معلومات مختلفة من ألفها إلى يائها وفيه يقول أنه التقى شخصاً مقرباً لراسبوتين أعطاه جميع التفاصيل السرية للمغامرات الشيقة لهذا الدون جوان الصوفي اللفظ والذي قال فيه أحد المرضى العصبيين أنه تراق ليفدو مازارين (وهو الكاردينال جول مازارين، رجل دولة فرنسي ١٦٠٢ - ١٦٦١) له الفضل في إنهاء حرب الثلاثين عاماً والحصول على مقاطعة (الفروند) وقرض معاهدة البيرنيه على إسبانيا). إن عطف الشيعة في كتاب اوميا قد جاءت في الفصل الثالث منه وفيه يقول أن عاشق التزارينا الأمير أو قد تلقى أسراً من جيون من الكروستادت بمفادرة البلاد ثم وجد بعد ذلك مبعثاً في فندق القمامرة. وأعمال كهذه هي أنها سبب لخلق أسطورة واسبوتين. وكثير من رموز التاريخ الحديث قد طمسها أسطورتها وتغير من لنا فيه آية (ي. اي. لورنس).

وفي بريطانيا والولايات المتحدة تصدر قائمة المجرمين (سيد المموض) وليام لي كوكس الذي أعاد في استغلاله شخصية راسبوتين وأصدر بعد مقتله ثلاثة كتب في ثلاث سنوات أفضلها انتظر الى ما يمكن أن نسميه به (الحقيقة). ثم أثر أن يشبع رغبة العالم المتعطشة لمعرفة شيء من راسبوتين فأصدر رواية أسمها به (الراسبوتينية في لندن) وهي عرض لخرقة شهوانية ابتدعها راسبوتين.

وقد كتب (الدوس هكنلي) - وهو أحد أعضاء الكونغرس الأمريكي - بعد قراءته كتاب (فولوب ميلر) الموسوم به (الشیطان المقدس) مقالة قارن فيها بطريقة مستهجة بين القديس (فرانسيس) من آسيا وبين راسبوتين. وفيها يقول: «إن راسبوتين قد نهج في أفعاله ما تنادي به الماديء الخبيثة المرتبطة بالوصية (السابعة) - بيد أن راسبوتين اقتصر لعزة النفس التي جعلت من فرانسيس شديد التمسك بمبادئه الميحية فنأى بنفسه (أي فرانسيس) عن قول أنه فاعل ما لا يفعله سواه البشر ودعا لذلك للنجاة عن طريق الخطيئة.

إن السؤال الأكثر إلحاحاً عن راسبوتين هو السؤال الذي لا يستطيع أحد الجواب عليه - فهو انتهاء للتأريخ الرومي الذي يمنح امتداده للمعامل بعض الشرعية. فذلك غارحيب قد أدرك مرة أن أغلب الرجال يفتخرون للمصير لأنهم يفتخرون للحقيقة العميقة فباتوا عرضة لقوانين الصدفة. والامتنان بحاجة لجهد جبار كي يطور جوهر ما سيكون مصيره. وبقرائنا مسيرة حياة راسبوتين سندرك أنه امتلك ذلك الجوهر فيما وقع القصر وعائلته ضحية لقوانين الصدفة.

إن ما نسميه اليوم به (ثورة أكتوبر) هي احتلاء البلاشفة منصة الحكم بعد

أن طردوا منها الرومانيوفيين. فالأمر إذاً ليس إلا تغييراً في الوجود. فالثورة الفعلية قد تمت بدورها منذ أصدر ستولين مرسوم (الأرض) عام ١٩٠٦. ومساواة ظل نيقولا في عرشه أم ولاء كانت شروط المرسوم ستكتمل بحلول عام ١٩٢٠. وكما يقول شارك: «لم يكن للبلاشفة دوراً في إسقاط القيصرية» ويقول «الانبيستا»: «إن تغيير الحكم هو أن تغير ربيعة عتق الرجل الذي تنب لك جييك». لقد وجد الشعب الروسي الشمن حل حاسبه أن غير ليقولوا به «سالتين». فالثورة لم تكن وجهاً جديداً لتغير التأريخ الرومي بل وصلة مستمرة للثلاثة سنة خلت.

أسأل الله أن أكون قد وفقت في عملي الترجمي لرواية وجدتها تستحق نقلها للقاريء العربي لما احتوته بين سطورها من غزارة معلومة فكرية وتأريخية وأدبية ...

والله ولي التوفيق.

المترجم

مالك فاضل البديري

ابطال الكتاب

برنيس اندرويكوف: متآمر شاذ جنسيا أصبح لفترة وجيزة ضابط العلاقات العامة لراسبوتين.

بولابي او سارنفا: رفيق راسبوتين في شبابه، أصبح بعدا اسقفا لتوبولسك.

بيلينسكي: رئيس الشرطة تحت امرة عفوستوف (ابن الأخ)

اليزايت: الغرائقة وهي شقيقة - التزارينا-

كلياريد: معلم التزاريفتش

الكولوفونين: الام والبث كن تعليمات لراسبوتين

كوسميكن: رجعي تافه أصبح رئيسا للوزراء مرتين

كوشكوف: رئيس سابق للدوما كانت التزارينا تبغضه

هيرسوجن: اسقف ساراتوف وهو احد اعوان راسبوتين في البداية ثم أصبح فيما بعد عدوه اللدود.

عفوستوف: (ابن الأخ): المطلق، اللليل لراسبوتين أصبح بعدا وزيرا للداخلية

ابليودور: قسا أصبح لاحقا الد اخلاء راسبوتين

جون من الكوونستانت: قس مقدس وهو احد اهلوان راسبوتين في بداية حياته في بطرسبورغ

كرونيوسكي: عضو يساري في الدوما اصبح بعدها قائدا للحكومة بعد الثورة في اذار ١٩١٧.

كوكوفيتشيف: وزير المالية اصبح بعدها رئيسا للوزراء وهو عدوا لراسبوتين.

اولغا لوكنين: تلميذة راسبوتين عرفت لتعليمها اياه القراءة والكتابة.

ماناسفيتش ماتيلوف: ميتر وجميل سري وهو مستشار راسبوتين في احواله.

المونتكريات: الفراندوق ميليتسا واناستازيا (واناستازيا هي ستانا ولا يجب خلطها مع الابنة الصغرى النزار) وهن المسؤولات عن احضار راسبوتين لمدينة القديس بطرسبورغ.

ادميرال نيلوف: موظف في البلاط وهو صديق لراسبوتين

الفراندوق نيكولا: زوج اناستازيا (اقرأ الصفحات الخاصة بالمونتكريات) واصبح لاحقا القائد الامل للقوات المسلحة في الجيش وهو عدو لراسبوتين.

الفراندوق بيتر: زوج ميليتسا.

الطبيب فيليب (وكنتيه شاختوف من تيزير): وهو اعمه جلبه ميليتسا لمدينة بطرسبورغ.

بلاهيف: رئيس الشرطة ووزير الداخلية.

بولياتوف: وزير للحرب بعد طرد سوخومالينوف

بروتوبوف: شخص تافه جعله راسبوتين وزيرا للداخلية.

بوريشكفيتش: عضو يساري في الدوما وهو عدو راسبوتين وقتله في النهاية.

ساريا راسبوتين: ابنة راسبوتين مولودة في عام ١٨٩٨.

رودزيانكو: رئيس الدوما وهو الد اعداء راسبوتين

الفراندوق سيرجيوس: محافظ قانس لموسكو وهو زوج اليزابيث قتل بقتلة.

سيماوفيتش: مدير احوال راسبوتين ومكترتيره.

سترومر: متآمر رجعي اصبح لاحقا رئيسا للوزراء بفضل راسبوتين وماينلوف.

سوخومالينوف: وزير الحرب طرد من منصبه عام ١٩١٥ لعدم كفاءته.

الاسقف يشوفان: احد اهلوان راسبوتين في البداية.

النزار: نيقولا الثاني

النزارينا: اليكسندرا، وهي المانية المولدة وحفيذة الملكة فكتوريا، واليكسا سابقة لميس - دارماتانت.

النزارفيتش: اليكسر (ويختصر اسمه عادة لاليكسي) ابن النزار وزوجته ولد في آب من عام ١٩٠٤ واعتُبل في تموز من عام ١٩١٨ وقد كان يعاني من نزف الدم الوراثي.

(أولغا، تاتيانا، ماري، اناسازيا) بناتها ومن ذوات عظيمة.

أنا فيروبو: موضع ثقة واعتزاز التزارينا منذ عام ١٩٠٥.

سيرجيوسوف: أول رئيس للوزراء أصبح لاحقاً صديقاً لراسبوتين.

برنس يوسيفوف: شاب ثري لعوب وهو قاتل لراسبوتين.

تمهيد

عجزت أغلب رموز التاريخ الحديث أن تثير عن شخصها هذا الكم الهائل من الأدب الحسي واللاواعي كما أثاره كريكوري راسبوتين. لقد كتب عنه أكثر من مائة كتاب ولكنها لم ترتق جميعاً إلى مستوى القبول كعرض سليم لشخصيته.

يقول السيد إن مورفين في إحدى كتاباته: «لقد تعرض كريكوري يوسيفوف لراسبوتين للشسوية واللاتقيم في الأربعين سنة التي تلت وفاته حتى باتت الإحساس به كما ينبغي أمراً حسيّاً وهو نظير الشسوية الذي تعرض له ريتشارد النجلترا الثالث وقبصر يوركا الإيطالي. فلقد عد شيراً بل هو الخلاصة الحاصلة للوقاحة ونسبت إليه حيلة (اياكو) وقوة (كاليان). ليس فيه من حسنات الحاصل شيئاً فكان قليل الاختصال كرهه الراححة وإذا ما جلس أمام المائدة تجده وقد غطس يديه في طبق حساء السمك المفضل لديه، كان سكيراً أو عليه السكر لحظم الذي أمامه، بلذيه اللسان حاجناً وفسوقه ببربراً حوله إلى وحش كاسر أكثر منه إنساناً». يقول رودزيانكو- أحد أعيان (دوما): «في جمعني كم كبير لرسائل أرسلتها أمهات قتيات تعرضن لحك العرض على يد هذا السافط الصلف».

إن السيد مورفيد كاتب تاريخي واقعي غير متحيز لكنه هنا وبعد اعترافه بأن راسبوتين الحقيقي قد اخفقت أسطوره بين جوانبها، يعمل على إعادة تنظيم عناصر هذه الأسطورة. فليس من رواية غير قابلة للنقاش: لقد أورد بعض الكتاب شخف راسبوتين بالحمام البخاري فليس من المعقول إذا أن يكون كرهه الراححة. أما وصفه راسبوتين غاطساً يديه في طبق حساء السمك فقد ورد أصلاً

في كتاب غير موثوق بصحته لسياتوليتش، اذ تكرر ذكر هذا الوصف مراراً بيد
 أننا لم نجد انطباعاً أن أحداً لم يتناول قط حساءه بهذه الطريقة. أما بقية وصفه
 إنما هو صورة مزيفة وغير صحيحة البتة عن راسبوتين على أنه سكيراً، بربهاً
 ومختصياً: لقد سجلت ابنته ماريا التي عاشت معه في شارع بطرسبورغ سني
 إبداعه الأعظم قائلة أن أبها قد اسرف في الشرب في آخر سنة من حياته فقط ولم
 يقرب الفودكا المرة لكنه كان مغرماً في شرب الخمر المحلى ولقد كان في سني
 شبابه الأولى قادراً على شرب كميات كبيرة من هذا الشراب دون أن يتجلى عليه
 شيئاً. كان مولعاً بالجنس رغم أنه لم يتعشر في اتحاد رقة من سيدات لامعات
 وممثلات يقاسمته فراشه. كان روزيانكو أحد أعداء راسبوتين وهذا يفسر أن
 الأمهات ربما كتبن رسائل تحكي فقدان شرف بناتهن يتحريض منه. ربما كان
 راسبوتين قد أغرى قتيات صغيرات وربما لا ولكن في كل الاحوال لا يمكن
 الأخذ بكلام روزيانكو كدليل قاطع على ذلك.

تلك هي العقبة الكأداء التي تواجه كل من يحاول الكتابة عن راسبوتين
 فنحن نملك بين أيدينا كماً هائلاً من دلائل عنه، بيد أن التفتيح والتفصيل قد
 طغى على أغلبها بينما يبقى للرجع المادي الأساسي ضئيل. فقد جاءت الثورة بعد
 وفاته بقليل وأجلك مؤرخو الحكومة السوفياتية في اساطلة اللثام عن عيوب
 نيقولا الثاني أكثر من اهتمامهم بالبحث عن الأمانة التاريخية بينما افترقت معظم
 الكتب التي تناولت مسيرة حياته والمطبوعة خارج روسيا إلى الاستقلالية في الرأي
 وكانت عبارة عن مذكرات وخيصة مثيرة. استهلت دار تي فوجل جورجنسن
 اسداراتها (راسبوتين)، (المدرس)، (عاشق اللذات)، (للتأمر) والتي طبعت بعد
 وفاته بالعبارة التالية: * لم يكن راسبوتين اسمه الحقيقي: بل هو أصلاً كريكودي
 يغموفتش. ولد في قرية تدمي بيترونوفيسكوي. ٩٠. وثمة ملاحظة تلهل

الصفحة تبين أن كلمة (الراسبوتينية) تعني الفجور أو الخلاعة. بيد أن ابنته تنفي
 ذلك مشيرة أن راسبوتين كان اسمه الحقيقي، فقد أشارت ابنته أن كلمة
 راسبوتين لا تعني سوى (مفترق طرق) أو (شوكة طعام) وأن أكثر من نصف
 سكان قريته يعملون نفس الاسم لأن القرية تقع على مفترق بين (توبولسك) و
 (نيومين) وكما هو معروف لدى كل قاريء للادب الروسي أن (يغموفتش) هو
 بالطبع اسم العائلة وليس اسمه الأول، وأخيراً فإن قرية راسبوتين كانت تسمى
 (بوكروفيسكو) وليس (بوكروفيسكوي). ويتضح جلياً جفاً، حتى لكاتب
 مذكرات حبي بأن (جورجنسن) هذا قد استطاع أن يكسح عدداً هائلاً من
 المساطات المتعمدة في جملة الأولى، وهو برغم ذلك لم يكن سوى خدش بسيط
 مقارنة مع الكتب الأخرى التي ظهرت.

فالكتاب الذي يحمل بين طياته سطوراً تملؤها الكلمة الصادقة لم يظهر
 بعد، وعمل كهذا لا بد وأن تعترض سطوره ريشة كاتب يتكلم الروسية ليصبح
 باستطاعته البحث في كم الوثائق الأصلية واليوميات ورسائل العائلة الملكية
 والوثائق الأرشيفية للبويس السري وأن يسافر إلى سيبيريا الشالية باحثاً عن
 معلومات تخص حياة راسبوتين المبكرة.

أما الكتاب الذي بين أيدينا فهو محاولة لاهادة تقييم شخصية راسبوتين.
 بيد أن ذلك لا يعني أنني قد وضعت نصب عيني نية مسبقة في الدفاع عنه لأنني
 أشكك حتى في أهمية اخراج مثل هذه الكتب، سيما وأن محاولات عديدة سابقة
 لشبهة ساحته قد ظهرت لكنها لم تل من الأهمية مكاناً. إن وجه الاعتراض
 الوحيد للراهب الفاجر (مكراهاتكو) هو كونه لم يصل إلى نصف ما يستحق
 راسبوتين من اهتمام ذلك الرجل الذي فكر أن يكون راهباً ولما يزل في السادسة
 عشرة من عمره والذي أصبح واعظاً جوالاً حصنه قوى شافية غريبة حتى ظن

في نفسه صورة جديدة للمسيح. وإذا ما حاول القاريء أن يعبد امامه راسبوتين الحقيقي الذي غاب بين ظلال الكتب التي تحدثت عنه، تراه سرعان ما يندرك أن لمشكلة تكمن في اقتناص الجزء الجوهرى من حياته، جزءه ابعث من أن يوصف... انه جزء الانسان الحي. ونظم جميعاً ايضاً أن كبار الكتاب لم يتعثروا أن يتلقوا وراءهم تحاريم الحية. وأمانة شيلي الذي اذا ما شئت تحويل شعره الى سيرة فائية فلن نضيف سوى التزوير القليل لحقيقته الواقعية المعروفة لدينا مسبقاً. لكن راسبوتين لم يكن كاتباً عظيماً... ولم تكن مذكراته سوى شيء شبه الغصين الخارجي لبصلة (بيركينيت) حيث يتتاب المرء الشعور المزعج أن لها مفقود.

انه سوء الطالع الذي اتسبه للتاريخ، وفوق ذلك للتاريخ التأثير لآخر الملوك القياصرة. انه شخصية مثيرة حقاً وأكثر منها اثارة جنود التاريخ. ان للتاريخ اسلوبه في أن يحيط بالرجال الى الخضم... الى صورة ذات يدين فقط. انه عدو للموضوعية فحق لستيفن ديدلوس أن يصفه: «الكابوس الذي أحاول ان الحق منه...». وإذا نظرنا الى (كيركجارد) و (نيشه) و (هولدرلين) نراهم يفتنون وحيدين خارج حدود التاريخ، لقد يرفضوا بقايلتهم الشديدة بينما

(١١) كيركجارد (سورن) Kierkegaard (١٨١٣ - ١٨٥٥).

فيلسوف ولاهوتي دانماركي وصوفي. وهو أول الفلاسفة الوجوديين المعاصرين الخارجين على هيكل. وقد حلل الوجود في شيء من التشاؤمية. شدد فلسفته على الإيمان والفكر والحقيقة، وهو يندرك أن الزيادة الانسانية ذات الشفرة الحادة هي التي تقرر علاقة الانسان اللاتية بالله.

(١٢) نيشه (فريدريش) Nietzsche (١٨44 - ١٩٠٠).

فيلسوف ألماني أخذ بملذهب التطور وشر بالانسان الاصل (السيورمان) قائلاً أن الانسان الاصل يجب بلوغه وان البقاء للأصلح، وهو أحد مؤسسي العرقية الجرمانية، ومن كتبه التي تخلص فيها ما يدعى بـ (الزادة القوية): «نشأة الأنسأة وروح الموسيقى»، «هكذا تكلم زرادشت»، «المسار وظلمة»، «الزادة القوية».

(١٣) هولدرلين (فريدريش) Holderlin (١٧٧٠ - ١٨٤٣).

شاعر ألماني صاحب رواية (هيرون) والاشيد رائعة بلغت الوحي الرومانطيقي الى درجة الصوف.

طلعت الأصول غارقة في الظلام. لقد دخلوا التاريخ ولم يكونوا جزءاً منه. في هؤلاء الرجال شيء ما ضد التاريخ، فهم عرضة للزمن، للحادث والموت، لكن قبايلتهم الشديدة كانت تمثل مقاومتهم له، لذلك فقد اسميتهم في كتاب غير هذا بـ (اللامتئين) لانهم يحاولون الوقوف خارج التاريخ الذي يعرف الانسانية في اطار عجزها وقصورها وليس في اطار الاحتمالية.

ان الدين يطبعه نقيض التاريخ: لقد كان راسبوتين رجلاً مأخوذاً بالدين وكان آيماته الذاتي بالمسيح الباعث الآخري لديه لا الانغماس الجنسي او الرغبة بارتداء السلطة. بيد أن روسيا تحمل التاريخ كله فيها الحروب والمجازر والقتل والشوات والاعدامات. كتب ار. دي. شارل كاتالاً: «لقد طاردت (نيمز) (المة الانتقام لدى الاغريق) الثلاث وعشرين عاماً الاخيرة من حكم آخر القياصرة الرومانوفيين، ولن يستطيع اي قاريء للتاريخ أنى كان دقيقاً ان يشيع خياله سواء هذه الحقبة من الزمن او غيرها من حقب الماضي». هنا يعبر شارل عن هذا الشعور الذي يتتاب الفرد وهو يقرأ تاريخ روسيا، فهناك لحظات يبدو المرء فيها وكأنه (يتنفس روح التاريخ) ساحياً خيوطه لتحرك الشخص كما يفعل الأبحوز. لكن راسبوتين يمتلك ميزة اللامتئين الثالث ضد تأطير نفسه بروح الزمن الذي يفصل الانسان عن واقعه. ان جوهر ميزة اللامتئين تتجسد عند نيشه في عبارته: «كيف يصيح الانسان ما هو عليه». لقد جاهد راسبوتين طوال الاربعين سنة الاولى من حياته ليثال هذه الصيغة من الرقعية الداخلية فجنى بجهاده هذا قوى متميزة. نوعاً من الزعم الباطني اتاح له مقاومة تيار التاريخ.

بعدما قدم شارع بطرسبورغ ليجد نفسه في اعنف دولة لهذا الشياو جرفته نحو مصفط المياه حيث تطارد نيمز القياصرة. لقد خدمته قوته الداخلية كثيراً لكنه لم يكن قوياً للخدمة التي تمكنه من تنفيذ القياصرة او انقاذ نفسه من الموت.

كانت الملكة تدرك حقيقة الموقف فراسبوتين لم يكن فلاحاً احتضنت العائلة الملكة بل كان قلبهم وهذا ما يفسر قدرة راسبوتين على توبيخ القيصر وجعله مطيعاً كطفل وديع، وهو ما يفسر أيضاً رسائل الملكة اليه المقعمة بالتوسل وشعور بالخنوع:

«معلمي الحبيب الابدي، ايها المتقذ والناصح المخلص... أي ظلمة أعيشها بعيداً عنك، لقد خُنت بكون الروح واسترخاء الجسد في دفة جليتك. دعني أقبل يدك وألقي برأسي على كتفك المباركين. آه كم تعمرني السمادة حينها، إنني لا أنشد من الحياة غير أن أنام ابداً على حبلذك وبين ذراعبك... أي غبطة أعيشها وأنت قربي. أين أنت؟ أين ذهبت؟ عجل الي بخطوك فما عجل صبري، وسلواني أي أقرب خطاك...».

تبدو هذه الكلمات كأنها رسالة حب لكن تأثير راسبوتين عليها كان أقوى من وقع الحبيب على عشيقته فالجنس لن يكون سوى مضغاً لهذه الهيمة. لقد كان راسبوتين هو الواهب في تلك العلاقة، ولم يكن لديهم شيئاً ليهبوه إياه. كان يعلم انهم يسخرون منه النصيحة، وكان مطلبهم ذا وجهين: الاول يخص ضعفهم والاخر ملوكيتهم، وربما كان الاول قوياً جداً بيد ان راسبوتين كان قروياً يؤمن بالحق الالهي للملوك وهو ما جعل الرفض لديه مستحيلاً. إذ انتفضت حيويته سرات عديدة ضد النصيحة بالنفس... كان يفر منها لمرات عديدة وكان يعود بعد كل مرة ليعيد الكرة، وبعد عام ١٩١٠ تقريباً انبرى لدى شخصية راسبوتين عنصر جديد ليس من اليسير تحديد معالمه وربما يكون من الافضل التعبير عنه بالمصمت بدلاً من الكلمات... لقد قبل ان يدور في فلك هذا العنصر حتى نهاية المطاف وهذا يعني انه قبل بتدمير الذات. لقد اتضحت لديه معالم من الازدواجية منحتة احياناً سلاماً مضطرباً، سلام انسان يدرك انه وافق على

الارتكاب اشنع جريمة بحق نفسه. لم يتأكد قط هل ينجم عليه كيانه الباطني ان يدخل عن القياسرة ويتركهم يتخبطون بتفاعة التاريخ الذي تورطوا فيه. ايها الشفقة وشعور الواجب قد منعا ان يفعل ذلك. هنا تجلت شخصية اخرى بالكتابة لقيمه العميقة في نفسه: مأكرة وعيفة، موسومة عليها بصيات الماسوشية (تعذيب الذات). كان كمن ذهب الى دائن يرحم لديه اثنان كنز لا ياتي سوى ليرفضها. لقد انعكس ثقيله من قدر نفسه على نفسه حيث تستحيل هنا الشفقة الجريحة الى نوع من الماسوشية لديه. كان يدرك جيداً انه ذاهب الى حلفه وهذا ما تكشفه رسالته الاخيرة، وكان يعلم ايضاً ان نهايته مرتبطة بنهاية القياسرة، إذ اخبر القيصر ان موته يعني سقوط العرش. لقد ذكرت ابته ان اباه امس وبعد عام ١٩١٤ عصيباً، مشدوداً وبدأ يشرب الخمر وعندما اقترفت اجابها: «ولم لا افعل؟ انا رجل كياقي الرجال». ان راسبوتين الذي اعدم في باحة قصر يوسيف ليس براسبوتين الذي قدم شارع بطرسبورغ سنة ١٩٠٥... ذلك الـ (راسبوتين) الذي كان مدرجاً بأنه رجل ليس كياقي الرجال، راسبوتين الذي تعرفون بدأ يموت باسم البطيخ منذ عام ١٩١٠. ربما لاجل هذا لم يؤثر سيانيد يوسيف فيه فاضطروا للفضاء عليه يأسلحهم التاريخ.

اذن لم تكن حياة راسبوتين «تاريخياً» بل هي نزاع التاريخ نظيره الموضوعية. كان راسبوتين في عليه التي اعطاه في شارع بطرسبورغ (لاوكونا) حقله التاريخ. لكن جمع من كتب عن راسبوتين كان إما مؤرخاً أو صحفياً شخصياً. فليس من العجيب اذن ان يظهر راسبوتين في تلك الكتب (كصورة بركيت) (الحالة اللب... كان حيدق بحركة التاريخ، ويطرز المكر قوته الفائدة له. ان جوهر راسبوتين الحقيقي يكمن في ولعه بالدين وهذا هو المنفذ الوحيد للمواج الى دواخله.

بل هما حصيلتين للتخلف. فهناك بلدان لا يمت احدها للآخر صلة. مثل
أيرلندا والهند. يتفاسان هذه الصفات والتي بدأت بالزوال بعد قيام الثورة
الصناعية. وشهد القرن الحالي، وربما اعتداه من روسيا. إن الحرافقة الدينية
هي سمة لعالم تخلف البلدان وربما هي رد فعل للكل: انه التوق المأل به بالايهان
المعيق ضد حالة الخمول في هذه البلدان. وهنا نجد روسيا اقرب الى آسيا منها
الى اوروپا. فمسيحييتها الاغريقية الأرثوذكسية لها نفعة برؤية. اذ يلقب من
يفر ترك هائلته في البلدان البوذية ليصبح متولاً دينياً بال (تانهاجاتا)، وفي
روسيا يدهى (ستاروتيز) اي (حاجاً) . لقد اصبح راسبوتين (ستاروتيزاً) عندما بلغ
الثلاثين من العمر.

نمة مميزة اخرى في الروسي علينا ادراكها جيداً: فهو اذا ما امس رجل
دين فانه سلم بوجود الله. انه قوة خارجية. أما نظرية (جورج فوكس) القائلة
أن الله هو (الضياء الداخلي) فهي نظرية دخيلة لحامساً على الروسي. لقد تطلب
الاعتقاده في اوروپا. على رولة جديدة لله ثلاثة قرون بعد الثورة العلمانية لنيوتن
وعالميلو. لقد علم نيوتن الرجل الاوروي أن يتق بعقله فقط فخلق بلرة ثورة
لامرئية. ونيتشه أعلن موت الرب بعد ثلاثة قرون من ولادة هذه الفكرة في
اوروپا. لكن الرجل الروسي لم يكتسب بناتاً الثقة المطلقة بالعقل و (الضياء
الداخلي) . فهو يرى في الله سؤالاً ملحاً ما حياً. وفي هذا الاطار يروي
(بيردياف) كيفية انشائه الى فريق من المفكرين اعتاد الاجتماع في شارع
نطرسورغ في بداية هذا القرن. اذا اقترح احدكم احدى النقاشات حول
(ما وراء الطبيعة) الذهاب الى منازلهم بعد أن أسدل الليل سدوله لكن آخر
أحبابه قائلاً: « لا... لا يمكن أن نذهب الآن فنحن لم نقرر بعد فيما اذا كان الله
موجوداً! »

انه لمن المستحيل أن نتصور روسيا بقول غير مال كرادشت: « او لم
يسمع هذا بعد أن الله قد مات ٩٩. او أن يراهن بالحسابته بطريقة سارتز^(١) ان
مستاعرون عند دستوفسكي في (الشياطين) هو زرادشت روسيا ومزيد من الثقافة
الآن خارنه بتظيره اللاتني. مستافرون شاب غني اكتشف موت الرب لكن هذا
الاكتشاف لم ينجق لحرته الاحتفال (الداينيسي) - نسبة الى داينيس اله الحمر
عد الاغريق -، انه يجد العالم مفرقاً مجرداً والرب حاتب عنه ويرتكب الجرائم لا
لشيء سوى ليعصم ذاته ويحدث رد فعل اخلاقي، انه عاطفة تملكت حتى عظمه
ولا يبال من عقله اية متعة، ومن المستحيل ايضاً تصوره مفرقاً نفسه، كشيلي،
في دراسة الكيحياء او الاقتصاد السياسي. فاذا خاب الرب غدا العالم تغاضه، ما
من حلاوى للبحث في داخله عن معنى فعله الداخلي قد مات. وما الحياة له إلا
معتز طريق: اما قوة العاطفة أو انها ليست بشيء. والقوة تنجم عن حافظ
حارجي ولا يمكن له قط تصورها نشأ من الداخل. ان رد فعله لموت الرب هو
الانتحار.

لا مندوحة هنا من ادراك هذا لفهم ماهية الدين لدى راسبوتين. ان دين
اسبوتين لو قورن مع أي من رموز الدين الاوروبية العظيمة الشأن امثال
« مسكال » ولیم لوه سبوسان وكيركجارد لتجلى غير عقلاني بطريقة غريبة وهو

(١) سارتز (جان بول) Sartre (١٩٠٥ - ١٩٨٠). فيلسوف وناقذ وكتب لرسبي. تأثر
بطواهر هوسرل وهابدهر وعدا من أبرز رواد الوجودية للشاملة. وهو يقول أن الوجود
يحمده من الداب وأن الانسان مطلق الحرية في الاختيار. أبرز أعماله «الكائن والعدم»، «طرق
الحريية»، «الحداد»، و «الأيدي القدرة» لتجار فيما بعد الى بعض أفكار ماركس.

(٢) مسكال (اليسر) Pascal (١٦٢٣ - ١٦٦٢) فيلسوف وأديب ورياضي وفيزيائي
فرنسي. وضع المخطوط الرئيس لكتاب (الحواطر) في الدوع من الدين المسيحي.

(٣) سومان (جون هـ) Newman (١٨٠١ - ١٩٨٠) قس بروتستانتي انجليزي أحد
أعمام حركة النمو للوحدة المسحة انضم الى الكنيسة الكاثوليكية واصبح كاردينالاً

ثم ظهر في السنة التي تلت مقتل راسبوتين كشييان قصيران عنه كتب
في ١٩١٧ في "فوجيل جورجيس" وكتب الآخر جورج اوميا. يعترف فوجل
بأنه حسن بمراعاة انه انتهى معظم معلوماته من الصحف الروسية. وعليه فان
الكتاب برغم الاخطاء الجمة التي يتوقع أن تحص بها معظم صفحاته يكون قد
مفيد في امر تقديم صورة واقعية لرد فعل الصحافة الروسية حيال راسبوتين
امر كتاب اوميا وهو أول دراسة غير دقيقة تصل حد الوقاحة والالتصافية تجاه
الذين. فهو يبدأ بالادعاء ان الملكة استهلت فترة حكمها بتزويجها بعلاقة
مع شخص. وبدأ راسبوتين بظن خياله الغاء فيصل في ذكر تاريخ محددة
ومقتطفات مما نشرته الصحف لاسناد ادعائه.

كتاب الروائي وليم لوكوكس ثلاث كتب عن راسبوتين غير جديدة بالثقافة
مستال مني الشرح في الفصل الخاص بلحمه راسبوتين.

في عام ١٩٥٧ كتب هينس ليهان أحدث كتاب صدر عن راسبوتين بعنوان
"فديس أم شيطان؟" والحقاً نفس الاسلوب الصحفي اعياول
والذي وصفه، يبدأ الكتاب بالقول "في هذا العمل لبطل كل ما نشر
عن راسبوتين دعتاه على مطبوعات مركز الوثائق التاريخي في موسكو".
في ١٩٥٧ في الامم أن معظم معلوماته كانت من بنات اذكاره فهو يصف
كيف ضرب فلاحو القرية الشارون والد راسبوتين حتى الموت وكان
راسبوتين في السابعة عشر من العمر. منها تذكر مازيا راسبوتين بأن حداثا
ظهر مسووع أثناء اقامة والدها هناك اي عندما تحوز راسبوتين الاربعين
من عمره وعموماً يجزم وضع كتابه ليهان على كفة المساواة مع كتاب اوميا.

... فانك تراهي انك انت هذه... من غير... وحسنها طلب الامر...
معلوماته بمعلومات مصدر آخره وأخيراً أشير الى احدى التوارد الأدبية من
راسبوتين والتي هي آنذاك مقالاً عن قدرته في ابداع الاساطير انه كتاب
"راسبوتين" (كتاب عن راسبوتين يتحدث) والذي يدعي انه مؤلفه ان
روح راسبوتين قد املت عليه الكتاب من شفاه وسيط روحي وكان ذلك عام
١٩١٧ وفيه تظهر روح راسبوتين وكأنها قرأت كتاب فولوب ميلار وهو برود
من القصص حروفاً تقريباً كما يريد أيضاً بعض معتظيها وفي الجزء الثاني
من كتابه منادى روح راسبوتين لاسأول المثلث العظيم بمقتضى راسبوتين
في كتابه منادى روح راسبوتين لاسأول المثلث العظيم بمقتضى راسبوتين
وفي الختام يكفي مجرد ذكر كتابه
بعض الكتب عن راسبوتين للدلالة على شخصيته:-

راسبوتين... العوبة اليهود وودلف كومر.

راسبوتين والساء ريتيه فولوب ميلار

سيد الشيطان- التاريخ السري لحياة راسبوتين لوميا. وليم لوكوكس.

الراسبوتية في لندن لوكوكس (لم يذهب راسبوتين ابداً الى لندن).

راسبوتين، الزاهب والداه والمحرمة اوكنست ليكاليه

راسبوتين والفخر الدموي برنيس موراث.

راسبوتين، الغروي القوي اي. صيانوفيتش.

وهكذا سيدرك القاري ان الكتابة عن راسبوتين ما برحت تحد حيراً لها

برغم هذا الكم الهائل من المطبوعات التي تناولت حياته

الفصل الاول

الامكاني

من سبقه لا يردنا في قائلنا: المعنى الأرض الروسية من تصاريصها شيئاً
مع رحدة وعموض ولديها ارضها وسيريا. تلك الأرض الغنية
الاولى هي الحرة من ارضها التي تكفلت هذه الصفات فهي
الاهوار العظيمة: المياه الامور الياس والابواب. انهار قد تلتشى
من حدة شواطئها ولا تغف في عرضها، وفي طريق ملاحى لهادي
من المحيطات شاطئها قارص قد تعمل درجة الحرارة فيه الى اقل من الثلاثين
من الصفر. بيد أن هواء الحرف والساكن يجعل منه شتاءً طافاً. وصيفها قاس
من الارض ساهب حرارته حتى تبدو فيه السحب (سهوب سيبيريا) احبته
صحراء لاقعة لأرض قاحلة

شرقها عدة من مناطق حلية أما شمالها- حيث ولد راسوتين- فهو
من جهة اربعة سيات انتدرا ومساحات مبطنة مغطاة بطحلب الرنة وسات حراز

ليس مؤكداً بعد متى ولد راسوتين، لكن الأراء تتفق انه جاء اواخر عام
١٩١٠ في رومسكو وهي مدينة صغيرة واقعة في مقاطعة (تيرمين) قرب
رومسكو. عدت سيبيريا- مد رص (بغرض الكبير)- معطلاً ومتقن وبؤكد
الاحداث أن رومسكو قد اسماها الفضلون من أطلق صراخهم في سنة

١١١ المعنى الروسي: منشورات جيفرفري بليس للحدود، ١٩١٢

امرأة مجهولة حاملة مولود، انتزع راسبوتين منها المولود حال دحولها وقال لها:
«أرمي ذلك» وهل الفؤوس سقط منها مسلّس وأغمي على المرأة وهي في حالة
هستيرية.

ارتبطت إحدى مآثر راسبوتين الخالدة في طفولته بحصان مروق من
عُزَن حبوب فلاح فقير. اذ اجتمع أهل القرية لمناقشة الامر في بيت زميعهم
يعني راسبوتين، وكان كريكوري حينها مريضاً بالحمى وثائباً على فراش أو
أريكة في نفس غرفة المجتمعين. وفجأة نهض من فراشه وأشار الى أحد
الفلاحين قائلاً: «هذا هو السارق». احتق الرجل الذي كان أحد أترابه
الفلاحين واضطر والد راسبوتين لاسترضائه موضحاً أن الطفل قد غلبه الحمى
ولا يمكن أن نحمله مسؤولية قربه. لكن الشك ساور اثنين من الفلاحين لرد
عمل الرجل على اتهام كريكوري له فحملهما الفضول وحُب الاستطلاع على
ملاحقة الرجل حتى منزله فشاهداه من مكانها الخفي المظلم في عُزَن الحبوب
وهو يقود الجواد المروق خارجاً ليطلق مراحه لكن الفلاحان أمسا بالسارق
وضرباه بشدة وأهدا الجواد لصاحبه.

حلت الرزايا وما بلغ راسبوتين الثانية عشرة من العمر بمآثره فنوتت
والدته وأكلت الثيران معظم منزله. وذات يوم خرج راسبوتين برفقة شقيقه
لبعضاً على ضفة النهر فسقط شقيقه الى النهر وجرفه التيار، عندها غطس
كريكوري لانقاذته ونجح في إلقاء رأس أخيه فوق سطح الماء حتى أنقذهما فلاح
صالح. لكن ميشيل أسلم الروح في اليوم التالي اما بسبب التهاب رئوي أو بسبب
نهم في الجسجمة. تلا ذلك بزمان قصير سقوط شقيقته للمصابة بالصرع (كراين

(١) المولود: غطاء التروبي طويل مكسو بالقراد لتدفئة اليدين.

راسبوتين لاحقاً) في النهر عندما كانت تغسل الثياب وقرقت هي الأخرى ولم
يكن في المزرعة إلا راسبوتين وأباه.

حصل كريكوري في تلك الفترة على عمل كسائق عربنة لمتعهد في
(برولسك) - من الواضح أن أموال العائلة قد تناقصت كثيراً ولم يعد يكفي
راسبوتين مآلكاً للحياة. اشتمل عمل راسبوتين على نقل البضائع والمسافرين
أحياناً في جميع أنحاء سيبيريا. فيما أجبره السفر على البقاء أياماً عديدة بعيداً عن
المرل نائماً تحت عربته أو في محطة برهد صغيرة ليلاً. واكتشف آنذاك وما يبلغ
السادسة عشر عاماً، أنه جذاب للنساء. فقد أجمع كل من كتب عن سيرته الذاتية
على براعته الجنسية في صباه.

كتب السير برنارد بيرس قائلاً: «من المؤكد أن حبة الأمل عمت القرية
بأسرها للحرية الجنسية التي أجازها راسبوتين لنفسه». لقد اعتاد راسبوتين الا
بشرع في عمل الا ويكمله، وفيه مسحة غرور لازمه طوال حياته وربما أراد
لسمعه أن تكتسب صفتي القوة والمجون فالأهم لديه ان يفدو معروفاً يشار
اليه بالبنان. لكن الشك يشوب نجاحه في أغلب محاولاته تلك ان لم تكن
جيمها. يضاف لذلك أنه افتقر الى التهذيب في أساليه كما شهدت على ذلك
سيدات شارع بطرسبورغ، فعالمها يعجب بامرأة ما يبدأ في محاولة الاساك بها
وتفصيلها ثم بشرع في فتح أزرارها. وقد ظل أسلوبه هكذا مشيراً للاشمئزاز
والنفور حتى في فترات حياته التي تلت ذلك. كان مدركاً بأن له هيئة فروي
فيلسوف. وهو لم يكن ضعيف البنية وقد التقى بلا شك بكثير من القروبات في
محطات برهد بعيدة واللاتي لم يكن مبالاة لجزره.

لم يكن سعيداً راضياً برغم أن بوكروفسكو قرية جميلة امتلكت صفات

أعمال التي تمنح لساكني السعادة ومرغم إحسانه بالجاذبية لكونه صمكة كبيرة في
مرحلة صموية، وهو شعور يعزى لسيرة الآخرين له على أنه شخصية مربية (نصفه
أحد الأراء بأنه كان (رب القرية))، لكنه كان ابن زعيم القرية فمن غير
المعقول أن يكون الرفص الاجتماعي سبباً لصوره منها. وكان ذا شخصية
مردودة، فعنه كان فلاحاً رومياً لديه رغبة غير معقدة في التمتع والطعام، أما
الحيرة الأخرى فمشتتة من حبه للظهور ومن الكره الذي يعتابه من أكثر الفلاحين
هيبة ووفاراً ويشعر في أحيان أخرى بأنهم ليسوا بذوي شأن حتى يكرهوه،
كانت تقوده إرادة المكوث في بوكروفسكو.

حالت في رأسه فكرة واحدة مرات ومرات: أن يطلق سابقه ويطوف
العالم ويعيش جوالاً. لقد شاهد في مناسبات عديدة حجاجاً يمشون عبر قرية
في طريقهم إلى دير بعيد. لكن طبيعة عمله كسائق عربة وفرت له كماً لا بأس به
من الحرية وربما كان رافضاً من محر والده الذي بدت عليه تصرفات لا أخلاقية
منذ وفاة زوجته وطفليه.

اصطلم راسبوتين في سن السادسة عشرة بتوصيل شاب متصرف يدمى
ميليتي سابوريفسكي إلى دير (فريخوتور) على بعد مئة ميل تقريباً^(١). لقد تحدث
الشاب إلى راسبوتين وتأثر به. إذ كان راسبوتين متفتحاً بشوشاً ومتحدثاً لبقاً في
أيام رحلته العائلي فيما كان والده متديباً متعمقاً في الدين أمضى أسابيع طويلة
في قراءة (الكتاب المقدس) على هائلته والذي ابتاعه مع كتب أخرى قليلة مثل
«سيرة القديسين» وربما حياة (القس العربي الفاكروم)، وهو أول كتاب كلاسيكي

(١) أظن أنه كان في السادس عشرة حينها رغم أن معظم الكتاب قد أمضوا على سن أكثر من
ذلك. والسبب لكونه في الدير - لأن ابته قد ذكرت بأنه زار فريخوتور لأول مرة عندما كان في
السادس عشرة.

«الأدب الروسي» كتبه (المعلمون العاديين) - بل راسبوتين عارفاً تلك الكتب
التي لم يكن يطمح متديباً. ويرغم ذلك نظام حياة القديسين والشهداء دائماً يحفظ
أهم شاب يشعر بالكبت في حبه الأسري. تحدث معه سابوريفسكي من الدين
- «إننا نعيش راسبوتين اهتمام وحداني تحول إلى إثارة. ودون ريب أنه فصل على
«ويفسكي شيئاً عن حياته وعن معارفاته الجسدية وربما عن بعض الاعتقادات
التي كان ينبغي أن يتمكن براستطها من الحصول على دخل أصافي. وعليه جاء
«ويفسكي على البقاء بالدير ليقرأ بخطاياهم وليعبر جداً أن يصبح «منا
«منا هكذا حتى وصل فريخوتور بعد عدة أيام من المناقشات الحامية التي دارت
«ويفسكي. بلغ الدير على تلة فوق غير (التورا) وهو حارة من ساء أبيض في
وسط حجرة العنايات وإلى أسفل تقع القرية المحيطة بالكثبة التي تضم عظام
القديس (سيمون العادل). إن أسطورة القديس سيمون لما تقارب مع قصة
القديس (فرانسوا). فقد كان سيمون شاباً غنياً تحول عن ماله ليصبح راهباً،
ويستغفد أغلب الناس أن عظام القديس (سيمون) لما قدرة على الشفاء فعصاه
حجاجاً زواجا زلات.

ربما يكون العظم الرهباني الصائم قد أثار اشتياق راسبوتين إلا أن دير
«ويفسكي كان أشبه في أكثر جوانبه بيت في مرحلة، وحيث أن الكثبة تقع
وسط القرية فقد احتلظ القساوسة بحياة العامة اليومية، فهم روموا الأرض
ويستعدوا الناس في الريف المحاوره. لقد انقسموا إلى مجموعتين كان أحدهما أقرب
إلى السحان للأحر مما حدا براسبوتين العدول عن أن يصبح راهباً. وتلك هي
أحد راسبوتين التي شددت راسبوتين إليها. لقد اتضح لديه أن فريخوتور كانت
«معدة لأعضاء بعض الطوائف الفرطية التي كانت روماً مرتعاً لها. وأبرز تلك
الطوائف هي الحاخونية والكهنة (الذين - تحدث عنها لاحقاً بأسهاب).

بعد هذا أول فحاش لراسوتين مع تلك الطوائف الهرطقة التي حركت
منه الله كشفاً والتي تشكل أنشع الطائفة الخليسية العاشية المعصية منها في
(هــ جوتون) والذين يلقون أيضاً بالجلادين وهم ليس أمنوا بامكتبة بلوى
مأجور الرب على الأرض عن طريق الاختخاب. وقد تحدث إليهم راسوتين
ووجد دانه أمرت في ديهيم في مزاجي جديدة من الكنيسة الأرثوذكسية. فهو
قد وجد هناك - في أقل تقليد - العاطفة والايان الحقيقيين.

أحد راسوتين في ميرجوتور صديقاً آخر مع سابوريمكي يدهر ماكاروي
هو ناسك كبير معروف عاش في كوخ في طرف الغابات ويعد قراء (الاحوة
شمارساروف) لستوفسكي شخصية شديدة القرب من شخصية ماكاروي وهي
شخصية الأب (فيرايت) الواهب الذي يعيش بمعزل عن الآخرين في كوخ
منحد والذي نادراً ما يتحدث إلى أحد. إضافة إلى ذلك هو غير مطالب بتطق
قواعد الدير ويقبض دبستوفسكي فداً. اعتبره الكثير من الزوار قديماً
عظماً وزاهداً رغم يقينهم انه مجنون... بل ان جنونه هو الذي شدهم إليه.

لم يكن الناسك (ماكاروي) مجنوناً لكنه كان يتحتم نفس المكاة التي تمنع
بها الأب فيرايت. فقد كان أغلب الحجاج الذين للصلاة على العظام المقدسة
التي يس ميمون يطلبون منه البركة. وتأثر الناسك ماكاروي هو الآخر بشيء ما
في شخصية راسوتين وتبعه بتعلم الكتابة وتطوير قراءته.

متأثر راسوتين الدير بعد أربعة أشهر مكثه هناك وترك خلالها تأثيره
الذي من كثير من الناس - نسطع اقتراض هذا من مبالغ المال الكبيرة التي
أهديت إليه بعد مغادرته. وصل راسوتين في خاتمة رحلته إلى الدير. إلى
نفسه الشامة أن حياة الدير ليست بالبدل الأمل خيائه في القرية. لقد كان نواقاً

... والنعمة. لذا عادوا إلى ألام. حانة ومرة مرة ما. ويدعي والناسك
... وأعاد أوجهه إلى حيدته ألام. حانت. وف الله قنونه شاف وهو
... أحد راسوتين عمله القديم ناسك عرمة بعد أن حتى يدور عدله في
... أنما ان لا مكتبة للبره في حباته وعاد مطاردته لسات القوية
ومواولة أي نشاط غير قتولي تسمح له به ظروف عمله.

لكن تغييراً ما قد حدث دون أن يدرك راسوتين ما حدث. فحياة قرية
... وهو سكر ما بعد تنبع رغباته. فهي قرية صغيرة وأسلوب أفد من ال
... وألفه. وبعد ل الأدب الرومي للقرن التاسع عشر آيت لسط حياة ذلك
... حياها (سيمكي) و (نشخوف) و (سحرد) و (تولستوي) وأخفاً
... راسوتين الذي قدم أكثر الصور قوة في كتابه (ميليكي سي) و
... الصفقة والمقدان بوجزال باسميها أسلوب حياة مثل تلك الأماكن ال
... التي تنفق عليها جميعاً هي - العاه المظن المطوي على الحقد والتكر
... أهم عناصر الطبيعة الانسانية. ومع من العاطفة والوحشية
... لا مفعولاً مذبحاً للروح. ولما أن دبستوفسكي الذي ناشد
... راسوتين وصيا. سبي ال الفلاحين هم الذين قتلا اياه سحق شخصيته
التي يتركوا آثاراً على جسده) وتركوه ليحوت.

أصبح الذين من الوحشية والألق الضيق لكن العلاج الرومي ليس
... رغم ما قاله دبستوفسكي فيه. يقول المؤرخ كوستاماروف ولا
... المسيحية ارضاً أقل من روسيا ميلاً للحركات الدينية وأقل
... أن هذه الحركات لا تتجسم مع الطمع السارد للروسين في

(١١) الروحانيات الفلاح الروسي.

هكذا أمور، وفي تاريخنا شواهد كثيرة على ذلك. فنحن لا نسمع إلا الشكوى من احتلال عقل العاملين في الكنيسة، فضلاً عن لامبالاهم... وآخر ما يتوقعه المرء هو أن تسود اللامبالاة الدينية والاشفاق بين من يملكون زمام القيادة في الكنيسة^(١). أشار ستايوف في كتابه عن الاشتقاق الروسي أيضاً بقوله: «لقد بلغت اللامبالاة الروسية حيلال الدين حداً اضطر معه القيصران (ميثيل) و (اليكز) على إجبار الناس على الذهاب الى الكنيسة بمرسوم قضائي».

كما شهد كتاب آخرون باللامبالاة الروسية حيال الدين. فلروسيا اديرعما وأماكن حجبها ورجالها المقدسين، لكن اهتمام الفلاح الروسي البسيط بالدين لا يعطو بمقتال ذرة مقدار اهتمامه بالرياضيات.

لم يشغل الجو الأدبي في فيرخوتير حيز الاهتمام لدى راسبوتين، فوالده كان قارئاً للكتب المقدسة. بل انها الصراحة والصداقة والذكاء التي لم يكن قد عاشها من قبل وما هي الآن تشرق له.

إن كلمة (اللامتسي) ليست بالمفردة الأمثل لوصف طباع راسبوتين. ففوقها انها يصح على ضعيف الشخصية وعلى من هو عاجز عن التعايش مع الآخرين وكذلك على من يخدو تحت ظروف معينة وهذا لا يقل حفاوة عن الدين يراهم هو وتحت ظروف أخرى أوفاداً. أما راسبوتين فما كان قط انطوائياً، بل ان قدرته على التعبير الذاتي لم تعدها متفصلاً في قريته. وهنا اقترح (روبرت مرسيل) مفردة أخرى تتجلى أكثر ملامة لمنطق الرجال أمثال راسبوتين الا وهي «امكاني». فحياة الانسان تقتضي القبول بمسلمات معينة، وحتى أشد الشوار محمداً سيضع لحياته القبول والتوازن وكنين اساسيين. فإن تعاضلت ثائرتة

(١) ذكرت لي (المثليين الروس) للمؤلف فرديريك. سي. كويني دراسات هاروارد النظرية ١٩١٢.

أقصى أكثر حاجة للريكة صلة يقوم عليها في هدي عمله. وان نمرود من مثل هكذا دصامة فهو لا يعدو أن يكون مفاعاً بيد أن بعداً آخر للمساءلة لما يزل له. اما فكثير من بني البشر قد أحسوا تكيفاً للمجتمع الذين هم فيه ولبلوا العالم كما وجدوه. ونمط حياتهم ليس بحاجة الا للترسير من ذلك التكيف. وهم لا يتحدون في البحث في احتماليات الحياة ضالتهم فانتسبوا لذلك لعف الأغبيا والتوحشين من بني الأرض.

لقد تعرضع راسبوتين وسط أمثال ذلك الجمع من الناس ووجد في فيرخوتير وحيماً له، حتى هذا بين عشية وضحاها «امكاني» ومعه أضفى هذا الرقص المبهم سراً ملحاً كان فاتحة رغبة عارمة لسلخ كامل لشخصيته القديمة.

بيد أن كثيراً من تلك الشخصية ما انفكت تلازمه بعد مكوثه الأول في فيرخوتير. اذ سرعان ما تروط مع الشرطة نتيجة اختفاء أحد جياد العربا التي يحمل عليها بعد مغادرته الدبر بوقت قصير. وأثناء التحقيق وجدت الشرطة انه بعد التفشيش واحداً وعشرين روبلاً وهو مبلغ كبير لبايع في سن السادس عشره. لقد أوضح راسبوتين الأمر للشرطة بقوله أن المال الذي بحوزته هو هدية الدبر اليه وأن الجراد قد قُلت من طوله ليلاً وانزل في نهر عميق وغرق. فاعفي من التهمة المنسوبة اليه لعدم كفاية الأدلة.

لكن الحظ غادره في واقعة ثالثة عندما سرقوا من عربته حمل فراء وادهي ان قطاع طرق هاجره وسرقوا منه الفراء. حتى تجل بعد التحقيق أن السرقه تمت عندما ترك راسبوتين عربته في فترة انقبولة. وعليه حكموه بالجلد والحبس فترة قصيرة. كان هذا في مدينة تومسك في الرابع عشر من شباط عام ١٨٩١.

(١) الطول: حمل شد الى وقد ويطول للدابة فترعى مقبلة به.

سهر راسوتين لما بلغ التاسع عشر اطفالاً وبني في دير (اللاكسك) قرب بركرووسكو. فهو من ينتمون بالاحتمالات الدينية وأقصى طبقة حياته محبة للرفق والهدوء. وقد روى زواره في مشرع طرسورع أنهم سمعوه أنه كان يشرح أثناء حديثه في الدين وفحده يطلق بالهدوء وبهدوء بالرفق. وربما التقى راسوتين (راسكوفي فيدوروفنا وديروفيين) عندما كان يرفق في دير (اللاكسك). وراسكوفي فنانة من القرية المجاورة شفراف وبحيفة الغرام وكانت تذكره بأربع سنوات. ويرى أحد الكتاب أن راسوتين قرر الزواج منها لأنها رفضت أن تنهه عنها وهذا رأي لا يحسم شخصية راسوتين. أما الاحتمال الآخر خطأ فهو أن شخصية الفنانة كانت مفعلاً تماماً لشخصية فوجد فيها الروحانية المثالية. وهي العموم. تصف فتيات الريف الروسي بالبدانة والسمنة. أما هي فكانت شفراف وبحيفة الغرام وشديدة الاحجاب وبروحها وذات شخصية ضيقة. وسواء أكانت قد وهنت معها له. وهل الأغلب أنها فعلت ذلك. أم لا. فقد أحس راسوتين أنها ليست من التي يسهل محرم من فتروجها عدم ١٨٩٠ - في أوجع تقدير.

لما تصف الزواج يأتي الأمر شيئاً حقيقياً هل شخصية راسوتين فيها أناس له عمله كسائق حربة القلعة. مكبر من فتيات القرية. كما بدأ يعتني وقتاً أطول في شرب الخمر بصحة اثنين من أقرب أصدقائه وهما (بجركين) وآخر سمي (دورمان) الذي أصبح فيما بعد ويفصل مود راسوتين اسفلاً لتومولسك لم يكن راسوتين منذاً على الخمر. لكن حبيبته المفردة كانت بحاجة لسوء من السجود الذي لم يزل يملكت روحه معمره السائية باستسلام وطوعية وهو قول في حديق سنة يقيها العميق له لى يحرقها لامرأة أخرى. فهي صبيحة بيت رائحة مسطحة. برهن قبياسي. ادارة شقرون المروعة مساعدة والده الذي مر ناطقوه

وجود امرأة في المنزل مرة أخرى سبباً منه جعل في الشيب والفرط في الشرب

شهدت أواخر عام ١٨٩٠ حدثاً غير مجرى حياة راسوتين. فقد أصبح أباً. ولد له ووه حبيبته الابوي التي استطاع ذلك غير أن الرصد مات. سادس راسوتين الأب مكتم الحواس وعظم القلب. لقد عاش سادس في اضمحلال مسبقاً. لكنه لم يتوافق بذلك المرأة التي تدفقها مع حل سعادته. وسادس في حاشية طفولة سعيدة. كان وقع هذه الزوجة نفس ووه. سادس لم يحيط في مذهب فسادكون مجهولاً كمعظم والده. واج سادس في حياته حياة هبة (وما تعلمنا بقول هكذا أنه قرر الذهاب أولاً إلى لاسك. في السنة من معنى الموت) فأعاد الكهنة الطقوس وأعاد سادس في حياته حياة بلاعة وأقصى ذلك الشتاء بمره مكناً حل فراه المخطوطات. وشرع يصلي لاسك من رقبته ساعات طوال. هذا هو ذلك القدر. في السنة الجديدة وحالاً ما تحدثوا إليه حول. بربانه المديون من هذا سال سادس (المحاث من الرب) وهو ما أثار حفيظة في القرية (الأب بيتر) سبباً وأن الناس في السنة تخشعون حول سنة. وشرع ينظر عليهم المخطوطات المقدسة. وفيه انتهى أنه يشدح سببلاً جديدة للمخططة. لقد خبر القس راسوتين منذ سنوات سابقة كان يراه فيها ناقماً وماماً وأي شيء سبقه ذكر (لبرخونرو) لينبر من شكوكية القس حياله. فهي ليست سوى معتلاً للمغليسة التي لا تحلو شعائرها. أما كان شاعراً آنذاك؛ من اللهو والمربلة الجنسية. وهذا شك يعني أن راسوتين لم ينحل الدين إلا مسلماً لاغواء بنات القرية. خبر أن الأب بيتر لم يجرى بهرحم ذلك. ساكتاً. ثم حدث في ربيع تلك السنة شيء عجيب. لقد رأى راسوتين وهو يحرث أرضه صورة العذراء معلقة في السماء وتومي إليه بيدها. فوضع صابيحاً حست وأها ورجع يخبر أهله بما رأى. وقال أنها لم تكن تتردي الملاهي

التي احسدها ان يراها عندها في قلوبنا واحس انها كانت تحول الحديث اليه
لقد ترك الحديث في زوجته اثرأ فيها لم يكن له وقع على ابيه الذي قال ان
مريمسوي مات رحلاً في سبيل الله بفصل كسله، فقور واسوتين الذهب
واستشارة ماكارتي ثانية.

لم يكن جوهر الموضوع تلك الرويا التي قد تكون مجرد حلوسة. فهو قد
فهم الشتاء بطوله يعني وينهل من الدين ثغامة وهو رجل قوي الاحساس
بمهم الطفلة ودو قدرة على ان يخلق المنفعة لم ابدأ أو ان يجعل الحلو حراً من
شده. لقد احاطه نحه في الحياة فشرع بالحاجة للاقتلاب الحذري وهكذا بدأ
بحث عن حجة ليحضر بيته. كما آمن أيضاً أن الرويا، برغم شكوكنا حول
صحتها او انها حيلة اصطاده فيها عقله اللاواعي، هي اية من الساء. ويبدو
أن الخزن متناكري شاطره الرأي اذ احميه وأن الرب قد احتارك خذف جليل
فاندهب وصلي للعدلاء في دير (آفون) تشد من عزم قواك الروحانية. عاد
واسوتين ليخبر زوجته أنه قرر السفر في حج.

هكذا بدأ واسوتين في يوم ما من عام ١٨٩١ بمعية صديقه (بيجركين)
رحلة ايامي ميل صوب اليونان، وفيها ارتدى كلاهما ملابس الحج وكان
يطوفان ابواب اشراف القلايين ليلاً يسألان عن ركن في هذه الكوخ يسلمنا الليل
منه. طلاً هكذا لتحات أشهر في أقل تقدير - وهي فترة الرحلة - كان انطاع
من انقول عن جبل (الرس) باعثاً للأمل وكانت المجموعة التي تقطن دير
(الرس) من اقدم المحاميع الزهدية في اوروبا وفاتوا، شديد القوة وهذا ما حدا
بنا بيقه مسكرين أن يقدرو متعوقاً في الحال. فيما أصغت واسوتين تجربته في
البحر فوجدوا فكان أكثر حبيطة من رقيقه. لقد حده حذره، اد سرحان ما
الشفف ففبيحة أحالية داخل المدير قلت ومع الحزن لديه عاليه سافله كانت

في أمسية اضل معلومات اطاع من الرهبان طراد أن الساء محرم وهذا
البحر يضل أنتمس وعليه قرر ان يمشي وهذا قطع صوب الحدود دهرأ أن
البحر في الأرض مقدسة التي عطوني الوصول ليهما وكسوت رحله لا
مسانها من الف ميل عبر الأراضي التركية

لم تلغ بين ايدينا لشهد الاسف تفاصيل اول زيارته لسوريا والارون
التي سنة لاحقة له عام ١٩١٢ تركت لنا العديد من الملاحظات سجلت من
حلالها بصيات زيارة اخج عليه. لقد كتب واسوتين:-

ادفع تاليف في معبد القامة تمنح ملكة ليعيم وثقة صرح احمود
على صوب مه والده لرب صوب تل تلكوا تديف السماع حين مسجروا ملكة
من صوب ذلك اذا طردت الى السوم لأمطرت عيناك دسوعاً وقال الملك
أحد بدور أمام ناظريك تارة أخرى.

يا رب ابي صنع قد اترفوا! لقد نهوا جسده والقوه أرضاً. أي حزن
لهم وأي مهيل سمع وأب في المكان الذي أزلوا عليه احسده
الامر لم يحدث التي صارت له في ذلك خلاصاً لها فهل حبس من
الائم المرهدا

كتب واسوتين تلك الملاحظات وهو يدرك ما كتب وقد عثر عليها بعد
سنة وهي الملاحظات والصفحة لا لا تشبهما أي بروش وهي دلالة بقاء
الامر من حده دسوعاً وهو أعصابه ليس إلا دسوعاً دسوعاً دسوعاً
والامر على الامر (الامر) الرحمة الاخرة على حده مقدم الله لهم وصعد
والامر دسوعاً دسوعاً دسوعاً لاصفاً على العمود فعمل مع الرب انه انطاع
هذا حافة الكافرين).

عاد راسبوتين أدراجه لقبوته ومداراً في طريق العودة - (كازان) حيث
شاهد في كاتدرائتها صورة العذراء مرتدة الملابس ذاتها التي رآها فيها في الرواية
وقال : أن الخلع كانت مغلب السماء - (لقد أهدته زوجة القيصر في بعد
إيقونة لعذراء كازان ليحتضن دوماً بذكرى الرواية).

استغرقت رحلة راسبوتين أكثر من سنتين تغيرت فيها ملامحه كثيراً لدرجة
أن فشلت حتى زوجته في التعرف إليه أول وهلة - كما قرر راسبوتين أن يفاخرها
بأن تظهر أنه تاجر حبوب ، غير أنه عيبه وصوته فصحا صره - ثم حذر وصوله
الغداة فحرج أهليها لتحدث إلى (الحاج) الذي بدأ رحلته في الأرض
المقدسة قد أكسبته شدة القناعة إذ قطع في غضون سنتين أكثر من عشرة
آلاف ميل وهو أمر لم يمشاهه سكان القرية الذين ما عادوا حدود قربتهم قط
أهم لمسا - فنه تغيره هذا - لقد كنت دوماً مسموعاً في حديثه ودا هبة أن يجعل في
أفاته صدى - أما الآن فقد كسب عباءة نظرة ثقة زرعت في الناس الرية أنه ما
يفاء أدهمهم . وقد أكد ذلك الحقيقة كل من اتفاد ، فيها ذكرت أنه أن أباهما
كان قديراً أن يسمعت الحزن أو الغبطة عند الناس أي شيء ذلك ليس هذا
وحسب بل أنه اكتشف في ذاته قدرة على التوهم المضاطفي بخائب القدرة على
مخادعة وهما خصلتان مضافتان حداد - مع باقي خصاله الأخرى - مظلومي
ومنه أنه يكون أول نعبه لأنه - أولاً وقبل كل شيء - قد نشأ وتوخرع بينهم
وهم الأذى بمخافاته الجنسية وقترته التي أمضاها في السجن .

لم يزل راسبوتين الزراعة بعد هودته الثانية وأقام له بدلاً من ذلك مصل
وأحد يصل على ركنه لساعات طوال يومياً ، لكنه لم يصبح رهاً بمعنى الرهبة
الضعيفي وأثناء عباده - أنحت له زوجته طفلاً (على من يوبت صرع) وهي
حامل الآن بابنته الكبرى (ماريا) ثم أنجبت له بعد سنتين ابنة أخرى .

تشرع راسبوتين بعد جلسات الصلاة في منزله ما أن يقيم الظلام وقد
مع الأب ويرى هذا الأمر قد تمت شدة حول جلسة راسبوتين - فهي لا تـ
تـ من الغروب من مديراً - بل أن حضور جلسة صوم الرجال والساء بعد ما قطع
الشك أن راسبوتين كان يستوطن سمعة كرجل دين وأخوه الساء - إلا أن
بعد الرجل كان يعني أيضاً أن الجميع قد اشترك في شدة الظهور والعراء
من اندفاح الخليليني - وعنده تقدم الأب بتر شكوى لأشقف لدراسة
مدعية فيها أن راسبوتين هو أحد أعضاء الخلية .

الاشفاق الرومي :-

أضفى راسبوتين حداثاً نرجاله في ربيع - ومسا بعددات هيرطونية (عذراء)
- أنسول - ومسية - وعنده كان من الأهمية مكان الحديث عهد لهم روماً
راسبوتين وكذلك ومسا آخر القياصرة .

كانت قد ذكرت في غير هذا الموضع أن الصلاح الرومي لم يكن مظهراً
- مع أنه الحديث يستند فكري عن (علاقة الحب - بالأساس الرومي) - بل
في عدد منهم تأمل - كان هذا واقع أحيال حتى القرن السابع عشر حين أشعل
مع ذلك (يكون) - هو من أن صعب التزم في الشرحية الروسية ومعتاداً - كانت
- مع الاشفاق الرومي الذي لم تكن يسجد حروقة دينية - كما
الكوميكوز أو الصبحانيون) و (الشيوهون أو المهيجون) ، بل أنه أسفر عن حركة
التي - مع - في - حده حرم على - التي - كانت في - في -
والعوض في عشرات هذا القرن

كان (يكون مورديوف) فلاحاً كراسبوتين تحول إلى رجل دين عقب وفاة
أبوه - (يكون مورديوف) فلاحاً كراسبوتين تحول إلى رجل دين عقب وفاة

بات الرجل الأول والأخوى في الدولة الروسية. وعين بطريركاً عام ١٦٥٢ وعمل أثناء انشغال القيصر بحروب خارجية كوصي على العرش وحكم روسيا.

تغير ليكون بتمصبه وجبروته وقرور اجراء اصلاحات عديدة بالقوة على الكنيسة الروسية التي عانت آنذاك من الاعمال والتي كان لنفسها بين المجموع مكاناً متروياً أعطى لسكان القرية الحق أن يأمره بها شاءوا. وعليه حامل نيكون الفسقة بقلب غليظ وطلب منهم التجبل له وطاعته وإذا ما عُن أنهم أهملوا في واحباتهم أمر بتعذيبهم وسجنهم. كما قرر إعادة النظر في خدمة الكنيسة الروسية وفي كتاب صلاتها وكان هذا مجرد سفاعة، نذكر منها أنه أمر بتغيير طيف في نهضة (المسيح) وأصدر مرسوماً يقضي بإشارة المؤمنين بالصلب على صدورهم ثلاثة أصابع بدلاً من أصبعين، بالإضافة الى تغيرات عشوائية أخرى في كتب الصلاة بأن غير كلمة (المعبد) الى (كنيسة) والعكس صحيح.

لم تكن التغييرات التي اقترحها سبباً لولادة للمقاومة الكبرى ضده، بل أنهم مفتوا أن يستأيد عليهم من كان يوماً خبية. وقد أطلق المعارضون له على أنفسهم لقب (المؤمنون القداس). وبعد اثني عشر عاماً، فقد نيكون وبسبب مطونه تلك تقدير القيصر له والذي استدعى (افاكيم) - ألد أعداء نيكون - من معاه في ميرييا ليأخذ مكانه. إلا أن مكسباً لم يصب المؤمنون القداس من هذا التعمير فاستمر الصراع تتناقم مآبه بقية سنوات القرن وانتحر كثير من المؤمنين القداس كان انتحار بعضهم في أحيان معينة جماعياً برمي أنفسهم في أنون نار سحرية (وبمثل هذا المشهد تنهي أوروبا «ميسورجسكي» المساة «فانتشينا»).

لمحط من هذا الصراع الدامي نزوات هيفة لم تكن بالضرورة نزوات دينية. لقد تداخل حابل الدين بنابل السياسة في روسيا، فبات أقرب الى

اسجلت تلك الحفنة. ومع هذا ما زال الموت والاعدام الجماهيين والفسوة الشديدة جائمة على صدر روسيا ولدت معها معتقدات لم تكن موجودة في سابق عهدها. من هنا باتت الأرض الروسية بلاداً يشكل فيها الدين قضية أساسية وذات شكل واحد من المسيحية في الوقت حينه الذي كانت فيه الأرثوذكسية اليونانية القديمة هي الشائعة. وإذا، فقد ولد الانشقاق في الكنيسة الروسية أثراً لا يقل شئ. عن أثر الإصلاح في أوروبا، وظهرت بين عشية وضحاها طوائف كانت من بينها طائفتان شديدتي الارتباط ببعضهما البعض وهما الخليستية والسكرتيزية أو (التسولون) و (المشوهون).

لقد شيع أن الخليستية قد نشأت قبل عام ١٣٦٣ بوقت طويل، وهذا احتمال قائم لكن الانشقاق الكنسي الجديد قد أعطاها زهماً شديداً. وثمة نقاط شبه بينها وبين الطائفة المانوية القديمة التي تقسم العالم الى قسمين هما الروح والجسد. وتؤمن أن الروح هي الخير وأن الجسد يمثل منبع الشر. إلا أن أكثر خصائصها أهمية اعتقادها أن المسيح يبقى يعود الى الأرض كإنسان وهي تفهم (بعث المسيح) أن يبقى جسد المسيح في جده بينما تسكن روحه جداً آخر وتظل تشغل من حد لآخر على مدى القرون. وكان (افيرزهان) واحداً من أولئك (المسيح) الذين عادوا للأرض وقد صلبه (دبمتري دوفسكوي) في ساحة معركة «ويكوفو» عام ١٣٨٠. أما (المسيح) الآخر فكان (بييلجان) الذي قاسى العذاب تحت مطوة (ابن المرحب) استناداً الى ما جاء في كتاب (كارول جراس) الموسوم «(الطوائف الروسية) لكن أهم (مسيح) حاه هو (دانيال فلييوف) الذي كان لأنه يكون. فهو فلاح من قرية كوستوموزا، ترك الجيش وساند قضية (المؤمنون

١١ «المادة» طائفة ديهه أسها (حاي) الدامي (٢٢١٦ - ٢٢٧٦ م) وهي تدعو الى

الأيان بعقيدة وثية تؤامها الصراع بين النور والظلام.

(٢) صمركة كوليكوفو: هي معركة حاسمة والتي حرم بها دبمتري المولويين

اسود) أو أمأ وطفلاً ميتاً هذان من بخار الحوض. وأخيراً ينهار الجمع بعد أن يستنزف أفراد طاقاتهم ثم يخلدوا للنوم ساعت طوال. وهذه الطلوس غالباً ما تنفضي إلى اللهب المبريد بحلول الظلام. وهكذا تستذكر (وليام مرجنت) وشرحه في كتابه (معركة من أجل العقل) بطقوس للطوائف الحديثة الخاصة بمعالجة الألفى في أمريكا الجنوبية حين قال:

«ينجل مبوط الشبح المقدس في تلك الاجتماعات المحظورة على البيض حصورها بحدوث الاثارة المسمومة والارتعاشات الحديثة ثم الأرهاق النهائي فالأهباء. وتنتج مثل هذه الحالات المسيحية عن طريق الفناء الإيقاعي والتصفيق البدوي والأماك يتعابن صامعة حقيقة... ويبلغ العديد من الزوار على نحو غير متوقع - حالة الأهباء والاضطراب الداخلي. ويغض بين الجمع شاب يافع له هدف مبيت هو اغواء فتيات ثم (اتفاذهن) تراً. والحقيقة هي أن الكنت المتحفظ يفضي إلى انكار في الشخصية السوية تاركاً العقل عرضة لأشواط جديدة في السوكية. وتحوي الطائفة الخلية دون ريب كماً هائلاً من مثل هذه الأشياء»

لو اتفقا الرأي أن الخلية ترجع في نشأتها إلى بواكير القرن الرابع عشر فهي إذاً فرع من مسويفية فوضوية تطورت في ألمانيا خلال النصف الأخير من القرون الوسطى، والتي هي في الأساس ثورة ضد عقلانية وزهد الكنيسة. وطفلاً أساعها على أنفسهم اسم (اخوان الروح الحرة) ويشيرون إلى كل إنسان هو (الله) وأن كل حاضري عيف هو (وحي). فإذا ما تجامع رجل وامرأة في مذبح فيها ساجدين لله كما لو أنهما يصليان أو يأخذان (القربان المقدس). لقد أكلت روما فريسي من الرمن لقمع هذه العقيدة أن بلغت إلى القتل والتمنيب لأتباعها وديها ورضخت أصولها عندئذ إلى البلاد الروسية لأن في الشخصية الروسية حافظاً

صوباً خفياً.

أما (الكويترية) فهي تطور من الخلية وحي بنا الحديث عنها الآن لإزالة خلفية صورة الانشقاق الديني الروسي. لقد حكمت الخلية (مسيحية) الإنسان على أساس قدرته على تحمل الألم الجسدي. فقد صلب دانيال وإسكندر مرتين (استاداً إلى موروها التقليدي). فيما صلبوا ابنه وخليفته (إيفان سوملوف) ثلاث مرات (سواء بأمر اليكسز أو بأمر بطرس الكبير). وعذبه بالديد الحار حتى ملخرا منه جلده (نجحت هذه المرة عذراء في حل جلده وسمته إياه بعد قيامه من صلبه المرة الثالثة). توفي فيلويبرف سنة ١٧٠٠ وصعد - بعد نحو الساء - أما سوملوف الذي حل لواء دعوة سلفه إلى موسكو وأقام حله هناك بأن رفض البقاء ميتاً فقد توفي بعد ثلاثة أعوام.

عرفت الخلية بعد سبعين سنة سيدة جلييلة تدمي (أوكولينا إيفانوفنا) والمعروفة باسم (أم الإله). أدركت هذه السيدة أن (المسيحية) تنقسم في رحل اسمه (إيفانوف) ويعمل باسم (كوندرازي سيليفانوف) وبات هو مؤسس الكويترية. لقد ذهب سيليفانوف في تنسكه أبعد من الخلية كثيراً معلناً أن كل الرجال تخضبة أنفسهم وعلى النساء قطع نهودهن (أن اسطنطن تحمل ذلك) وشبه أعضاء من التناسلية. فأخصى نفسه بالديد الحار في بواكير عقده الخامس أي بعد وقت قصير من اعتراف (أم الإله) به (ابنها الروحي). ثم أدمى أنه قد أخصى نفسه وعمره أربعة عشر عاماً وهو ادعاء رفضه حتى أنبأه... في ذلك الوقت كان من يترفع على عرش روسيا (كاثوليكين العظيمة) التي قتلت أو... موت على قتل زوجها (بيتر الثالث) وهذا ما أوقعها في مأرق كبير. إذ أدمى... سيليفانوف أنه بيتر الثالث تلاء (يوكاشيف) ولم يفصله عن النجاح في تمردة إلا... بطاً رغبياً أوقعه في الأسر واقتادوه إلى موسكو حيث نفذوا فيه حكم الإعدام

التكلم) وفيها يذخغ الرجال النساء بهدف أحداث نشوة دينية قد نسب أحياناً حالة إجهاد قصوى تنتهي بالموت. وبعد من مات في حال كهذا عظوظاً لأنه بلغ (الحلاص). وما يذكر (ب. ز. كولديرج) العديد من الطوائف التي تفشت فيها حالات الاتجار والتي يبدو أنها ذات صلة بالسكوترية. فقد أسس - إيان حكم الكسندر الثاني - فرقة مماثلة وقاد أتباعه إلى كهف حيث بدأوا عملية التشويه. فأصاب الدهر امرأتين وانهارتا قبل إتمام العملية، بعدها ماضى شوكين على أتباعه أن يقتل أحدهما الآخر قبل وصول الشرطة. بدأوا بقتل الأطفال أولاً ثم النساء ولم تجرد الشرطة حين وصولها سوى شوكين واثنين من أتباعه أحياء. قد تبدو هذه الأقاصيص متناقضة والرأي المزعوم أن الرومي غير متدين بالفطرة. لكنها في واقع الأمر ليست سوى واحدة من المفارقات التي تترسخ بها الشخصية الرومية.

ولا يبدو أن الفلاح الرومي الذي جسده (تشيخوف وكوركي وسولوكب) بقادر على الإيمان العميق - شأنه في هذا شأن الفلاح النورمندي^(١) الذي جسده (موباسان) حتى ليشاء المرء أن جميع دوافعهم قد ملكتها المادة. وهذا هو السبب الذي يمكن وراء تصديقهم بالمذابح المتطرفة. فروحيتهم

(١) نورمان Normands : أهل الشمال. اسم أطلق على غزاة الفايكنج القادمين بالبحر من سكندنبيا والذين تغلبوا على أوروبا منذ القرن الثامن. احتل منهم السويديون وادي دنيبر وسمولك وكيبف. بلغوا القسطنطينية في القرن التاسع. استمر النورمانيون شمال اسكتلندا وأيرلندا. واستنفر النصارى من شمال شرق إنجلترا. ثم انتظموا على شكل مصليات من الصراصة وشكلوا أساطيل مبعثرة من زوارق كثيرة. نزلوا من مدافع الأبر إلى مملكة الألمانج وسحب معاهدة ٩١١ على ثم (شارل الثالث) من المناطقة التي حلت اسمهم (نورمانديا) في شمال غربي فرنسا على الأطلسي. اعتنقوا المسيحية واهتفوا بسلطة شارل الثالث ثم فتحوا إنجلترا في القرن الحادي عشر.

(٢) موباسان (غي دو) Maupassant : (١٨٥٠ - ١٨٩٣). أديب فرنسي له روايات واقعية تصف حياة الفرويين منها (كرة اللحم) و (الامة فيني).

ليست سوى رد فعل عنيف لغيب الحق حياتهم.

وراسبوتين واحد من هذه المفارقات. فاعتقاده الديني كان كاملاً ومخلصاً. ثم هذا نجد روحيته تتناقض مع الروحانية الروسية التقليدية. فهي لا تملك الشرة للاستسلام ولا الرغبة الجارفة للاستشهاد والتي كانت آنذاك الفكرة السائدة لدى القديس الروسي بدءاً من نيودوسوز. لقد آمن بمملكة الروح أمام الأبدان لكنه لم يجر العالم وهذا أمر يصعب على الغربي فهمه لأنه يضع العالم والروح في مقصورتين مختلفتين. فهنا يقف (روبرت بيرنر) بينما يقف على الجانب الآخر القديس فرانسز من «إيس» (في إيطاليا) يتوسطهما الغربي غير مصدق أن الاثنين سيحتلان جسداً واحداً. أما فهم راسبوتين فيستند شرطاً على الاعتراف أنه يملك عناصر كلا الطرفين ولن يجد صحوة في الجمع بينهما.

تعليق:-

قد تؤكد الملاحظات التالية التي أوردها (جوهانز تول) في كتابه (الموت ادمود) الافتراض أن الخليقة ربما نشأت عن «أخوان الروح الحرة» -

تمثل الراحة النفسية الوضعية. في الكنائس الفرنسية. المشاهد الجنسية في أحد لوحة حصية في كاتدرائية (التي) تصور لوطيين في حالة اتصال جنسي. إذ كانت اللوحة منشرة في أحرار من ألمانيا أيضاً امتداداً إلى سجلات محاكمات (البيكراديين والبيكرين) في القرن الرابع عشر لا سيما في اعترافات أخوان (ههار والبيوت) من (بون) والمحموعة في مخطوطات كيريمسوالد. تشير هذه الاعترافات إلى أن طائفة (أخوان العقل الحرة) لم تعتبر اللواط أثماً

بصاف عليه شاةً فإذا ما رعب أحد الاحوان بممارسه اللواطه مع رجل آخر فلا
خرج عليه من ذلك، بل هو لن يكون (احاً) حقيقياً ان لم يفعل ذلك

وتقرأ في مخطوطة (منشئة) (نسبة الى عاصمة) :-

« عدم بدهب أفراد هذه الطائفة للاعتراف وسماح المراهظه، فان الواظظ
مسحذ من ربههم أجهل فتاة ويفعل فيها ما يشاء ثم تطفأ الأتوار ويقع بعضهم
حل ببعض. رجل يختار رجلاً وامرأة تختار امرأة وكليهما اتفقوا وتؤمن هذه
الطائفة أن حل الرجال أجمعين رؤية كيف تعتصب روجه واسنه مأم عبية لظنها
أن لا أحد قادر على ارتكاب الاثم قبل أن يراه في خاصته.

ونمة مذاهب أخرى تبيع صراح القريس حتى لو حدث ذلك في المنبح.
والس من حق أحد الاعتراض على حقيقة أن المسيح مارس الجنس. عندما قام
من الموت، مع مريم المجدلية. وكل ذلك أدلة على فساد وتحلل الأفكار
والخلق السامع عن الالابا العظيمة سيما تلك التي حدثت عام ١٣٤٨. (يؤكد
البحث الروسي أن اول ظهور لطائفة الخبيستية في روسيا كان في ذلك العام
الذي)

الفصل الثاني

«الجوال»

كانت دعوة (راسبوتين) أن الاثم ضروري للحلاص من أكثر العقاص
من الكتب هذه الدعوة لديها ايض (جورج سافا) في كتابه (راسبوتين)
الذي يقول فيه «ان ما احدثكم به انها هم نقل صدق لكلمات لهها
شرح راسبوتين :-

«عظم من تعدد في المسيح من اتباع الطائفة الخبيستية هو (دييف) الذي
كان مدبراً تماماً الذي احرق شريعة الإنسان بداسي اعلم «ا
اوحائي به الاله، وطلبه لأن من رتت معي من النساء لأشد إرضاء للرب من
الذي هو من اعاصي. لقد حلل الرب في واحد حدي وهو الذي
اركب خطيئة الجسد فهو إذن من سيففر الذنب، وسيقبل الرب ثوبة من حط
شاه عبر خطيئته واتا ادلتك الالئك النسوة اللاتي ضحين بطهارتهن من اجل
حتى لا يتعاليين بفخافة عفتن واي شيء يأتيك به الاثم سيحمل من العرة ذلة
وهاته»

الحمد راسبوتين استنادا الى قول سافا من هذا المبدأ مذهبا له :-

«قال الانساوسة والرهبان تدفعهم غيرهم على سلطانهم اني نذرت

بالعبادة الإلهية لأقيم العريضة الشيطانية في الغابات. لقد أكدوا ان الفتيات (وهن شقيقاتي) قد استسلمن لمغازاتي فأضرم النيران من اغصان الأشجار ووقعن حولها متغنيات بالتراتيل. انه وقد بلغت في قولي هذا الحد اصابوا الحفيظة، بيد اهم تنامسوا صرختي في الجمع من فوق السن النيران :- «لتحط خطاياكم من شأنكم اولم تجربوا اجسادكم وتقتلوا نباهيكم يا مبهيكيم من غزي؟».

ويبدو ان ووح راسبوتين قد نست أن له شقيقة واحدة وانها غرقت قبل بلوغه من الرشد.

ان الإنجيل الذي بشر به راسبوتين في قرية بوكروفسكو كان وبلا ريب. اقل اثاره من هذا. فليس هناك من مصدر واقعي موثوق به يذكر ان راسبوتين اهد استقاد الروح من خلال الخطيئة. ومن الواضح ان مخترع حكاية الميريدات الجسية هو قس القرية الأب بيتر الذي قدم شكوى لأسقف توبولسك وطلب من الشرطة التحقيق في اجتماعات راسبوتين للصلاة. وتأكد بعض عملي الأسقف. الذي اعجب بشقوى راسبوتين. من صحة الشكوى ووجدوا مباديء مدعاه أحسن من أن يعلوها الشك. وشنت الشرطة ايضا حارتين مفاجتين على اجتماعاته تلك ساعة الى مباحثة شعائر خليسية لكنها عادت خاتبة الظن - ربما لان رجل الشرطة الخاص بالقرية كان احد المعجبين براسبوتين وكان يذره قبل ساعة الصفر.

لم يمكث راسبوتين في بوكروفسكو اكثر من شهر قليلة في كل مرة يأتيها. وربما فصر فيها الشتاء بطوله ليحزم حقائبه ويشد ترحاله بحلول الربيع. لكننا لا نملك اية معلومات تفصيلية عما حدث في الأعوام بين سنة ١٨٩٤ (عندما قدم الأب بيتر شكواه) وسنة ١٩٠٠ - سوى ولادة ابنه ديمتري في صام ١٨٩٥

وانته ماريا عام ١٨٩٨ وانته الأخرى فانقارا عام ١٩٠٠. استمر راسبوتين في طوافه ودعوته، وطرفت حكايات شهرته المتزايدة مسامع اهل بوكروفسكو. كما لم نحسم بملكته في التنبؤ وفراصة نأى بها من محاولات الآخرين لخداعه وقدرة «الشماء» الناس من عللهم بوضع يديه على موطن الداء فحسب (سوف يصر من قدرته هذه في فصل قادم). وعرف ايضا بكرمه فقد اهداه الكثيرون من اساعه هدايا او نقودا او تحفا كان يمتحها في الحال للمحتاجين وكان يعث بهل لأهل بيته في فترات منتظمة. لقد استعد الكثيرون لإعتباره قدسيا، لكن الإشاعات ما انفكت تدور حول قابلية (الستاريز) على اغواء اتباعه من الساء. واداو طرق بابيه لساع مراعاة لأصحاب الازتيك أحيانا حين يضمهم المشر أصدره او يقترح عليهم نزع بعض ثيابهم. وتارة أخرى يعجز المرء أن يفقه قط ما سيحدث مع راسبوتين. فسلكوه بتغير بين الفين والأحر لذا نراه يكسح شهرته «باصح واعطا روحيا اذا ما بدا على بعض من يقابلهم بواحد حصيبة. وها علفت امرأة أدركت كلا الجانبين من شخصية راسبوتين انها لا تدري ان كان راسبوتين قدسيا ام شيطانا.

وأرجح جواب لكلا الوصفين هو الثاني، فطبيعة راسبوتين على طرفي شخص مع طبيعة غيره من «الرجال المقدسين» الآخرين آنذاك أمثال الأسقف «فان» والراهب (ابليودور) أو الأب (جون) في «الكرونتادت». ان غصلة «القس الروسي» هي الزهد، وعليه لا يتجمل راسبوتين في هذا الأمر روسيا قلباً وداً. فبمغم انه كان باعتراف الجميع نبائيا وغاليا ما صام ونجت شرب المهدش، إلا ان طبيعته كانت أقرب من ناحية أخرى لطبيعة القديس الهدومي «ماتس» هشا أو الشاعر الأمريكي (وايتمان) حيث نلاحظ جوانب وايتمانية في توصيات صفوه كوصف البحر لديه مثلا:-

منهم من لم يكن مثلياً أو كان الخسب أعرج - - - في طبعه
الإسماعيلية - - - أعداء الذين نزلوا هو راسونين الدايوسني المبريد مع
الأمم أنه اقرب في ذلك إلى زرادشت ينشئ من قومه إلى معظم القديسين
الذين

ما اقل قدم ١٩٠٠ حتى ترددت اصداؤه شهرة راسونين في أنحاء
مسيحية - - - قد أوشك أن ينج متعطف ثلاثيات مصره - - - راجع بحيف
مسط الخول ذو اكتشاف هريضة - - - حبة حبة نية اللون يمكن من خلالها
أية حاد دقة موضح - - - كانت يدها برغم خشوبها وصلابتها طويلاً أخذت
تتخذ مفسولاً - - - وعيناه تكعلنا بلون أرق محروج بلون رمادي نسلتنا بظرفيتها
وأهم في العبد - - - لكن التعبير الغامض لوجهه طيا شوشا حول من حذنها - - - وكانت
أه متلعة حبيسة في اهل حية عليها ما يشه التلة - - - رغم يوسوف اما تجت
من لكمة تعرض لها عندما اتم بمرقة الحبول - - - ربما كان على حق فيها رغم
برغم إلى راسونين اودع في السجن نهمه الخث مالبين فقط - - - اما شعره الطويل
الذي فكان مفسوما بحط وسطى - - - كان سلوكه دمثاً مفعها بالخيرة الكريمة
- - - وجهه راضيا ناصباً كنتظن عندما يرى احداً يجبه عما اكسه شعبة بين
- - - من افس تحت فسوة الحياة التي يعيشون التعبير الطبيعي الحميم من
- - - هم فقد طوقت شهرته الواسعة كمعالج للمرضى من خلال قدرته على
البرء الطبي - - - ومن برعته لعمل الخير - - - والتي شكلت في حقيقة الأمر الجزء
وأهم من قدرته على الترويم المعنوي لما لها من محور على مفودة المريض

(١) - - - سنة إلى مثالي الذي هو اله من الهه العات عد الآء بن - - - كان بنمير بربوه
- - - نصف انجريد والعباسه في اللغات
١٩٠٠ - - - سنة إلى دايوسني اله الحمر عد الاخيرين
(٢) - - - لم يكن طويلاً وضخم الخنة كما أكد أغلب كتاب سيرته القليلة.

منهم من لم يكن مثلياً أو كان الخسب أعرج - - - في طبعه
الإسماعيلية - - - أعداء الذين نزلوا هو راسونين الدايوسني المبريد مع
الأمم أنه اقرب في ذلك إلى زرادشت ينشئ من قومه إلى معظم القديسين
الذين

ما اقل قدم ١٩٠٠ حتى ترددت اصداؤه شهرة راسونين في أنحاء
مسيحية - - - قد أوشك أن ينج متعطف ثلاثيات مصره - - - راجع بحيف
مسط الخول ذو اكتشاف هريضة - - - حبة حبة نية اللون يمكن من خلالها
أية حاد دقة موضح - - - كانت يدها برغم خشوبها وصلابتها طويلاً أخذت
تتخذ مفسولاً - - - وعيناه تكعلنا بلون أرق محروج بلون رمادي نسلتنا بظرفيتها
وأهم في العبد - - - لكن التعبير الغامض لوجهه طيا شوشا حول من حذنها - - - وكانت
أه متلعة حبيسة في اهل حية عليها ما يشه التلة - - - رغم يوسوف اما تجت
من لكمة تعرض لها عندما اتم بمرقة الحبول - - - ربما كان على حق فيها رغم
برغم إلى راسونين اودع في السجن نهمه الخث مالبين فقط - - - اما شعره الطويل
الذي فكان مفسوما بحط وسطى - - - كان سلوكه دمثاً مفعها بالخيرة الكريمة
- - - وجهه راضيا ناصباً كنتظن عندما يرى احداً يجبه عما اكسه شعبة بين
- - - من افس تحت فسوة الحياة التي يعيشون التعبير الطبيعي الحميم من

منهم من لم يكن مثلياً أو كان الخسب أعرج - - - في طبعه
الإسماعيلية - - - أعداء الذين نزلوا هو راسونين الدايوسني المبريد مع
الأمم أنه اقرب في ذلك إلى زرادشت ينشئ من قومه إلى معظم القديسين
الذين

منهم من لم يكن مثلياً أو كان الخسب أعرج - - - في طبعه
الإسماعيلية - - - أعداء الذين نزلوا هو راسونين الدايوسني المبريد مع
الأمم أنه اقرب في ذلك إلى زرادشت ينشئ من قومه إلى معظم القديسين
الذين

عظيم الأثر على روعة القيصير التي دأبت على حصور - لمسات نصير الأرواح لفترة من الزمن لكنها اقلعت عن ذلك بعد أن قال لها مستشاروها الروحانيين أن هذا من عمل الشيطان. وقطعت بذلك علاقتها «المونكرات». وبذكر أن ميليتسا هي المسؤولة عن تعريف مشهود غريب اسمه قليب ميرير - واختوت بزوجته القيصير (والذي ستحدث عنه لاحقاً).

يقول السير ريمارد بيرس المطلع على أصرار «الموندوقة» أن ميليتسا هي التي اكتشفت راسبوتين في «كليف» حينما كان يشر الحطب في فناء دير على الأطلب ودعته لزيارتها في شارع بطرسبورغ. «ومن هنا» حينما تذكر ابنته ماريان. بدأت شهرته بالازدياد وغدا يحبه لوكروفسكو نادراً جداً.

من المؤكد أيضاً أن أول زيارة لراسبوتين لشارع بطرسبورغ جاءت في عام ١٩٠٣ وفيه التقاه المخط حين أثار إعجاب الأب جون من «كروستادت» وهو المستشار الروحي لزوجته القيصير.

كان الأب جون ميرجيف قديساً عبقرياً مشهوراً بقدرته على النبوءة. عين فلأ كروستادت سنة ١٨٥٥ وأصبحت كنيسته خلال عقد من السنوات تعبرها مكان حج مقصود. ثم غدا النفس الخاص باعتراقات اليكسندر الثالث قبل أن يصبح الرجل الأقرب للقيصر بنفسوا. امتلك الأب جون جميع سمات الدليل الروحي للقيصر فهو من الناحية السياسية رجعي من الدرجة الأولى.

(١) مدم هير ليهان رواية تختلف من هذه، فهو يدعي أن البوليس استرق اكتشف راسبوتين في سنة عام ١٩٠٢ وأن الأمير بيكوف، أحد قادة (الحزب روسيا المخلصين) وحده فيه إمكانية التسميع بفضل تأثير حلف المستعدين و (مخزني المعونات) في البلاط القيصري. لكن لسانه لا يشرح أن الكعبة التي التقى بها الأمير بيكوف براسبوتين في كران كروستادت: مدينة صغيرة محنة قرية من بطرسبورغ.

... الخ الحكم الإلهام الطوري... من... الإحتياطية لأراء...
... لكنه كان روحانياً...
... الكثير من الوديع في روسيا بعدة في فتحة القديسين أشهر...
... حسنة صلاته وقد حقق نجاحاً كبيراً في شفاء المرضى...
... أقيم الأب جون أيضاً نظاماً...
... حيث اقترح وجوب اعتراف المخطيء بذنوبه بصوت عالٍ بين...
... (بسبب اكتظاظ كنيسته بحشود المعتزين المستطرين...
... فيها دجحت العادة في روسيا على وجوب اعتراف المفسد...
... أنه لمشهد عظيم الأثر أن ترى أمامك منات، بل آلاف...
... يصوتون بأنفسهم بصوت مذبوح وهم يجهشون بالبكاء ويهشون على...
... بالصبريات

أب الأب جون في عام ١٩٠٣ من الرابعة والسبعين عاش بعدها خمسة...
... استطاع لذلك ميلاء في كروستادت لكنه فسد...
... شارع بطرسبورغ للإحتفال مقداس حيث التقى براسبوتين أول...

حرف الرواية المتداولة طريقة لقاء الأب جون براسبوتين. إذ حمل الأب...
... «أقرب بدعك إيمانك مالمز وحشيتك منه»...
... «أقرب بدعك إيمانك مالمز وحشيتك منه»...
... «أقرب بدعك إيمانك مالمز وحشيتك منه»...
... «أقرب بدعك إيمانك مالمز وحشيتك منه»...
... «أقرب بدعك إيمانك مالمز وحشيتك منه»...
... «أقرب بدعك إيمانك مالمز وحشيتك منه»...
... «أقرب بدعك إيمانك مالمز وحشيتك منه»...

لم نذكر هذه القصة حدثاً ملحقاً، لكنها لم تكن - وفق افتراض هولوب

مبلر - دليلاً على تبصر الأب جون الروحاني. وحقيقة الأمر هي ان راسبوتين كان قد اتفق القس في اليوم السابق ليوم القداس وروبيا زار الأب جون وزوجته في منزلها في كرونستادت. وروبيا لم يعتمد تقييم القس لراسبوتين على ادراكه الحسي بروحية راسبوتين. لقد كان راسبوتين آنذاك رجلاً متزناً كالأب جون الذي لقبه معجروه بـ «العراف». فقد تطابقت وجهات نظرها بالايان بالسلطة المطلقة للملك ووقاحة الليبراليين (المنحدرين) والتأثير المسموم لليهود. ان لراسبوتين العذر في افكاره هذه فهو، على النقيض من الأب جون، جاهل بالسباسة، وان من دواعي الفخر انه اصبح، بعد خوضه التجارب، خصماً لمناهضة السامية^(١١) ومتعاطفاً مع الليبراليين لكن وجهة نظره لم تتغير من ناحية القبر ومطلقة حكمه.

استغرقت زيارة راسبوتين لشارع بطرسبورغ سنة ١٩٠٣ خمسة اشهر في أقل تقدير اي حتى اواخر شهر كانون الأول حسباً بذكر الناسك ايليودور، ومن المعلوم ايضا انه زار مدينة «ساروف» قرب «بني نوفكورد» اثناء مجته الى بطرسبورغ في اواخر شهر تموز، وقد قرر القبر، في ذلك الحين، ضم ناسك يدعى «سرافيم» لقائمة القديسين على امل ان يتشفع هذا الأخير الرب للولادة لحبل القبر يكون وريثاً للعرش. وتعليقاً على ذلك يقول مؤلف «سقوط الرومانوفين» للعادي لراسبوتين:-

حضر راسبوتين، الذي السحرة والمجهول الهوية لغادة الكنيسة، والذي مات فيما بعد عظماء احباب العامة، مراسيم اعلان القداسة بيعة حاج رجال او (سنازينير). لقد صلب طويلاً امام المزار القضي الذي يضم رفاتاً، وكان ورعه في

(١١) ويبدو له الفضل لاحقاً لمراسيم صلوات من القبر لصالح اليهود

السحرة مقرونون بنشوة ما. ثم اعلن امام الجمع الحاشد بنبرته التي تبشر بمسحرة جديدة قريباً وان السنة لن نقضي إلا وبولد وريث العرش الروسي الذي انتظرت البلاد كثيراً باعنا الفرح في قلوب الناس.

ومدقت نسوة راسبوتين. لقد ولد الويث، الذي سيلعب راسبوتين دوراً كبيراً في حياته، في الثاني عشر من آب سنة ١٩٠٤. لكن المسي ولد، ولسوء حظه، وهو يعاني من الميوفيليا الوراثية.

أعصى لقاء راسبوتين بالأب جون الى قطع خطوة أخرى قربت راسبوتين أكثر نحو العرش. لقد ارسله الأب جون الى الأرشمنديت تيوفان «مهندس الأكاديمية اللاهوتية في شارع بطرسبورغ». كان تيوفان شخصاً مقرباً لروحة القبر، وهو روحاني الى ابعد الحدود ورجعي من الناحية السياسية، ويعد فيللوب مبلر قصة هي من بنات افكاره تحكي ان القروي راسبوتين، الذي كان يقيم في مضيق الزوار في الأكاديمية، استمع الى نقاش دائر بين طلبة علم اللاهوت الذين دعوه للمشاركة في النقاش بقصد السخرية من منطقته والذين ادركوا، ما إن بدأ الحديث، ان بصيرته البسيطة والنافذة في المخطوطات القديمة لأعظم مما درسوه في الكتب، ففرحوا بمجربون في افكاره وغاب عنهم دخول الأرشمنديت تيرفان رئيس الأكاديمية الذي كان محوذاً صغير البنية ذا عين ورقاوين حائلتين. استمع الأرشمنديت لنقاشهم لفترة وجيزة ثم بدأ يسأل راسبوتين بعض الأسئلة لا سيما تلك المتعلقة بمعنى الخطيئة، فاجابه الموجه فليفل «لقد شحبت مقدنا والآباء المقدسون الخطيئة لانها من عمل الشيطان... ان كيب ينسب لك طرد الشيطان، ايها الأب، دون التوبة الصادقة النصوح؟

(١١) الأرشمنديت: كاهن في الكنيسة الشرقية يلي الاسقف بالمرتبة.

وانى لك ان تسوب ثوبة خالصة دون ان تأثم ؟ ثم يوم راسبوتين الأرشمنديت
نوبيا معنطيسيا عندما حاول الأخير الإجابة . . . فلم تكن إلا «هيون راسبوتين
الشرقة المتسلالة تصع القاط على الحروف». أقصى الرجل المعجوز الليل مفكرا
ما قاله راسبوتين وما أن اتبلع الصبح إلا وتبلورت لديه القناعة أن راسبوتين
حق فيما ذهب اليه واقترح أن يقابل راسبوتين الأسقف (هيرموجين) أسقف
«ساراثوف» (والذي وصفت ماريأ أنه الرجل الأكثر شمية في روسيا). ثم ارتأى
كلا الأرشمنديتين اتضام راسبوتين «لإتحاد الروميين المخلصين» وتقديم يد
المعون لهم في طرد المشعوذين والدجالين خارج البلاط القيصري.

لقد استدع فولوب ميلر مسألة التنويم المغناطيسي لايفضاح كيف بلغت
القناعة هذه اللامنطقية المبشية رجلاً له خصال تيوفان، (ولأجاب أي رجل
كبيرة ارتدوكسي: كلنا نأثم طوال الوقت فلماذا نغالب أنفسنا ونمنع في الأثم
فبقول نحن لا نأثم ؟) لكن ميلر لم يشرح لما سر اتخداع تيوفان براسبوتين حتى
بعد انحلاء اثر التنويم المغناطيسي ولا الصدمة التي تعرض لها تيوفان، في
سنوات لاحقة. عندما وصلته انباء نشاطات راسبوتين الجنسية المريعة.

يورد لنا برنارد بيريس رواية أخرى هي الأدق على الأغلب قائلًا:-

ظهر راسبوتين في أكاديمية بطرسبورغ الدينية في التاسع والعشرين من
كانون الأول سنة ١٩٠٣ وكان قرويا يمثل الجسم متوسط القامة، ذا شعر قدر
طويل يندلى على كتفيه ولحية مثالية وعينين رماديتين ثاقبتين غامضتين تحت
حواجب كثة تغرقان في نور مميز لو أطال النظر على شيء، يتميزه رائحة قوية
ناعدة من أول الأمر رجلاً عظيم الأثام وأمسى الآن عظيم التوبة والندم قادراً
على استئطاف قوة جبارة من التجارب التي يمر بها وعلى هذا الحال قابل تيوفان.

صمت الأكاديمية الدينية آنذاك صامتاً فريد الحاصل كان يتدرب حل
الرساية وهرف فيها بعد بالناسك ايليدور وهو الذي نقل لنا هذه التفاصيل عن
١٩٠٤م راسبوتين للأكاديمية. كان متيزاً كراسوتين لكنه اصغر منا وهو يستحق
ما اعتماها ودراسته أكثر. كان قروي الأصل واسمه الحقيقي ميرجي تروفانوف.
اصحح فما لتسارنتين بعد سني دراسته في الأكاديمية تحت اشراف تيوفان.
وعاد ما ذاع صيته بفضل بلاغة وقوة مراعاته ثم اطلق على نفسه لقب
«ساراثارولا». وتظهر لنا صسرة التقطت له مع راسبوتين والأسقف هيرومرجين
وعلا هزبلا ذا وجه منفولي الملامح، وحتين عاليتي العظام وشعنتين رقبتيين
نجران عن الحزم وعينين تمان عن التطرف.

تميز ايليدور أيضاً بموقفه السياسي. فهو رجعي حد العظم، مقت اليهود
والعكرين، آمن بمطلقية سلطة القيصر من جهة وصب جام غضبه على طبقة
السلاة، ونادى بشيوعية فلاحية يكون القيصر الفائت الأهل لها من جهة أخرى.
حاولت معظم مراعاته مسألة فساد الأخلاق وانحطاطها -وذلك كان صحيحا الى
حد بعيد- او قضية شجب المذهب الروحاني، وهاجم ايضا الإدارة واللاكفاءة
التي نخلت بها البعثات الرسمية. كان شديد اللهجة في حديثه وقالاً ما ترجوه
أن يكون معتدلاً لكنه كان في موقع الأقوى. اذ أحبه القيصر وحماه تيوفان
«هيرموح وأعجب به، بل تعبد، أغلب اتباعه. ودها، متأثراً بدمتوفسكي
على الأعلى، الى تأييد الإتحاد السلافي واعتقد ايضا بان للشعب الروسي «صلة
الرب» وعليهم تجنب الغرب الفاسد.

وفكر بمشروع انشاء دير يسميه «ساونت نابورا» ويكون مرفأ للقاء

(١) مدينة صوفياتية تقع على نهر الفولغا.
(٢) من صلاية وهي مقاطعة في شمال بوسلانيا.

الحال. لقد درت عليه مواظبه المتقده ارباحا طائفة لكنها لم تكن تكفي لإقامة الدبر لذا دعا الجميع للتبرع بالعمل والمواد وشرع بيناه بنفسه. يتميز هذا الدبر بجرح مرتفع على تل كي يطرق صوته الواعظ الجمع الصغير. . . واوشك على تحقيق حلمه هذا لولا خلافه الأخير مع راسبوتين ولكنه آمن، مثل تيوفان، بظهارة راسبوتين فقد التفت فلسفة راسبوتين المتعلقة «بالدم من خلال الخطيئة» مع رفضه المثالي والنامي لكل مساوي عصره. كانت يوريتانته باغية فهو يروو المرافض وصالات القمار وبيوت الدعارة ثم يعتلي المنبر شاجبا لما ذاكرها ووادها الاثنين بالأسماء. وكان يرفض النشول امام المحم الكسي المقدس لتلا مضطر للإجادة على استلهم حول افعاله المتناقضة تلك، علاوة على ذلك كانت مشاعر العامة لصالحه لدرجة يصعب على السلطات معها اتخاذ اي اجراء قمعي ضده.

بروي فولوب ميلر قصة طريقة لا تملك وكيرة من الصحة حول اول لقاء بمجم راسبوتين والبليودور. فهو يقول ان تيرفان وهم مخرج اصطحبا راسبوتين للقاء البليودور الذي كان مساجدا على ركبته مهمل فانتظر ضيوفه الثلاثة فراغه من الصلاة احتراماً له لكنه استغرق في صلواته طويلاً حتى ضاق راسبوتين ذرعاً «لا انتظار فقاطعه قائلاً له بلهجة عنيفة «انك تحسن في الصلاة ولكن كف عن مصابغة الرب بصلواتك فحتى هو يحتاج للراحة احياناً، هيا امض فهذه الرحلان لديهما شيئاً يقولانه لك». ذهل البليودور ولم يعرف ماذا عساه أن يرد عليه. واستناداً لتحليل فولوب ميلر فقد اختلعت مشاعر الكاهن نحو راسبوتين من العجب والإعجاب والمعجز والخوف والإعجاب وظلت كذلك.

ان من الصعب تصديق هذه الرواية لأن البليودور لم يكن حينها إلا طالباً أكاديمياً موهوباً باللاهوت فليس من المعقول ان يحدث مثل هذا التصارب بين

(١) البورناتية؛ التفهيم للزمت.

الشخصين.

والحقيقة الأرجح هي أن الاعجاب بشخص راسبوتين لا سبباً بفكره المصمم الزاهد كان مستهلاً لعلاقة البليودور به وبات من طامعها نصيره الأشد حاسماً. لكنه أصبح بعد ذلك عدوه اللدود وتآمر على قتله ثم اعتنق الشيوعية وكتب كتاباً شجب فيه راسبوتين وشوه سمعة العائلة الإمبراطورية.

قدم تيوفان والبليودور راسبوتين الى من هو أكثر نفوذاً من كليهما وهو اسقف سارانتوف (ميرسوخن) الذي وصفت ماريا بكونه «الرجل الأكثر شعبية في روسيا». كان هيرموجن لولب الحركة في «اتحاد الروسيين المتخلصين» وهي حركة «تدعو للإعتقاد السلافي وتوعظ بمناهضة السامية والغريبة وتؤيد السلطة المطلقة القيصري». وقد كان لها أيضاً مناصرة قوية في البلاط الإمبراطوري - (من الملاحظ ان روسيا كانت دائماً مهداً لحركات مناهضة السامية وشهدت مذابيح منتظمة ضد «السامية في كل حكم روسيا تفوق القياس» على هتلر بعدد اليهود الذين قتلوهم).

نعم راسبوتين بقوته وصدق تأثيره على الاثنين فقد كان قروياً يعمل «مع نسوة دوستوييفسكي التي تبشر بروحية متجددة تنبعث من الميرجيك الروسي وشاطرها اراءها السياسية حول اليهود والقيصر وحول الرسالة الإلهية التي يحملها الشعب الروسي. لم يكن كلامها فقطاً ليذكر طموح راسبوتين وان صدقه مفروء بدهائه القروي فهو لها ليس بالرجل الموهود يبدو ان زيارته «لساروف» وسعيه حول ولادة ولي العهد ما هي إلا محاولة مبكرة لجذب انتباه القيصري وزوجته.

لم يكن راسبوتين طموحاً بمعنى الطموح. فهو لا ييلت للمال ولا

بطمع مبرداً سياسياً. كان متسلطاً اجتماعياً نشد الشهادة له بالمعظمة من مجتمعه. وهو شخص أرضى الخيال لرغبته أن تفرد للسلطة وأدق منها للنفوذ الشخصي. فقد كان يدرك جيداً أنه أقوى من خصومه أجمعين ولذا أن تشهد له روسيا بذلك، ولم تكن محاولاته الجاهدة في التقرب من السلطة إلا لأنه يرى أن قوته الشخصية يجب أن تفتقر بقوة تماثلها وليس من قوة في روسيا أكبر من قوة القيصر السياسية. هذه الرغبة في السلطة هي سر بقاءه في شارع بطرسبورغ حتى عندما أدرك أن السلالة الحاكمة تنهار وأنه سيتهيئ بنهايتها. لقد شعر أن يومه تغير مجرى التاريخ ولم يشكك في هذه القدرة قط، حتى عندما لاح حليبا منذ التاسع والعشرين من حزيران عام ١٩١٤ أن المستقبل لا ينوي أن يتغير مجرى أحداثه.

كان لدى راسبوتين الاستعداد. بدءاً من عام ١٩٠٣، للفصوص في مجرى التاريخ الروسي. وضروري لفهم ما سيلي من أحداث أن نلقي نظرة على القوى الفلاحية التي واجهها آنذاك.

الفصل الثالث "تاريخ كالكابوس"

سقط من على صدره نيقولا الثاني ولما نوح على عرش روسيا وسام رهبنة القديس أندرو، وهو أحد أوسمته العليا فظن به القيصر نذير شؤم سيحوم على حياته. وما عمق شعور التشاؤم لديه سقوط بعض الأرواح الخفية المظلمة الخفية أهدت لأغراض التديرات العسكرية في ساحة هودينكا، تحت وطأة نقل الجمهور المحتشد الذي جاء لإستلام هذا القيصر في يوم تنصيبه، وهو ما تسبب في مصرع أكثر من ألفي مواطن سحقاً تحت الأقدام. لم يعلم القيصر بهذه الحادثة باديء الأمر وطلب من أحد موظفي البلاط أن يواصل المحتفلون - معاهم، لكن الذعر ملكه حين علم بالفاجعة ففرر اللعاب إلى الدير للصلاة على أرواح مواطنيه الأبرياء، لكن مستشاريه شوه عن حزمه وأرشدوه أن يحضر بدلاً من ذلك حفلة راقصة أقامها السفير الفرنسي بمناسبة التتويج. فلا غرابة إذن تحت ظروف كهذه أن يتخال لأغلب المؤرخين أن نهاية مأساوية لحكم نيقولا قد آمنت أمراً مقضياً

بيد أن تلك المأساة، سواء أكانت قدرا أم حادثاً ما كان لها أن تقع لولا وجود راسبوتين وزوجة القيصر، فلولا وجود راسبوتين لربما ما كانت هناك مأساة راسبوتين. ولولا مزاج زوجة القيصر وأهوالها لما كان راسبوتين الحاكم الفعلي لروسيا

قد يتفرد هذا الحدث التاريخي بالدقة التي تم فيها وصف مبياته، غير أن نعمهم أسباب سقوط الملكية الروسية يتطلب تبعا لمبياته عبر قرون عديدة قد فقدت إلى ما قبل إستلام سلالة رومانوف الحكم.

إن تاريخ القيصرية للأسرة البياريتية تمتد لثلاثة قرون. فجوهرها القسوة. أو هي قسوة بربرية لا حد لها كانت وما تزال صمة بين دول الشرق والتي لم تظهر في أوروبا إلا حديثا إبان عهد هتلر. كان حكم «إيفان الرهيب» الذي حاصر الملكة إليزابيث بأكورة تلك القسوة. فهو قد أسس فكرة «التزار»، وهي معقدة مشتقة من «سيزار» أي القيصر، بصفته السيد المطلق الذي لا طاقة للرعينة على نفوذه ولا حول. حين إحتل «إيفان الرابع» العرش تيد البويار («هم طبقة النبلاء» مغاليد السلطة في روسيا شأنهم في ذلك شأن نبلاء إنجلترا في عهد الملك «جورج»، فيما كانت عائلة «الشويسكيين» هم الأقوى بينهم. تميز أغلب البويار بالغبطة وفلاحة القلب للدرجة التي أغتت فيها القساوة شباههم وهم يرون كلابهم المصورة تطارد رجلا العامة في لعبتهم المفضلة (مطاردة الرجال) وتقطعهم إربا إربا. لذا إكتست طفولة إيفان بمرارة التقيير والإهانات من رجال كهؤلاء وقتلت أمه وهو في السابعة من عمره فأطلق العنان لوحشته كي تنامي في السنة أعوام اللاحقة. ثم حدث في أحد الأيام أن أمسك الشويسكيون بصديقه الحميم «فرونوستوف» وأذوه ضربا حتى كاد أن يلفظ أنفاسه بين أيديهم لولا ترسلات إيفان، وبعدها نفى صديقه «فرونوستوف». وبعد ثلاثة أشهر أمسك رفاقه الأشداء بالأمير «أندرووسكي»، ألد أعداء إيفان، ورموه طمعا لكلاّب الصيد ليقتل إيفان مذ حينها السيد المطاع.

لم تكن الأعوام الأربع التالية من حياة إيفان إلا مسلسلا مروها، فقد أطلق العنان لحده وقسوته ومراجيته وخاصة في هواية صيد الرجال حيث كان

معظم صحابياه من التجار وزوجاتهم وبناتهم اللاتي كن حريم إيفان الخاص. أملا إيفان نفسه «تزارا» أي قيصرا في السابعة عشر من عمره فكان أول قيصر في روسيا بعد أن غشي جميع أصلافه أن يطلقوا على أنفسهم هذا اللقب. واحتار إيفان لنفسه زوجة تدعى «أنتازيا رومانوف» من بين ألفي فتاة جعلن للمعبنة. وه قد جهد في الأعوام العشرة التالية كي يفتد القائد المثالي، فقد أحاط نفسه بأعداء المستشارين يتحدرو أغلبهم من الطبقة الرضيعة وشرع بإجراء مختلف الإصلاحات. كما إفتتح عهد الغزوات أيضا حين طرد التتار أو المنغوليون الذين ألبت بهم روسيا لقرون عديدة، من كازان ثم تبعها بغزوات أخرى. لكن صفة حباته تمكرو وانقلبت شخصيته عندما أخذ القدر منه زوجته لدرجة أن مات من الإحسان عليه القول أنه أصيب بالجنون في سن السابعة والعشرين فمذ حشا وحتى وفاته أرخى الحبال لوحشته لتفتاده حيث تشاء وساوره الشك بجميع من حوله وجرد جميع من في البلاط من حق إبداء رأي لا يتفق وقرار القيصر ومن تراءت عليه أي نزعة من هذا القبيل كان مصيره العقاب لظنهم به خائنا. وخلق إثنين من أفضل مستشاريه فيما حرب معظم معاونيه لبلدان أخرى بعد أن خالفهم أن الحياة أمست غير آمنة بين يدي هذا المستوه. لكن فرار «روسكي» صديق طفولته، غرس جرحا عميقا في نفسه للدرجة أن شل قدمي الرسول الحامل لرسالة دفاع صديقه وهذبه بعد أن أتم قراءتها.

أعدم إيفان في منتصف الثلاثينات من عمره على فعل غريب لا يتسجم إلا «الطبعة الروسية» حيث هام خارج العاصمة موسكو دون أن يحدد مقصده حتى حط به المقام في قرية «اليكساندروف» الواقعة على بعد مائة ميل من موسكو. وبعد أن أمضى عدة أسابيع إكتنفها القلق والحيرة على مستقبل البلاط الفيصري، أملا إيفان تخليه عن العرش. لكنه ما لبث أن عدل عن ذلك بعد

أن أرسلت العاصمة وفدا يناديه العودة لبلاطه. وبدا كأن الخوف والخلد قد شاع بعد إختفائه عن البلاط. فهم قد أعدوه رغم قوته شخصا صوريا لا غنى لروسيا عنه. وهنا وضع إيفان شرطا لعودته ينص على وجوب تناخي الكعبة والبيوار (طبقة النبلاء) من جميع أفعاله وقبل الجميع ذلك وعليه بدأ دون أن يتهاون لحظة باستغلال هذه الصلاحية بحملات مرقة وتقتل واسعة النطاق. ليس هذا فحسب بل قسم روسيا الى قسمين : ملكية الشخصية والتي سماها (أوبرسبينا أي إرث الأرملة) و (زيمسنا) التي هي ملك النبلاء. وأسس لإدارة «الأوبرسبينا» قوى أمنية وسياسية تولت مهمة التجسس على أعدائه والقضاء عليهم. وعليه أصبح إعتبار إيفان مخترع نظام الشرطة في روسيا. لقد طاف هؤلاء بلباسهم الأسود أرجاء البلاد شيئا فشيئا متفدين إلتقام القيصر الذي ما كان يعني سوى الحرق والتعليب حسبما يشتهون .

لكن جنون عظمت بلغ الذروة عندما هدم أركان مدينة «توفوكورد» حين جالت في رأسه فكرة مجنونة مفادها أن «توفوكورد» تنوي الخيانة فإر إليها جيش جرار حارقا ومغتصبا وثامبا على طول الطريق إليها حتى وصلها في أوائل عام ١٥٧٠ وبني حولها سورًا عاليًا من الخشب لينع هروب أي من سكانها. ثم وعلى مدى خمسة أسابيع أغدق في القرية تعذيبا أهلك فيه يوميا آلاف من أهالي «توفوكورد» أمام ناظريه وناظري ولده المحرف إيفان وهو قد نفث وجوده في أشكال التعذيب إذ أجبر الأزواج والزوجات أن يرى أحدهم الآخر يمر من شدة الألم صريعاً وأجبر الأمهات أن يشاهدن أطفالهن يرقصون الما قبل أن يجرس أنفسهن أحياء أو يفرغن حتى الموت. كانت نتيجة تلك المجازر مقتل أكثر من مئتين ألف نسمة.

توجه القيصر بعدها الى «سكوف» بغية إستكمال إستراتيجته التعذيبية لكنه

عدل من رأيه لسبب ما عندما وصلها. فاستقبله سكانها راكعين مؤكدين له أن مطلقه ورحته لأعظم من أن تعلق.

آنذاك، أنزل الرب لعنة على روسيا بأن أحل فيها الأوبئة والمجاعات فآكل الفلاحين لحاء الأشجار والتهمسوا الأطفال الصغار آتى أسكوا بهم. ومع ذلك، منع إيفان الناس من الترحال وماتب العصامي بحرقه حيا، وأحرق موسكو من بكرة أيها .

لم يكن ما تبقى من حياة إيفان غتظا عن شطرها الأول فقد إستمر على مراله في القتل والتعذيب ولم تقتر شهرته الجنسية البنة (وقد كان جنونه موضع شك أنه ناجم عن إصابته بمرض السلس)، وعين كادرا لإرهايبا، ولهايا ما كان يقتل على الحنازوق^(١) الساهرة الذين كانوا يثيرون حفيظته. وحدث في أحد الأيام أن قتل في ثورة من ثورات غضبه إنه الصغير وما كان ذلك بخسارة كبرى لروسيا فهذا الشبل من ذلك الأسد. بعدها تحدث إيفان بين الحين والآخر من رغبته في أن يصبح راهبا، ووضع في أحد المرات تاجه على رأس أمير تتري من حاشيته تخاطبا إياه أنه أسى قيصرا وحكم هذا الأمر لسنة كاملة. لقد فضل الثالث من أهالي مدينة «وندن» في ليفونيا حرق أنفسهم في قلعة عالية بدلا من الموت على يد إيفان بعد أن أعلنوا تخليهم له. وكثيرا ما كان مستشاروه ومقربوه أول ضحاياه، لكن إحدى أكبر جرائمه وأبشعها حدثت حين علّق الأمير إيفان مسكوفاني ورأسه الى الأسفل وقطّعه لشرايح حتى الموت ثم ذهب هو وابنه منزل مسكوفاني واعتصب إيفان الأرملة الحزينة المشلة بينا إغضب إنه الإبنة الكبرى.

(١) كتب ويكي كورسكوف أويرا من هذا الموضع.
(٢) الحنازوق: صوة طويل عهد الرأس يدخل في دير المجرم فيموت عليه

كان موت إيفان في عمر الرابعة والحسين من حمرة موتاً نموذجياً، فقد
 اسمه المرحوم الحبي وشعر بالازهاق والضعف والمرص، واستمدى عدداً من
 العرّافين لملأه فسأوا بموته يومه الثامن عشر من آذار سنة ١٥٨٤ ولا بد أن
 لم يزل قد تابعهم بحرفهم أحبه إذا ما بقي حياً بعد ذلك اليوم، حرباً على
 حياته. وعشية اليوم الممّور أعاد اليهم وعده بحرفهم لو لم يمت صباحة اليوم
 التالي فأشروا إليه أن اليوم لا ينتهي إلا بمروء شمس يوم الثامن عشر. وفي
 اليوم التالي لعب إيفان الشطرنج مع بوريس كودنوف، أحد سجنائه، لكنه ظل
 يصر ثم سقط إلى الخلف ولم نفس سوى دقائق قليلة حتى فارق الدنيا.

كان إيفان أول القيصرية الذين وطئوا مهجلاً لم يتعب حتى سقوط آخر
 القيصرية الحاكمة بعد أربعة قرون. مهجلاً قائماً على العردية المطلقة
 والاضطهاد ولا بد أن يعدل لم لا يغفل أحد هذا الطغية خلال سبي حكمه
 الذي، فمن المستحيل تصور صر روما على «كاليفولا» أو «نيارويس» لأربعين
 سنة ولا عرت من ذلك أن حداثة عالمياً ومعلماً أقسم على رحيله لكن هذه
 الاضطرابات القصرية تلقى الصوبه على بعض جوانب الشخصية الروسية. فهي
 مثلاً، كسولة، موصوفة، عاجزة أشد المحرفين بمحض الشلية، طفولية وغير
 مبالغة. ولم يغضد دوستوفسكي في كتابه «الاحت العظيم» بقوله حل لسان
 تحت أن الناس انزوا المصوبة على الحرية، سوى الشخصية الروسية هذه
 بالحرية عبه ثقيل جداً.

(١) كاليفولا: Caligula : امپراطور روماني (٣٧-٤١). ابن الحريينا وحفيد نياريوس
 بالسي. اشتهر بجبرته واستبداده. ثم اغتيل.

(٢) تيبيريوس Tibertius : امپراطور روماني (١١-٣٧) خلف اوجسطس ابنه بالسي
 اشتهر بحكمته السياسية وتنظيمه الاداري. تحول في آخر مهده الى السلط والاحباب

وله صبح الإفراض العادي أن الأمهات كمنه هي الأمة التي لا تملك
 له. وأصبحت روسيا النفس له من الأمم لأنها عاشت تاريخاً مضطرباً دوماً
 وحكم «إيفان الرهيب» مثال على ذلك .

كان إيفان روسيا منهكة القوي مشتتة الأهواء وأعقب حكمه هذه من
 الاضطرابات والشاغل أشبه بالنسب التالية لثورة أكتوبر سنة ١٩١٧. توفي
 من بعده ابنه (فيودور) المختل عقلياً واستمر حكمه سنوات قليلة. أمك
 من بعده (الديونيس كودنوف) زمام الحكم والمشيئة به في مقبل لأمر ديمتري
 الذي انتقم للعرش. وقد لا يكون هذا سوى بعض إفشاء من الظاهر أن
 ليس كان رجلاً مهذباً بعض الرأي هدي الطبع ويتبع برباطة جأش هذه
 الشخصية فرصت احترامها حتى على «يودا الرهيب»، لكنه توفي بعد خمس
 سنوات وألقى العرش بعده فوراً رجل زعم أنه الأمير المفقود ديمتري. وبعد
 منة الحفيظية مجهولة دوماً وهي كمال ما أحوا للرومانيين، أغنى مدني
 من كل امورش ثم يمكث في الحكم إلا فترة وجيزة إذ قتله بعض الرماح
 منهم امه قد بسكي أصبح قياداً فور مقتل الأول والذي ساء
 من الاضطرابات سقطت في حالة فوضى عامة وعدم رسي. ظهر بعده ثلث اعم
 من الأمم الممّور ديمتري، كان أحدهم سيداً شاملاً اسمه «يودا»
 الذي عرف القتل فداونيكوف قرداً فلاحاً لكن قدومه الشديدة مع مدني
 بالسي. بعد انه القتلته معاً. بعد انكم بين ولا يعلم على وجه الاداء
 من له وهو أول ملاح فداً أحدنا طفلة وأدم مهجلاً المدد الذي أخرج
 سلباً في روسيا من بعده. فيما لقب الآخر «بالسارق» ولد حاصر «شوبسكي»
 في موسكو سنة ١٦٠٨ ثم قتله أحد أتباعه. حينها اعتل العرش رجل ملك
 الذي هذا الطريق أن يحمل البولنديون العاصمة موسكو وأغلب مدن روسيا

الجنوبية فيما احتل السويديون الذين دهامهم شويكي لمساعدته ضد «السارق» مدينة (نوفوكورد). ولم يمض زمن طويل حتى ظهر مدح آخر في مدينة «يسكوف» غير أن الروس ملكوا الآن زمام الأمور وطردها البولنديين من موسكو وشرعوا يبحسون عن قيصر جديد وجدوه في (ميشيل رومانوف)، وهو أحد أعضاء عائلة زوجة «إيفان» الأولى التي إختارها إيفان من بين الفتي عائلة مرشحة تقريبا، لذا فإن أربعة قرون من تاريخ روسيا قد اعتمدت على اختيار إيفان. لقد بدأ تاريخ الرومانوفيين بـ «أناستازيا» وانتهى بـ «أناستازيا» وهي الفتاة التي نجحت في الإفلات من مصاص الشوار في زنزاة «ريكاتيرنيرج». وبين كلا الأنستازياتين كان هناك قتل واغتيالات ومؤامرات لا حصر لها وكثير من التمرد والعصيان كتمرد بولوتنيكوف. وظل شعب «إيفان الرهيب» جاثما على صدر التاريخ الروسي ليشتيع القسوة وسفك الدماء إبد الدهر فيها.

غير مجدية محاولة إيجاز التاريخ الروسي للمعقود الثلاثة التالية فهو تاريخ إسطنبول وتعذيب شمل أكبر قطاعات الشعب الروسي، بيد أن الميزة التي يكون مستحيلاً تخجيم أهميتها هي القساة^(١١) فمذ هيمنة المغوليين و ٩٥٪ من الشعب الروسي عبيدا في واقع الحال. فقد سن بوريس كودتوف عدة قوانين تربط الملاح بالآل الأرض على أساس أنها قوانين طارئة أمدها خمسة أعوام يعق بعدها الملاح العمد. ثم مدد أول قيصرين رومانوفين -وكان كلاهما وأهنا- هذه المدة، حتى أبطلها اليكسيز سنة ١٦٤٩ وقد شهد العام الذي أعدم فيه شارل الأول في إنكلترا إحتضار الحرية في روسيا برغم المحاولة الرائعة والحاجة لإقامة حكومة نيابة في ظل حكم ميشيل.

كان الرومانوفيون، عموماً، ملالة واهنة ما خلا بعض الإمشاءات أهمها «بطرس الكبير» إس اليكسز فقد أدخل بيتر النظام الأوروبي لروسيا وبس شارع بطرسبورغ وأجرى كثيرا من الإصلاحات لكن الشيء الوحيد الذي لم يفعله هو سهاد قدر أكبر من الحرية للعبيد، وربما تذكر التمرد الشديد القسوة والعنف الذي قاده (ستينكا رازين^(١٢)) والذي كان قاب قوسين أو أدنى من الاطاحة بعرش أسه ومع ذلك، يقول (ر. د. شارل) أن «بطرس الكبير» حكم روسيا «بعضا من حديد». لقد تعاطف العقل الغربي مع أجزاء من أسطورة «بطرس الكبير» الخاصة بحبوبيته وحماسه واهتمامه بالتكنولوجيا ونطوئه بالمشاركة في أي عمل «وي» غير أنه إمتلك صفاتاً شرعية كصفات إيفان الرهيب. اذ قمع عصياناً عسكرياً بطريقة إيفان وقلل إينه اليكسز، كما فعل إيفان إينه، ولكن ليس بغورة غضب بل بتعذيب مهد لمصرغه.

كان ميشوئي العرش بعد «بطرس الكبير» إين اليكسز «بيتر» لكنه توفي بالجدي في صباه، فأمسى العرش لـ «آنا»، إينه أخ «بطرس الكبير» والتي لم سوان أن تكن نفسها بلقلب «آنا الدموية». ولم تكن قسوتها فجائية وعنيفة كقسوة إيفان بل قسوة مسبقة بحقد وغل طويل المهد.

أصبح بعدها «بيتر الثالث» (أحد أحفاد «بطرس الكبير») قيصرا على روسيا. لقد كان جلفا، وحشيا وربما كان معتلاً عقلياً وعامل زوجته اليافعة -وهي فتاة الشابة إسحها كاترين الذكية والثالية- معاملة الخادمة فانخلت لها حشاكاً كان أولهم (سالبتيكوف) الذي قد يكون الأب الحقيقي لإينها «بول». وهو ما يقود الى الافتراض أن أغلب القياصرة كانوا مذ حينها وومانوفيين بالاسم فقط. أما

(١١) رازين - أحد أبطال الأسطورة السوفياتية - خاتمه في النهاية أحد انشاه وعذب عذاباً شديداً حتى الموت.

جاءه ح. ا. ا. ف. وهو عشيق أخيه. فقد أقدم على قتل زوجها في محاولة انقلاب
للمسح شارترين إمبراطورية روسيا. جلب حكمها الطويل الأمد كثيراً من المصغ
(إصلاحات روسيا دون أن يبال منها الفلاحون بعضاً من الاعتق. لقد حق
فيها فرد مكشيف (الذي سبق ذكره) المليء بالقصص جميع مبوها الديموقراطية
وسم فيها انطباعاً أن الفلاح الروسي وحش بري لا يجب أن يخرج من قصصه
الحديثي. فما حقت فيها الثورة الفرنسية هذا الاعتقاد وأغلقت حكمها في جور
من الانطهاد.

أمنف كاترين في الحكم يحنون أخيه هو اسمها «بول» الذي لم تكن أموام
حكمه لأربعة بلا كتابوا أعاد لأدهان الشعب الروسي حكم «اليدن المربع».
القد حوره طبعاً عسكرياً نذكره أنه أرسل ضابطاً إلى منفى سيبيريا لإزالة
وعنه في رابطة حافظة لم تنو «كاترين العظيمة» أن يتول «بول» العرش بل
قامت أن تتعده لصالح حبيدها اليكسندر الذي تنو الحكم بعد أن قتل بول
في عام ١٨٠١. ومنهلاً بذلك «قرن الإصلاح» القرن الذي شهد دور عهد
العصر الرومانوفين.

بدأ حكم «اليكسندر الأول» مبيناً للفلاح الروسي. فقد حلم بأقامة نوع
من الحكومة البانية وطلب من إس فليز قزيرة لأمع اسمه سيباتسكي ومع
لكن حرب نابليون قلت الأمر حاله صافله وفقد سيباتسكي مكانته
هذا اليكسندر مستنفاً لا يقل عن يينز أو كاترين ودعماً على «فلال عقله»
أداه شدة. كما أثقل كاهل الفلاحين بعبء جديد إذ فتح مستعمرات عسكرية
بها على أساس حقوقات بربرية. ولم يته حكمه إلا وأكثر من نصف
مليون فلاح في تلك المستعمرات.

حدث اليكسندر الأول من «الحول من الأرض أصبح أهلاً موطن»
«سب في سويسرا» ويبدو أنه قرر مقيد وقت في من الشمة والأربعين حيث
ال ناكس ورج وهناك أمضى أنه بعض من موصي الفلاري. وقد ذكر طلب
«في» أن حلالته كان يرفض بشدة أية مساعدة طبية. واستدعى فماً
«الغشاء الزبابي» لمرة واحدة فقط رغم أن اليكسندر «وفي» بعد أربعة
«أخرى عشرة أطفه» محملاً عاماً هل حث وكتب طلب اللطاف الملكي
«تقرير لوف» «حاه في مذكراته أنه إمتنع عن توقيع التقرير رغم أنه
«أفصح» «علما ما يدعو للاستنتاج أن نابروف قد سى أن يوقعه أو أن
«توقيع» لقد بقي التقرير موضع شك فحالة الأعضاء الرئيسية لحمد
«لا تظلمين وحالة مريض» «مت بالفلاري» فليس هناك نضج في الصحاح
«نم دفن جسد اليكسندر باكناف» والفيلل الذين أتيحت هم
«شكل القيص» تغير أن حد بعيد. إذا كان لون ظهره وحاصرته
أحرأ أرجوانياً وهو شيء غريب لقيصر أيمن البثرة.

عنصر من الرأي العام أن اليكسندر وضع جثة على حسده ليتمسك له
«بعد معي أحد عشر عاماً» ظهر في سيبيريا رهب يدعى فيدور
«السن قديماً ونوفي» في سنة ١٨٦٤ عن عمر يناهز السابعة والثلاثين
«مصر اليكسندر لو بقي حياً» لقد شيع في آخر مرة من حياة هذا
«اليكسندر الأول» وهي اشارة فليها المؤرخ (شيلدر)
«حكم اليكسندر» كما كتب (نولستوي) قصة عن الراهب «فيدور»
«أيد فيها فكرة أن مبدأ «الإحفاء» طريق عقل اليكسندر وهو يرفض
«الحل حتى الموت» وكان في الرجل شبه كيم
«الحديث بالذكر أن اليكسندر هو الذي من لياول عتبة الخلد

حتى الموت بواسطة تمرير جره من الدرع على الجسد المحكوم في مستعمراته العسكرية. وهذا يفسر الكدمات التي على الجثة لكنه لا يفسر مر ذهاب القبرص الى مياه منزله مسي مثل تاكاتروج، مما يرجع القول أن القبرص خطط لإغتياله مساً

تم في عام ١٨٦٥ ومرة أخرى خلال عشرينات هذا القرن فتح كنف اليكسندر فكان حالياً من جثة الرجل المكدم الذي كان يعاني من مرض الفلس (ومعروف أن اليكسندر كان معاني من هذا المرض) وربما حدث ذلك نتيجة توافد الدكتور تاراوف.

يرى (موريس بالولوج)، الذي كتب سيرة حياة اليكسندر الأول، في ليدور كشمش ليس بالقبرص ويؤكد أن اليكسندر مات في دير في فلسطين. من هنا نستدل الى نتيجة مفادها أن «القبرص الغامض» - ناهيك عما حدث له - لم يمت في تاكاتروج سنة ١٨٢٥

لا تغدو قصة نهاية اليكسندر الأول أن تكون غير نموذج رومي اعتيادي، هناك (إيفان الرهيب) مثلاً قد مات راهباً برغم أن مراسيم تحوله لراهب جرت وهو يحضر في غيبوبة الموت. إن الرومي وليس سواه قادر أن يبدأ حياته كمصلح فرجعي ثم يموت ثم ينتهيها كـ «ستاريتز» مجهول الهوية. ويبدو أيضاً أن الروس ينحون دائماً ما يبدأون. جاء العرش بعده نيقولا، شقيق اليكسندر الأصغر وكانت أول مهامه قمع ضاغط انتفاضة ديسمبر. وتولى بنفسه، كباقي القياصرة الرومانوفيين، استجواب قادة التآمر بلطف مبالغ به أوقع بهم جميعاً وأداهم مقولهم وأمر بشق خسة من قادتهم. إن هذا اللطف والقبالية هل المرافعة إحدى الصفات التي تميزها العديد من القياصرة الرومانوفيين بها في

ذلك آخرهم.

يبدو أن مسخرة القدر وافقت التاريخ الرومي فحينما تظهر بوادر إصلاح حبيب حاكم ما يظهر لمرء ما لؤدما وأعاد خلفاً عقارب الساعة وهذا هو ما حدث مع نيقولا الأول. فلم يأت مصيان ديسمبر إلا بمزيد من القسوة والبربرية الى روسيا. ووراء هذه الواجهة القمعية تكمن اللاكفاءة والكل الراسي (وقد عبر عن ذلك «غوشول») أحسن تعبير في روايته «النفوس المائتة» و«مفتش الدولة». لقد كتبت الرقابة الأحال الحرة ووبيا وقف هذا القمع وراء ولادة العصر الذهبي للأدب الروسي. إذ كان اليكسندر طاغية مهزوراً فيما كان مدولاً عسكرياً أحفاداً من نفس طراز القبرص المقتول (بول)، إنها الحماية التي وهبت روسيا أعمالاً رائعة لـ (بوشكين) و«غوشول» ومرحيات اللاستروفسكي^(١٣) وأوبرا لـ (غليнка).

خلف نيقولا الأول اليكسندر الثاني الذي كان عسكرياً أيضاً ولكن بأمر عادية. أن تاريخ الرومانوفيين هو سلسلة متصلة من القياصرة فيهم من هو ماضي العزم وفيهم من هو واهي العزيمة. ويبدو أن نهاية اليكسندر الثاني ليست أقل مأساوية عن نهاية حفيده نيقولا. فقد استهل حكمه بالرغبة في الإصلاح والتخذ في هذا الشأن خطوة جسارة ألقى فيها نظام القساة، بيد أنه

(١١) غوشول (نيكولا) Gogol : (١٨٠٩ - ١٨٥٢).

(١٢) - روسي له العديد من المقالات والروايات.

(١٣) بوشكين (اليكسندر) Pouchkine : (١٧٩٩ - ١٨٣٧).

شخصه رومي من رواة الأدب الحديث. نفي لبلوه السابعة. له قصة (أوجين أونيفين) صور فيها الحياة الروسية مطلع القرن التاسع عشر.

(١٤) أوستروفسكي (اليكسندر) Oustrovski : (١٨٢٣ - ١٨٨٦).

مؤلف مسرحي روسي.

الصار لم يكن إلا وحدها أعبر للعسودية فهو أحاز الفلاح شراء الأرض التي يحصل عليها ومهد لها لكبحها مع سعر الأرض ليحرموا الفلاح من بركة ممتلكاتها فحدث أن حصل الفلاح على نصف الأرض بدلا من أن يبيع كل الأرض لسيده ويأخذ منه قوته للعيش. ولم يدرك الفلاح أن هذا «التحرير» ليس سوى شكل من أشكال الاستغلال فهو يبيع نصف الأرض ليأخذ محصوله منها مع إضافة شيء مالي عليه.

نعرص اليكسندر لأولى محاولات اعتقاله بعد صدور قانون تحرير العبيد سنة ١٨٦١ مباشرة، عندما حاول شخص ما إطلاق النار عليه وهو في حريته فاعتقل من «الكري» كما شهدت الستاد التبتان محاولتي اعتقال واوشكت على الانتحار أخرى قام بها طلي في ذكرى إغتيال لكونكول على النجاح حين دهس من «القصور» الذي كان يقوم بتحايله اليومي، مصوبا عليه مسلحه لكن فائر ميل أفشل المحاولة.

وحدثت محاولة إغتيال أخرى سنة ١٨٦٧ عندما ضرب شخص مسلح من القصور وهو في موكبه في باريس بمسيرة نابليون الثالث وملكه بروسيا. لكن الرصاصات الأولى أصابت أحد الحياض ثم انفجر المدس في يد المجرم وقتلها.

ثم اندمروا على حياة القصور باستخدام الديناميت بعد أن حثروا من قبلهم في ذلك إرهابي يدعى «إلييوف» الذي وضع محاولة من قبله على خط سكة حديد ليشحط القطار شذرا مذرا. لكن مرة أخرى فطعت سكة الإتصال فلم يحدث شيء. عندما صعدت إلييوف على درج المحرم ثم حاول ذات الإرهابي محاولة أخرى فعبر لسانه ملجأ معدن ثياب

... وضع المنصحات تحت خط سكة الحديد فعبر اقطار الذي لم يكن يحمل إلا... حتى مشاع القصور الذي عبر موعد سفره ووصل موسكو قبل حدوث... وبعد مرور شهرين وتخليدا في شاطئ ١٨٨٠ حدث إعدام هائل هدم... من القصور الشتوي للقصور الذي كان القصور سيتناول فيه عشاءه لولا... وصول أحد «السيوف» ثم أدخل مجازا بالر حوله دبابيت يصل وربما... سيوهرام إلى القصور الملكي وأحفظها في موقد صالة الطعام والتي رزمت... بها ندى أهل شارع بطرسيورغ اللعنة لا حرصا على سلامة القصور بل... سلامتهم ومنذ حينها تحبوا الذهاب للأورا إلا إذا تبعوا إلى القصور إلى... ١٥

... محاولات الاعتقال تلك تخفيته القصور وتعاطف معها تشدد الشرطة... الرقعة لكن القصور كان يعمل يوم مقتله في الأول من آذار سنة ١٨٨١... بطورية مدبرة كخطوة أولى على طريق إقامة حكومة نيابية لقد التفت... في اليوم السابق لمقتله، القصر على الإرهابي إلييوف مما أشاع السكينة... القصور لكنه سلك ضد عودته لقصره من حولة تمسكية لاحاق... استكرهه طريفا به الذي تحدد المرور فيه، فيها قدم أعوان إلييوف... الإحتياط أيضا، بربع عملياتهم في جميع الطرق المؤدية إلى القصور... القصور التي أحدهم بقبلة حطمت باب القربة وأصابته مرارة... مما دعا معه فحرج القصور حرجا من العزة لبري حارسه الخرج... فقه أخرى وإيه صرعت الغشال وقطعت ساق القصور... مرور ساعة نقرها أسلم القصور الروح في قصره بين أفراد عائلته.

ليس من الغريب أن يثرث مشهد موت كهذا الفسنة في نفس إنه... (وصف منه أنه فكرة إصلاحية) ولكن ما حجب فيه نظام...

تعميق القوة عليهم فشق القيصر للتأمين وكلفه رئيس الشرطة (ف. ك. فون بيلهف) - الذي أُغتيل لاحقاً بقبلة- بتمشيط البلاد والقضاء على جميع التنظيمات الإرهابية في روسيا. وأعلن اليكسندر إيمانه العميق بحياضي الاستبداد المطلق في مذكرة كتبها الديني الرجعي (برييد ونوسيف) والذي أضفى الكرونيال^(١) الأسبب للقيصر. واتخذ نظام جديد للرقابة ثلاثي معه أدنى بمصير أمل للإصلاح. كان التزاريفيتش^(٢) اليكسندر وجلاً جباراً قوي الشكيلة، كما وصفه بيرس، جدد الفكر العام بيد أنه عاش مسكوناً برهاب الاحتجاز فقد إعتل أبوه السلطة وهو في الثالثة عشر من عمره كما يعتلي الجندي جبلاً متصدعاً ورأى آية طيلة الثلاثة عشر اللاحقة وهو يحكم بمعا من حديد، لكنه عاش دوماً شبح الخوف على حياته لما مضى حياته مجنون قهره. أتاح اليكسندر الثاني لأعدائه فرصة النيل منه بتجواله منفرداً بين صفوف العامة وعدم تشدده في إقامة نظام آمن صامد، لذا عقد إنه العزم على أن يكون محصناً فعاش محاطاً برجال شرطته الذين كانوا أشداء يتمتعون بسلطة قمع وكبح أي بادرة تمرد. وأسس قوة أسماها «قبطان الأرض» في المناطق الريفية والتي لم تكن، في الواقع، إلا تشكيلات شرطة لها قوة بطش ولديها صلاحية قمع أي عصيان، مهما كان ضئيلاً، بقسوة بالغة. ومع ذلك لم توقف هذه الإجراءات محاولات إغتيال القيصر في فترة حكمه. فقد خرج القطار الإمبراطوري، سنة ١٨٨٨، من خط سكة الحديد في ظروف غامضة. وبرغم اعتقاد الكثير من المؤرخين أن هذا الحادث تسببه رداءة العوارض الخشبية للسكة الحديدية، فإن جاولس لرو^(٣) يسجل في كتاب عن اليكسندر الثالث قائلاً:-

(١) منصب رابع المقام في البلاط الروسي.

(٢) التزاريفيتش: هو وديت العرش.

(٣) الخوف المرضي من الأماكن المظلمة أو الضيقة.

تباوت عربة القيصر أشلاء مبعثرة وترامى خدمه المخلصين على الأرض من ميت وعنصر وعندما طافت عينا باحة من أطفاله ولي نفسه خشية عظيمة على حبانهم... طوقته إيتة الصغرى يلدا عينا وهي مذعورة قائلة: «آه يا ابناء، ميا تون الآن ليقتلوننا جميعاً».

ليس من الممقول أن دماراً مأساوياً كهذا نجم عن رداءة عوارض خشية. لقد حبس القيصر نفسه في القصر الذي قتل فيه بول الأول خائفاً من تناول أي الفحة لم يطبخها طبائخوه الفرنسيون، محروماً من ممارسة أي نوع من أنواع الرياضة ومدعماً بالمقابل على تناول الوجبات الثقيلة لذا فليس من الغريب أن يموت قبل أوانه سنة ١٨٩٤ وقد حطمت عاوكه الياسة للهروب من التاريخ والفقر المحتوم.

كان ابن القرية كريكوري راسبوتين ولما مات اليكسندر الثالث جوالاً في سيبيريا بينة «ستاريتز». وقد حضر نيقولا الثاني ذو الوجه المصفر والخلق الدمش والتلبذب مراسيم الجنازة مع فتاة جميلة حزينة العينين ميسنزوجها لاحقاً، وكانت خجولة، عصبية، متلينة بحبة لزوجها بنفس الإخلاص في الحب الذي يجعله هو الآخر لها.

استعد آخر مشهد للمأساة أن يبدأ قريباً. ومن الأجدى لـ «ر. د. شارك» أن يسمي هذا الفصل عن تاريخ روسيا «حصار الرياح».

الفصل الرابع

كان الله في عون روسيا

كانت مدينة بطرسبورغ - عندما قلعها وأصبحت سنة ١٩٠٥ - مدينة
من الموحش والمعاطة بشاح الماضي باعتباراته واضطهاده ووحشته. رها
سنوي بطل حيا في روايته «ويل» محدا صورة نابغة بالحياة عن هذه
المدن. مرور قرن من الزمان مرور الحلم... وبطرسبورغ واقفة على
الطاعة عذابة في مستطع الوحشية تخلم بقوة لا يكسحها حد ومحد لا
تستمر ذات السلاط الخبيري والإعتلات والإستبدات والإعدامات
الدموية انتفتت وكأنها لم تكن إلا إعتلا وقتها حقا عليه الدهر.

لقد استعلت معاف الساء قنلياتهن شه الالهة في تسيير أمور الحياة.
معير أمم بأكلها في الخادع الساحة المشوية مالمشق والغرام ويدر
السيرة وأقدام شرب تشحذهم مهمهم بعد ان ترك الحوت والكدر حل اليديهم
لا تسحق ليغفروا ملهم العرش ويقاسموا السلطة ويندثروا في محمع
الملكات والشقلب في ترفهن البيزنطي....

هاشت بطرسبورغ حبيبة قلقة، مائة، متعكة سكة موجشة نبع بليالي
من امسية، الشهوانية، المحيرة وليالي الشتاء لأرقه بين طاولات القمار

المدن هي مدينة نيسراد ثم اسماء اسمها في عام ١٩٩١ وسنت مدينة القفيس

الحضراء وحشخشة الذهب والموسيقى التي يدور معها الرافضون من خلف الدوافذ ومهربات التريوكة والفجر الواهدين والمبارزات التي تجرّي مع إنبلج الصباح

نأست في الأهوام العشرة الأخيرة شركات ومؤسسات كبرى اخرجت في وقت قياسي رؤوس أموال بملايين الروبلات، واقبعت مصارف وصالات موسيقى وساعات تزليج ومساكن مسمومة من الكونكريت والزجاج ولها يستغل الناس أنفسهم مع المرمي والنساء العاريات والفياء والشبّاتيا... وصرى في المدينة وباء الانتحار فعبت المحاكم بنسوة معابات بالهستيريا يستمعن بلهفة الى التفاصيل الدامية البشعة للجرائم، وغدا كل شيء سهل المال... النساء والأغنياء... فشاعت الفاحشة والزفلة في كل مكان.

هنا وصل فلاح امي ذو عينين ساميتين وقوة رجولية هائلة الى اهل مراتب الخطوة لذى القيصر مقتربا من العرش الإمبراطوري، ساخرا ومستهنزا وشارها في حيله الشائنة حل روسيا باكملها وكأنها لعبة في يديه

لم يبالغ نولستوي في قوله إلا قليلا. فهي قد تغيرت حتى ليجد من قسدها (بطرس الكبير) صغوبة في التعرف عليها لو بقي حيا وربما صحت طرفة كالمقصور في أمريكا حل مدينة بطرسبورغ فهو يقول أنها الامة الوحيدة التي احتارت مرحلة البربرية الى مرحلة الإصططاط دون المرور بمرحلة الحضرة.

ادركت بطرسبورغ نشاطاً فنياً مفعماً، وبلغ فيها الأدب والموسيقى

(١١) حربة ووسية تجرها ثلاث جبال متوازية.

(١٢) دالميسر (حورج) Clemenceau (١٨٤١-١٩٢٩) صحفي وسياسي فرنسي. شغل منصب رئيس الوزراء سنة ١٩١٧ - واحد مهتدي انتصار عام ١٩١٨ - لقب باب النصر - وقع معاهدة فرساي سنة ١٩١٩

الرومين أوج عظمتها لكن هاتينها أنصرت لإزاهير غربية وملموسة، فأغلب اعلام الفن الروسي قد غادروا الدنيا أمثال دوستوفسكي، تشيخوف، بوجينيف، تشابكوفسكي، ميورجسكي، ويورودين ولم يبق من الأملاد إلا اثنان هما: نولستوي وريمسكي كورساكوف وكلاهما شجع الميل الصوقي والواقعي لأهل الفكر في بطرسبورغ، فنولستوي قد شهر فلسفته التي تعتمد اللاعنف. فلما ساند ريمسكي كورساكوف هذا الميل بطبيعة اوبراه الأخيرة المسماة «مدينة كيتش اللامروية» التي بلغ فيها ذروة التصوف معبرا فيها عن أصلق الحلجات الروسية .

من جهة أخرى يرنح جيل الشباب من الكتاب مثل كودكي انفلايون اعتناعيون، برغم ان اغلبهم ظلوا يانفهم انفلايين في الفن فاتهموا هذا السبب في رصية مبهمة ونشائمة حالة خيالية. ولعل اليكسندر سكريبابين كان الأكثر جدلا في عصره والذي آمن أن الموسيقى مستتعد يوما ما مع مختلف الأشكال الفنية الأخرى لتخلق تجربة فنية عظيمة القدرة، يصح الناس بفعلها امة أو أشباه الأمة بمجرد الإنصات اليها - لكن مرميفاه في الواقع لم تصل الى هذا الحد من الإبداع وهاويناها دليل على ذلك : قصيدة نشوة، قصيدة الهية، قصيدة النار. فهي موسيقى تتخلق نشوة مستمرة أشبه بالرغبة الجنسية المحمومة التي لن تصل للذروة أبداً... موسيقى شهرتية، موهنة للأعصاب والعوى الحسية. وسكريبابين نفسه كان شخصا أنانيا متساهلا الى حد بعيد. حليما لم يمر بتأنيب وانتهت حياته في ١٩١٥ بسبب بثرة على شفتيه .

كان أندريوف وارتسباشيف من بين أكثر الكتاب شعبية في روسيا وطبع أدب كليهما بحسبة تشاومية معينة. لكن الأخير افتتح سجله الأدبي بتفأولية أشبه ما تكون شاذلية بطل نبشته في رواية «ساتين» الذي يزودي الأخلاقية

اللاصحة لمعلم الروميين ويذهب إلى فلسفة تعتمد الفساحة أو الموضع الخفي

كان لهذا الكتاب المطروح سنة ١٩٠٦ أثر كبير على الشاب الرومي الذي كان نازلاً لوضع أفكاره موضع التعقيب وهو الكتاب لا غيره الذي تقع عليه المسؤولية الأكبر في شيوع الفاحشة والرديلة لكن أرتسيانيف نفسه كان مدمجاً للإنسان الرومي الذي سحره مستين. فيما صاد الإنتحار والخيبة المكتشفة في ثديا روايته الإثنى السكتين. أن أرتسيانيف لشخصية غريبة لأشوار نستحق اهتماما أكبر مما أولته إليها البلدان الناطقة باللغة الإنكليزية^(١)

أما ليونيد أندرييف فكان أكثر تشاؤماً وأشد تعميلاً عن الرومي الشموذي من أرتسيانيف. وفي ذلك اسهب غوريكي في الحديث عن جمال أندرييف الشهير وولعه بمكرة الإنتحار. وبودات المرض التي كانت تشابه أيام عديدة من الحياة عن إصراره في شرب الخمر. وعبراته مع المومسات والتي لم يكن منها إلا مرفأ من عقاب الذات. لقد قطع أندرييف إلى الحياة فوجدتها مجردة من الحياة وهزيمة. فما هي إلا لعمدة باللغة السرية صاغتها المعمورة منذ عام ١٩٠٦ وكان على الإنسان الصادق مع ذاته الإنسانية الثالث الخلق قتل نفسه مكرراً للتعبير عن امتناعه ورفضه لهذه الحقيقة.

يظهر أفضل وصف لبطرسبورغ عندما حاصها راسبوني لدى (تدريه) في روايته «مدينة القديس بطرسبورغ» الصادرة سنة ١٩١٣. والتي تعالج فيها صراع بين اب يروفراطي وابن إرهابي حيث يتلقى الإبن أوامر بقتل والده من أحداث الرواية في حين من المومص أقرب إلى الكائوس لتسهي في حالة موصوفة في حالة مريض لقد امتعان الكاتب كثيراً بالبعد.

(١) اقرأ أيضاً (قوة للاعلام) و (أصول الدافع الجنسي).

أما سوي العيب واللاعنفاني المظهر. وأما الشخصية الرومية حين الملح إلى هذا الألب والإبن من مثالية الدور. وأما في هذا قول نابليون «أشدش» سناً وسوف يظهر لك شخصيته القوية» أن جيف بطرسبورغ واسويك ليلة أخرى نوثك حل الانفجار في أية لحظة.

أس من الغريب، تحت ظروف كهذه، أن تكون بطرسبورغ يقولون مدينة الإحلال الخلق والخسة المباحة رغم وجود قدر كبير من الصوفية التي جعلت دورها في هذا الإنحطاط. فهي تضم عصر اللاأخلاقية التي كانت الفكر الديني الأكثر تأثيراً حيث (ف ف روزاتوف) والذي كان مدمجاً مناسب أيضاً فهو قد أخذ السياسة ليست يدي شأن فزاه يكتب لصحيفة «موسكو» مقالاً يرمسه الحقيقي ثم يكتب مقالاً ثورياً تحت اسم مستعار. ثم يمتدح هذا الخلق القويم ضرورة حياته يمكن الإستغناء عنها بسهولة ويسر.

أما تحولت بطرسبورغ، في نصف قرن، من مدينة البروقراطية والنظام «البرقي» الصادر من مدينة الفن والندمور الخلق، فخرجت بالأنثرياء الذين «أشاد» بها كـ «موسكو» بيلانيف الذي مول الموسيقار سكريبين. وفي العصر المحمض للأورما والذي روح لقيودور شاليابين. أعظم «أورما» في العصر الحديث، وكان هناك أيضاً سيرجي ديالكوف الذي بدأ «أورما» في تلك المدينة فية باعظة الثمن والذي يعود الفصل لثانيه في «موسكو» وفي «موسكو» إكتشف ديالكوف موهبة ثالثة لريمكي «أورما» من «موسكو» وأول بعدها اهتماماً وشخصاً أكثر لسيرجي «أورما» من «موسكو» فلول من تفهم الرافض السدي فاصلاف بحسكي إلى «الدار العالم الأخرى»

إن قصة حياة نيجينسكي توضح بشكل دقيق أهم ميزة لبطرسبورغ في
المعدل الأول من القرن الحالي: ينحدر نيجينسكي من عائلة فقيرة لكنه حصل
على زمالة دراسية في المدرسة الإمبراطورية للرقص، فوجد نفسه في أواخر سني
صباه مندجاً بالحياة الاجتماعية الصاخبة للعاصمة. وفي ليلة ما، زار نيجينسكي
وصديقه انتاول بورمان قصر الأمير يرسوف والد الرجل الذي قتل راسبوتين
في النهاية) والذي حوله الأمير إلى صالة قمار ونادي للفنتازيا - ويبدو أن الحكومة
أبدت قيام مثل هذه المؤسسات الخاصة بدافع توفير وسائل الترفيه السريع لهذه
الوضع الشعبي القلق - ربح بورمان ونيجينسكي خمسة روبلا واقترح الأخير
إسماها في دعوة بعض الغنيات للعشاء، فالتقطا من موسسات فترات وذها
إلى مطعم متواضع حتى لا تشعر النسوة بأن المكان أرفع من مستواهن. طلب
بعدها نيجينسكي عشاءاً فاخراً من خارج المطعم. إنقضت النسوة على الطعام
نهم بالغ مسبب غثباناً ليجينسكي وبورمان فامتعا من الأكل. وما أن اكملن
طعامهن حتى بدأن الأخوات وعندما رد بورمان إحداهن حاولت ضربه برجاجة
الحجر لكن نيجينسكي إنترعها من يدها. ثم وزعا ما بقي لديهما من المال ومريا.
سأل بورمان صديقه عن سبب إصراره على دعوة هؤلاء المؤسسات فاجابه
برحمته في مشاركة ثروته الجديدة مع رؤساء الناس الذين كثيراً ما كان يشفق على
حالمهم وهو في طريقه للمسرح، لكنه قال في النهاية بأن الأمر كان عظيماً وأنه لن
يهيب الكرة مطلقاً.

تخل عدم تماس خريب بين الطبقتين العليا والدنيا في المجتمع الروسي لم
ترب صده حتى التوايا الطبية، وهذا هو السبب الأكبر وراء إندلاع الثورة في
روسيا فربما أحب الروس قيصرهم وحبوه لكنه لم يكن اليهم قريباً كحالة
بعض ملوك إنجلترا.

لم يلق نيفولا الثاني - وسوء الطالع - حباً من غير المراد عائلته، بل
لهم ضدّه حتى لطفه ورقته وسحر جماله والتي غلب فيها غيره من القيصرية.
كان أبوه مستبداً عصياً لكن وزلاؤه عرفوا في أقل تقدير على أية أرضية يتعاملون
فيها لم يكن نيفولا قوياً ولا ضعيفاً بل استسلامياً مع شيء من الصلابة والعداء.
كتب بيرس قائلاً:-

لقد زرع في وزارته حين يستقبلهم انطباع وضاء التام هما يفعلون، وهو
انطباع جعل منه سحر شخصه الفريد قناعة لديهم. ولم ينطق مرة وهم بمعينه
بشئ شقة قد تعكر صفوهم ثم تأتي المفاجأة الكبرى حيث يتلقون رسائل إقالتهم
من مناصبهم عن طريق البريد. بعد هذا اللقاء مباشرة

نمّة حكاية محمد تذبذب شخصية القيصر: كانت روسيا تحاول تسديد
لفرنس فرنسي. وهنا زار مصرفي فرنسي يدهي (نيتزلين) القيصر وأوضح له أهمية
إجراء بعض التنازلات للشعب ليتجنب ثورة مستتلة بلا ريب. لقد سر نيتزلين
استقبال القيصر له واللطف الذي احتضنه به فظن أنه نجح فيما فشل فيه
الأمم - سرون - لكنه فوجيء بأن القيصر قانوناً يؤكد فيه سلطته المطلقة بكل إحداث
إحداثيات شعبية. ولم يفاجأ وزرائه بذلك فهم لا يتوقعون منه غير هذا.

وقع نيفولا وهو يافع في غرام (اليس) أميرة هيس، وحفيدة الملكة
البروسية. كانت فتاة رقيقة خجولة وفيها مسحة حزن. وقد تزوج الاثنان وهم
المدارة العائلية الشديدة فأصبحت الأميرة اليس، التي نشأت كأميرة انكليزية،
المرأة بـ (الليكندرا). لكنها لم تتوافق تماماً مع حياة البلاط: فهي أقل ثقة بنفسها
من دة ثقة القيصر بنفسه، مزاجية وعصبية ويتحول خجلها أحياناً إلى هتيريا

كانت تلك الأحداث العظيمة والبالغة شأنها تركت لدى دهره إبطاء ما بها راحة
من بعدهم. فلما لاحظت سيدات البلاط حبسها وتردها. ويرى أن رومة
والتي سقطت من يدي تيف رئيس المحكمة الإمبراطورية العظمى وهو في
حيرة الترابية فالتفت على الفور للإلتقاطها ثم نهت فغلظها فاحترت حجلا

كانت ولدة القيصير أشد المعارضين لهذا الزواج ولم توافق عليه إلا
بعد أن فرأى الموت لكن حباً لروحة أمها لم يدخل قلبها وبنيت الملك
عصمها في البلاط القيصري وحملت من انفادها عور أحاديثها مع سيدات
البلاط. لقد نجت اليكسندرا الظهور الإحتياقي قدر الإمكان مما حرمها من
دعم كبير لها. من جانب آخر لم يعد البلاط مركز الحياة الاجتماعية في
القسطنطينية بل أخذت مكانه صالونات مبانية قليلة الأهمية مما عمن إشار المكر
والديعة والعموم. وبالتالي شعر نبولا وروحه بأنها محاطان بالأعداء من
كل صوب فأمضيا جل وقتها في الترويسكو مبثو حيث يسبحان في جو من
الشاعرية بمحبهما معادة لا حد لها. لقد كفل الحاح زواجهما من وجهه
مفرهما في أقل تقدير - فهما لم يكفا من الحب والمودة والوصال أما روميا فقد
بأت في هذا الزواج كارتة عظمى. فالقيصر رجل متذبذب ولا مسؤول و
أكد هذا القول كارتة هودينكا التي وقعت يوم نوبعه. فهو ملك قديراً أكثر من
الإحساس لما نرد في إيفاف مير الإحتفالات فوراً. وعندما وصلته أمهات اندحار
الأسطول الرومي في "توسشيه" خلق قاتلا. يا لها من كارتة رهبة! ثم واصل
... التمس وهذا دليل أنه قد أضر إحساسه ليدرك هواه من غنيمات عائده
فقط... وظل يعيش في عالم أحلام اليقظة.

لم يكن هذا الأمر لبال أهمية تذكر لو تزوج بقولا امرأة أخرى. فالنار
كانت تدور في فلك ذاتها أكثر من القيصير وهي لم تكف من طلب حماية وأهم

منها واحداً آخر. فلما كان القيصير في بداية زواجهما وعمره من
... روحه. شاعت في الشوارع المسيرة من وادها ونجحت أن تروى
... القيصير شعوراً يجعله يفتحم طاقاته لمصنعة عائته لا لمصاحبه
... بعدا بقولا منذ ذلك الحين ربيع حياتها الدائم وقد كانت شديدة الخوف
... له لما كانت ترفض أي إقتراح سيحجم ملكه بدستور معين ويتعد من
... المظنفة. كان نيكسولا "نبولواها" الذي يجب أن يظل شجاعاً
... إن امرأة أخرى مربية إيساطية مكانها كانت مستدرك الوضع وحرره لكن
... كالدجاجة الرائدة على بيضها.

فمن المشكلة في أن بقولا كان يمزاج يتوافق ورغبته في إقامة ملكة
... كما أشار لذلك مير برنارد بيرس. فهو يعرف كيف يقيم المواقف
... القيصير له كسيف من رايه في حضور حسن دقيق. وأو تيسر له رئيس
... في الشخصية كما كان صديق أبيه "أوت". لأصغر قيصراً عظمياً إلا
... له أرض المحلل لمزاجه لغوده حيث نشاء.

أدت النتيجة المحتملة لتلك السلوكية أن يكون النصف الأول من فترة
... مشوشاً وقاصراً. بدأ سحق الطموحات الحربية الرابعة إلى تشرع
... للحكم معلماً بأنه سوف يسير على نهج أبيه في تطبيق مدا السلطة المظنفة
... الطموحات الشعبية في إقامة دستور بالأحكام اللامظنفة.

ومن أهم اسباب معارضة زواجه في كاثوليكية الأميرة (اليس) لكنها
... تلك إمتنت المذهب الأرثوذكسي وأصبحت له أشد المتحسين في زمن

... الأمر. شعص يتوجه بانتباه وشواهد لهاها كلياً أو شبه إلى نحو ما هو خارج من

فباصبي، وربما حملت خفية أمها في أول منى زواجها بلها الصوفي هذا لكن
الحياة الدينية تسري في حالتها إذ أوجدت أحبتها البريات، المتزوجة من
الرحمنى نصف المحزون الفرانديك سرجيوس، نظاماً أصبحت بموجب رئيسة
دير للراهبات عقب إغتيال زوجها. ولم يمض وقت طويل حتى امتد إهتمام
التزاريا بالمذهب الروحاني وبجلسات تحضير الأرواح بفضل تشجيع صديقتها
ميلينا وأناسازيا. لكن جلوة الرغبة هذه مرعان ما تبددت لظها فيها لأنها لا
يرضي الرب بينما زاد إهتمامها بالجانب الصوفي الخاص بالسكر والتنجيم.

أنجت التزاريا بحلول عام ١٩٠١ أربعة إناث، دون أن تلد وليداً ذكراً
للمعرش القيصري، وبات هذا الموضوع للقبصر وزوجته الشاغل الأكبر
لتفكيرها. وظنت التزاريا أن أعداءها قد اتخذوا لهذا الأمر مدهاة للسخرية.
وهنا دعت الفرانديكة ميلينا «صانع معجزات» فرنسي يدهى قلبه نيزه
فاكوت وهو ابن قصاب قرية التفه ميلينا عندما كانت في «كوميون» وتأثرت
بقدرته الفائقة على الترويم الشاطبي فأقنعه بالقدوم الى روسيا. وهي قد عرفت
على أثر عيته لروسيا للقبصر وزوجته بصفتها «الرحل المقدس المخلص». لم يكن
فيليب طبيباً بالمعنى الفعلي لكن ميلينا أقتعت القبصر أن يمنحه لقب الطبيب
المسكري ومستشار الدولة لنكتب ممارسته الطب في روسيا صفة شرعية.
سالت له التزاريا أن يكون في غلام فأخبرها أن لها أن تشد ذلك وسببها إياه
استخدام قواه السحرية المأفظة. كان يملك في الإياه قوة حملت معها التزاريا
حملاً وهما فانتفتحت بطنها وارتدت لأجل ذلك أبواب الحمل. بيد أنها لم تر
إليدها الموعود ثم أخبرها طبيب البلاط بعد أن فحصها بأنها لم تكن حاملاً
أساساً لم يخدم هذا الإخفاق سمعة التزاريا في روسيا واتخذة أعداؤها مبرراً
لزعيم بانها مستبيرة لحما. وانتهى الأمر بإعادة فيليب الى قريته ليون محملاً

بالمدايا - فالقبصر وزوجته كما على جانب كبير من النطف والطية يعملها لا
بمحلان أي ضغينة له - ثم توفي بعد ذلك بقليل

فص بلاط القبصر بصاصي المحبرات والمرايين فظهرت امرأة معتومة
إلى معها (داريا أو سيبولا) خالوا في ترثرها ومفرها من وحي الله، وكان هناك
أيضا رجلا «مبروكا» آخر، أعرجاً مبتور الذراعين وذا حنك مشوه اسمه (ميتيا
«داليان»). جاء من منطقة دير (أوتيا بوسنين) والتي وصفها دوستوفسكي في
الغصه (الأخوة كارامازوف). وقد لاحظ قصة الدير أن هلوه يأتيه (وهو في
«وه مصر») أشبه بالتشوهات تولي ترجمتها فتدلفت اسمه (ابغوروف) أصبح فيما
بعد رفيق كولياين.^(١)

وصل كولياين البلاط وطلب إليه أن يتأ نصيب التزاريا من إنجاب
ورث للمعرش لغاب متشياً في عالم آخر ثم شرع بصراخ سبب هلما للتزاريا.
لكن ابغوروف أوضح الأمر قائلاً بأن الوقت لم يحن بعد للتنبؤ بموضوع كهذا.
ومع ذلك استمرت التزاريا في لفادتها بكاليانين وسجلت آخر مقابلة بينهما في
عام ١٩٠٦.

صاق الأسقفان ميرموجن وتيوفان ذرعاً بطولان الشعوذة الذي بدأ يغمز
السلط القبصري وانبرك أن الوقت قد أوف لبده محاولات إعادة التزاريا
لإحلاسها القديم للكنيسة الأرثوذكسية. لكن الأمر يستدعي وجود قديس
«مسي» يخلق معجزة. فاقترحا واحدا يدهى (سيرافيم) من (ساروف) سبق وأن
«أ» في بواكير القرن التاسع عشر بأحداث نالت إعجاب الرومانوفيين. ثم اقترح

(١) قدملت: وحل وظيفته العناية بالكنائس وأراضها والمخازنات...

الضام ميرافيم الى قائمة القديسين وحدث ذلك فعلا فتحول. برغم معارضة الكنيسة الشديدة، من الناسك ميرافيم الى القديس ميرافيم من ساروف. حلت التزاريا بعد ذلك وانجبت ولدا فتعززت مكانة القديس لدى القيصر وفدا الأخير من حينها أشد المخلصين له والمعتقدين بقدراته. ومن الأدلة على ذلك إرسال القيصر ميداليات تحمل صورة القديس ميرافيم لجنوده إبان الحرب مع اليابان مما حدا بأحد الظرفاء لئن يقول: لدى البابائين وصاص ولدى جرونا البشوات. نستشف من ذلك أن القيصر قد فقد الملكة الواقعية التي كانت ستجعل منه قائداً قديراً.

بروي «وت» قصة تمجد القول أعلاه. اذ اقترح مفير روسي أمحق في النسططينية أن تحل روسيا مضيق (البسفور) بعد أن نسح لذلك هذه حوادث كثرية، ثم ترسل انباء هذه الحوادث لا للقيصر أو حكومت بل لممثلي روسيا الإقتصاديين في لندن لتشرعها بشكل ما وأن يعمثوا برويات مستعجلة (لأودها وسيفاستبول) حيث تنطلق منها اساطيل صغيرة لإحتلال المضيق. لقد جهد (وت) حتى أقنع القيصر أن عاقبة فعل كهذا حرب اوروية لا محالة، وعندما تحدث «وت» الى (بويلدونستوف) - ذلك الرجعي القديم - علق قائلاً: «ليكن الرب يعون روسيا».

طفن التخبط واللاكفاءة على السنوات العشر الأولى من حكم نيقولا دور أن يتمخضاً عن نتائج خطيرة. لكن الغضب الثوري كان أخذاً بالفوران، واستمد من فضيحة عام ١٨٩٧ أي بعد تزويج القيصر بعام واحد مئاً له. نمث «دور» المضسحة حين احتفلت الشرطة برثاسة (بيلهف) فتاة جميلة قطفت من ممرها العام الثامن عشر تدعى (ماري فيتروف) بتهمة اقتناء بعض الكتب «المموعة» وتلك ليست بالتهمة الخطيرة ولا تستدعي. في الحالات العادية،

أشهر من نفيها مؤلفاً من بطر صبورغ وترفين قيدها في الجامعة. لكن الشرطة سحت ماري فيتروف في حصن بيتروبول لشهرين كاملين دون أن يعرف أحد شيئاً عن مصيرها سوى ما شاع من قول حول إغتصابها وتعذيبها على يد قوات الشرطة. ثم نحت أخيراً وساطات أصدقائها في الحصول على إذن بإطلاق مراحها، لكن ماري لا تحرت قبل إطلاق مراحها برش بارافين أخذته من قذيل الإضاءة في غرفة حجزها على حافات فراشها ثم أشعلته ودمت بنفسها من أحضان السنة الثيران الملتهية. وهاشت بعد هذه الحادثة برمين فقط لم يتم حلها إبلاغ والدنيا بالحرق حتى توفيت في الثاني عشر من شباط سنة ١٨٩٧.

لم يدع الشوار تلك المفجعة تمر سدى، فأحسنوا استقلالها فيها كان الظرف المحيط بها جد مفرغ احتاح منهم لتأجيجه قليلاً من الترويع. فالفتاة عاشت لسرين بعد محاولة الانتحار ورغم ذلك لم يتم إعلام أهلها. فلم هذا التكنم الشديد؟ إنها الحشة أن يفقه والدما يا جرى خلال شهري سحنها. ثم ما الذي دعا فتاة جميلة موهوبة للإنتحار قبل إطلاق مراحها بقليل؟ قامت الحركة الثورية بتوزيع آلاف الكراسات إهتت فيها الحكومة بالإرهابية ولم تفلح كل محاولات الشرطة في إيقاف انتشارها. وقد قال الكونت (بول فاسلي) معلقاً على تحريات الأمور قبل إندلاع ثورة أكتوبر ١٩١٧: «إنها بداية الإهمصار الذي سيوشك على الإطاحة بعرض الرماثيين».

بدأت بعد ذلك فرق إرهابية مصممة بإغتتيال رجال شرطة ورجال دولة آخرين عشوائياً. ثم اندلع قتيل الحرب الروسية - اليابانية في عام ١٩٠٤.

كانت روسيا تجرف نحو أوار الحرب مع اليابان لعدة أعوام خلت ولم رأوا (سججوس وت)، أحد أبرز رجال نيقولا، جهداً في تحذير القيصر من

مخمة الوقوع في حرب مع اليابان. لكن جهوده ذهبت أدراج الرياح. كان الصراع دائرا بين روسيا واليابان حول كوريا ومنشوريا، فبعد تمرد «بوكر» سنة ١٩٠٠ استغلت عدة دول ضعف الصين فاحتلت روسيا منشوريا في محاولتها السيطرة على الشرق الأقصى بعد إنشاء مكة الحديد ترانس - سيبريان وهنا طفق مراع بينها وبين اليابان حول كوريا الشمالية والذي لم يكن فيه الروس على حق ومع ذلك رفضوا العدول عن موقفهم. وعليه قدم بطرسبورغ رجل الدولة اليابانية الكبير (إيتو) ولي يجتبه حلاً للتزاع ملعباً، لكنه لم يلق من الروس إلا الاهانة والتوبيخ. لذلك شرع اليابانيون بالتقدم نحو كوريا الشمالية وأعلن الروس الحرب التي انعدمت فيها الكفاءة لجنرالات روسيا فتنازلوا سريعاً أمام ضغط الجيش الياباني عن ميناء (أوتو) ثم (ساكدين) فيما صدرت الأوامر للأسطول الروسي بتدمير الأسطول الياباني والانتفاف على نصف العالم. وقد أوشك الأسطول الروسي على إشمال حرب مع إنكلترا بفتحه النار على أسطول سيد بريطاني قرب ضفاف «دوجر» ظاناً أنه أسطول تابع للبحرية اليابانية. ثم وصل الأسطول الروسي أخيراً إلى المياه اليابانية لكنه سحق وأبدي في توسشيا على يد القوات اليابانية. بعدما أرسل القيصر «نوت» لعقد هدنة مع اليابان فنجحت مساعيه برغم توقعات الكثيرين بالفشل... ولم تحصل روسيا على موطن. قدم لها في الشرق الأقصى.

(١١) «نوت» من «دوجار والاس» الذي أرسله (البريد اليومي) للتحقيق في حادثة غرق دوجر إحدى الملوخات المرسية من حامية نظام الحرية الروسية ذاكراً أنه وجد في (نيكرو) في إسبانيا أنباء عن الصباط الروس المحض الذين كذبوا حاضراً الحادثة وقد شرعوا له كيفية حدوث حادثة الصباطين مرسية لأسطول اليابان وأسطول الصيد الإنجليزي بسيد القصب. ابرق (والاس) (المسكو) والذي تتوقف فيه البحرية الروسية - لأجل الحصول على تفاصيل أكثر عن الحادثة. هناك اكتشف بأن الصباطين اللذين أعتراه من الحادثة قد أعدوا وألقوا طعناً لجبان البحر.

إن من بين من نفع على هاتقهم مسؤولية نشوب الحرب رئيس الشرطة (يليف) الذي قمع أخركات الثورة المناهضة لحكم الكندر الثالث وربما كان أكثر رجالات الدولة بقصاً في روسيا. فقد اعتقد أن «حرباً ناجحة» قصيرة الأمد» مستنح القيصر شعبية وقام بتلفيق عدد من التهم ضد «نوت» المعارض للحرب وزور وثائق مزورة بالإنشاء للحركة الثورية. لكن الحظ أسعف الحق فقد ألقى أحد الثوار بقتيلة تحت عربت وهو في طريقه لمقابلة القيصر حول هذه الأكاذيب مزقته أرباً أرباء. حتى تطلب لم أسلحة المتناثرة ثلاثة أيام بعد الحادث الذي وقع في تموز ١٩٠٤.

وسرعان ما تصاعد المباح الثوري وساور القلق السلطات من مغبة إتخاذ أي إجراء عنيف من شأنه أن يؤل العالم عليها ويكبح جماح الثوار في أرجاء روسيا قاطبة. لكن الحجة خذلتها فلجأت للتأمر مع قس كميل عمرض لها بدهى «جايون» والذي عدا المتحدث الأول عن مطالب العمال. وافق جايون على قيادة عدد من العمال المتدينين للتفاوض إلى قصر القيصر الشتوي حيث يقدمون التماساً. ثم قسام جايون، في الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٠٥، بقيادة صفوف العمال في داخل العاصمة وقد انضم إليه كثير من العمال والنساء والأطفال، ولكن ما أن وقفوا أمام بوابة القصر الشتوي متشددين «أباهم الصغير» (القيصر) حتى قشعت عليهم الكتائب الحكومية نيرانها بمقمة الصفوف ومقتالة الجمع بها في ذلك الأطفال الذين سحقوا تحت الأقدام... ثم لاحقت فرقة من القوزاقين الراجلة المنيين العزل وضربت بالسيف اعناقهم. بعدها أطلقت المدفعية نيرانها لتصيب ما بقي من الحشد في نيفسكي. كان نيجينسكي حينها مدب في سن الخامسة عشر وقد كان ذاهباً إلى مدرسة الرفص عندما حرره الحشد المخلط ثم أدرك بأن الجنود القوزاقين يلاقون الناس على مسهوات حياتهم.

ومع الحشد تلقى مسوطاً أفقده وجهه. قام نيجنسكي لاحقاً بمساعدة أحد رفاقه في المدرسة في البحث عن حشة أخته بين أكوام الخبث لكلهما فتشلا في العثور عليها. كان ذاك اليوم أحداً تطلع بدماء مائة وثمانين قتيلاً ومائتي جريح. «من طرقت الأشياء مسامح القيصر سأل منهلهاً. «هل أنتم والتقون أنكم قتلتم من الناس حدداً كافياً؟». وهذا ليس بغريب على القيصر فقد كان دائماً مؤيداً لاستخدام العنف والقوة لتوطيد دعائم حكمه. حيث علق قائلاً: «وافق حيدون» مادحا كنية (الفاتا جورتيي) التي أطلقت النار على العزل من الممال. وربما يكون هذا القول متشبهاً من تعليق القيصر على تقرير عن موظف حكومة في دول اللطيق قدم شكوى عن غسائط كان يقدم الناس دون محاكمة: «اوه يا له من وظيفي جيدة».

كان أمراً مقضياً أن ينصتقم الاضطراب في روسيا. فقد تمرد طاقم البارجة «تومسكي» وقتل غسباط السفينة لخرقة. وتقمص (ايزنشتاين) بعض الوحشية التي جاشت بها الشرطة المتسردين في فلم له عن التمرد الروسي سياً في الحادثة التي أبادت لديها الشرطة المدنيين على مدوجلت اوديسا لتقدمهم الطعام للمتسربين. من الأهمية بمكان هنا أن نتذكر أن حوادث كهله كانت تتكرر عاماً على مسرح الشارع الروسي. وقد كتب أبقا (ارمياشف) عن هذا العنف في محله «حكايات عن الثورة» كانت حكاية «النشتر» من أبرزها وتحكي قصة مدير مدرسة هادي الطبع مسامح المعثر أصابته قسوة الجنود ووحشيتهم بعزاز محزون، فطم أهل القرية في صفوف كل يرقب لحظة انقلاصه... وسمح لفسه أن ينظر ساعة وداعها بعد أن نودع أهالي القرية جميعهم. لكن كتب التاريخ فعلت، لموضوعيتها الشديدة. عن ذكر هذه القصص. ولسو الحظ كان القيصر حذو كنتم صد هذه الحقائق المريعة وهذا فقط ما يفسر القسوة اللامبالية لرجل

ليس قاسياً في طبعه.

عمت أرجاء روسيا انتفاضات حلت أغلبها حلو لمرود (ستينكا رازين) (بروكاشيف) حيث يقتال الفلاحون اصحاب الأراضي وهوانلهم ثم تتحرك بعدها الفرق العسكرية لسحق التمردين عبر أشنع الأساليب. كان قدر التاريخ الروسي مبتغى لو شاهد القيصر بأمر عينيه إحدى هذه المجازر، فهو سيترك ثمن إستمرارية ايدولوجيته البالية الذي يدفعه الإنسان الروسي من خلال عذابه لكن نيقولا اعتصم في قصره ودعا بعض قادة العمال لشرب الشاي وألقى عليهم عاضرة جديدة قاسية. فكان رد الشوار على ذلك قتل حديله الدوق الكبير النروخش (سيرجيوس). لقد لازمت اليزابت -أخت النزارينا- زوجها طيلة أسابيع صديدة على أمل أن ينقل وجودها زوجها من القتل المحتوم. وكانت محفة فيما ذهبت اليه حيث ذكر الإرهابي (كالييف) بأنه كان على وشك قذف قنبلة على عربة الدوق لكنه احجم عن ذلك خندم رأى (اليزابت) بجاتيه. وشاء القدو. فيما بعد، أن ينجلول (سيرجيوس) في يوم ما أمام البوابة الأمامية بمفرده فالتقى (كالييف) قبلته التي أحدثت انفجاراً هائلاً، حرقت لشدة (اليزابت) خارجاً لجسد زوجها وقد انفصل رأسه عن بقية جسده على الرصيف، ولملت أشلاء منه من حل سقوف الجيران ووجدت اصبيحاً له حل سطح «الأرسنال». ها قصدت اليزابت بجدوها ميلها البهني الى كالييف في سجنه وعرضت عليه إنقاذ حياته إذا ما تأسف على إعتيال زوجها، لكنه رفض وقال أن حياته لن تخدّم فضيله الأكبر أكثر من مماته، ثم سار للمسقة واثق الحطى مرفوع الهامة لا يتر له طرف. لقد رقب السلاط ملوك اليزابت بكثير من الريبة. فالجميع قد مقت سيرجيوس الذي كانت صوه معاملته لزوجه فلك المحسن في البلاط.

طمع القيصر، وقد لاحظ له في الأفق بلور ثورة شعبية، في مشورة

(سم حيسوس وت) الذي هو رجل خرج من بين صفوف الشعب ليصبح أكثر وزراء القيصر ولاء وأكثرهم للقيصر عليه اعتماد. بيد أنه تحمل بحب الذات مع شيء من المكر والحث في شخصيته. لقد أحبر القيصر أن أمامه للقبضة حلين لا ثالث بينهما: إما أن يوطد نظاماً عسكرياً دكتاتورياً أو أن يمنح الشعب قدراً من الدستورية. داعيت فكرة الدكتاتورية عقل نيقولا كثيراً وكر أن يأخذ بتلايينها الدوق نيقولا الذي أبى أن يكون دكتاتوراً حتى لا يموت بقبضة موقونة وعدد يقتل نفسه إذا ما أجبر على ذلك. وعليه وافق القيصر على مفضي أن يمنح الشعب شيئاً من الدستورية. وأصدر إعلان تشرين أول سنة ١٩٠٥ الذي منح الشعب حرية الكلام والتعبير والمقالات والإجتماعات وحرية انتخاب ممثليه في مجلس نيابتي سيطلق عليه اسم «الدوما الإمبراطورية».

أثبت تنازل القيصر شعوراً بالإستهياج والسلام بين عموم الشعب لكن الإعلان لم يكن سوى غمامة صيف لمرغان ما أدرك الشعب أن (الدوما) لم تكن في جوهرها مجلساً نيابياً . . . فالحكومة بقيت على حالها وعملت على حرقلة (الدوما) لم تكن مجلساً نيابياً بالمعنى الحقيقي . . . فالحكومة بقيت وطرقت كل سبل من شأنه حرقلة (الدوما) في ميزانها فكان غماض ذلك أن اتسم التقدميون إلى قسمين رضي أحدهما بواقع الحال وهارضه الآخر. ركب «وت» الذي شغل منصب أول رئيس وزراء في روسيا المنصب في مسماء التوفيق بين الأحزاب وعادة كسب رضا الجميع. لكنه رجع بخفي حنين وأثار عليه حق القيصر الذي شعر أن «وت» بدأ يفقد سلطته شيئاً فشيئاً، فأقاله لذلك من منصبه ثم حل نيقولا (الدوما) في (نوبة امتياز) وأناط به (جيروميكن) منصب رئيس

(١) للدوما: المجلس التشريعي في روسيا القيصرية.

الوزراء والذي كان هيأ من يئذ افترضت مهمته في البلاط على إطراء القيصر من طريق التأكيد المستمر له على أنه ما زال الحاكم المطلق لروسيا.

ها هنا ظهر على مسرح الأحداث أحد أعظم رجالات روسيا ألا وهو (سير منوليين) حاكم (ساراتوف) كان منوليين رجلاً محافظاً وملكياً لكنه كان في الوقت عينه رائداً من رواد التقدم . . . ورجل اجتمعت فيه الشجاعة والجرأة والعدالة والذكاء. طساف بعد ثورة ١٩٠٥ في أرجاء روسيا ليعيد إليها استتاب الأمن والنظام بقوة شخصيته ومقدرته على الإقناع. وفي إحدى القرى النائية، أطلق الفلاحون النار عليه خشية أن يطش بهم لسان يحزم وسط الرصاص وترحاهم ألا يطلقوا النار حتى لا يضطروهم الأمر استخدام صلاحياته العسكرية مدعهم، ثم أمسك أحد الشوار يكمن سترته متعدياً فطلب منه ستوليين بريافة حاشاً رائحة أن ينزل يديه ففعل الشائر واستمر منوليين في مسيره. التي بعدها القرويون السلاح وتلقوا من المعاملة الشفقة والرأفة.

شغل منوليين مكانة عظيمة في السنوات القليلة اللاحقة وربما أجرى مع الإصلاحات التي طالب بها البلاشفة. ومرة أخرى أحقق الثوريون في ذلك أن الرجل في صفهم، وشرعوا عليه بعدة محاولات اغتيال. وقد نجم عن إحدى تلك المحاولات تفجير منزله فأقعده إيته مدى الحياة وجرح ابنه وأصاب أربعين آخرين بين قتل وجرح دون أن يصيب منوليين بأذى. ولم تغبر محاولة الإغتيال هذه من شخصيته ولم تجعل منه رجلاً حقوداً باحثاً عن الإنتقام بل استمر في سعيه التقدمي. وربما كان أهم إنجازاته إصدار مشروع قانون يتيح للملاحين المطالبة بتعويضهم في القرية التي يقطنون. عارض الرجعيون القانون مدعياً أن الفلاحين أغنى من أن يستثمروا المراض. لكن منوليين ثبت مصروفه الذي أثبت صداد رأيه لاحقاً حيث شرع أكثر الفلاحين ذكاءاً في إقناع

الفصل الخامس

مدينة الأحلام

وطأت أقدام راسبوتين في عاصمة شعوبها الروحانيات والرمزية والنمك
للاعقلاني بأعراف وفنون وتقاليد القرون الوسطى... عاصمة كتب عنها
شاهد حي أن قاتلك قاتلا:-

«لو طاف بصرك العالم أجمع لما وجدت فيه مدينة تلعب فيها الروحانيات
دورا كذلك الذي تلعبه في بطرسبورغ» قال العديد من المنازل الروسية الفخمة قد
سكنتها أرواح مألوفة حيث تعرف أهد خفية على اليانو عندما يحضر احد أفراد
العائلة بغض النظر عن عمق اعتقاد المحضر او المحتضرة^(١).

ويورد الكاتب نفسه إشاعة مفادها أن وسطاء روحانيين أقنعوا القيصر أن
يجوز غمارة الحرب الروسية - اليابانية فلا غرابة إذا أن يشعر بعض الشباب
الشوري مثل (مكسيم كوركي) أن محبتين أسكوا زمام الحكم في روسيا.

وصل راسبوتين مدينة بطرسبورغ في مطلع عام ١٩٠٥ وحل في شقة
صحفي يدمى (جورج بتروفتش ساسونوف) وقد قاسه السكن حدد آخر من
الناس. أكثر راسبوتين تردداً على منزلي (المونسكرينات) ميلينا واتانتزيا تدفعه
رغبتة في الوصول الى البلاط سيما وأن ميلينا قد تقررت منزلة لدى التزارينا منذ

(١) برايل هودجيتس: يلاط روسيا في القرن التاسع عشر.

أن حاجتها في مرضها لكنها فقدت ثقة الترابيا في اخر زيارة لها لبطرسبورغ
لسبب وجهات نظرهما حول قضية الروحانيات ، وربما بسبب اعتزاز ايمان القيصر
في امكانيات وقدرات الوسطاء الروحانيين بعد اندحار روسيا في الحرب مع
اليابان . أو انه لم يعد يشعر بالحاجة لاستدعاء روح والده واستشارتها
الصبيحة كعادته في بدايات حكمه . وهل العموم احتفظت (الموتكرينات)
بمحاسن الشديد ومقدرتهن البارعة في استحضار الأرواح فيما فقدن ، من جانب
آخره رغبة البلاط القيصري بقدمهن .

احتضن الفراندوق نيكولا (زوج انا متازيا) راسبوتين بحرارة متميزة
سببها وقد أشفى له راسبوتين كلبه . لقد تجل اعجاب الزوجين براسبوتين حين
دعما عنه تكاليف اجراء عملية لزوجته حينما شكت من مرض داخلي في
بطرسبورغ .

طرق صيت (راسبوتين) أبواب العاصمة في زمن قصير على أنه صانع
معجزات . وقد كتب جاسوس من الاوكرانيا في تقرير له في الثاني عشر من
يونان سنة ١٩٠٥ قائلا : «تجتمع الحشود امام منزل راسبوتين ويضطر الناس
للمشظار يومين او ثلاثة حتى يحصلوا على إذن بالدخول ومقابلة الناسك ولم
يشال احد في ملاحظة قدراته التنبؤية ومراهبه وقابلياته في اجتراف المعجزات» .
هذه الجاسوس الى ذكر بعض معجزات راسبوتين مثل تحويله حفنة من
الذباب الى زهرة فواحة وعلاجه امرأة مشلولة أن أمرها بالوقوف والسير
محب .

من المحتمل ان راسبوتين شرع حينئذ في إرسال بعض الهبات التي كان

(١) الاوكرانيا : جهاز المخابرات الروسي في ذلك الحين .

بثقلها نظير اهلالة الحارفة الى بوكروفسكو مما مكى زوجته من شراء المنزل الكبير
في شارع بوكروفسكو الرئيس . وهو قد أهدر كثيراً من ماله المهدي اليه من
معجبه مع حفاظه على قوة الأسرة التي تشده لعائلته أخذاً بعين الاعتبار ألا
يسبب احراجاً لجبراه في بوكروفسكو للحال الجديد الذي أمست عائلته تعيشه .

عاش راسبوتين في منتهل وجوده في بطرسبورغ بدهو تام لإدراكه ان
الشرطة تراقبه عن كثب عما ولد لديه شعورا باللائياح لازمه قبل أن يعتاد
عليه . لكنه لم يدرك في حينها ان عبون الشرطة كانت تلاحقه بسبب اتهامه الى
احد الروسيين المخلصين ولم يكن مسؤولي الشرطة بمجازين من استغلال ما
يسمر لديهم من المعلومات وصيانتها بالشكل السامي المطلوب . لقد تحققت
الاوكرانيا من كل صفات الأمور في البلاد فاشياً مع عملها الذي انطوى أن تنفقه
دقائق الأمور في كل مكان . بيد أن من طبيعة عملها ألا تعلم - في أحيان
محيطة - الكثير من هذا الشيء أو ذاك . وغير مثال على ذلك عندما طلب من
(راشكوفسكي) مدير الفرع الفرنسي في امن الشرطة الروسية الذي فصل من
معه لأنه أدرج في تقرير عن (الطبيب) المريف فيليب أنه مشعوذ ودجال وأنه
فوضي صرتين في فرنسا بتهمة مزاوله مهنة الطب بدون إجازة . . .

اعتاد (راسبوتين) مرور الوقت على رقابة الشرطة في حركاته وسكناته بل
انه يحس ايضا في تكوين صداقات مع جواسيسها واستغلهم في أداء مهامه .

واخيرا جاء اليوم الأول من تشرين الثاني باللقاء الذي حلم به راسبوتين
شيرا . اليوم الذي كتب عنه القيصر في يومياته قائلا : «لقد تعرفنا على رجل
«اله» كريكوري - من اقليم (نوبولسك) ، وقد تم اللقاء في منزل ملبس» .

ليس من المعلوم على وجه التأكيد لمن يعود الفضل في ذكر (راسبوتين)

سرق يدي القوي، وقبلتها.

بعد أن (آلان مورهد) لا يكتفي بعرض (الغزاقبشتي) سبباً لدخول
السلطان مصطفى بالقس، لم يكن من غير ذلك إلا أنه من شهر أيار
من خيل أي دليل أن (راسبوتن) تنجح في كس ود القيصر وزوجته حتى بعد
معه من أول لقاء له به في أيار بديل وفيه من حلاصة رواية أليسان
ومع أن به مثلاً من فدية (راسبوتن) على إمام الأساطير ولم يرد عاباً ليهاد
وهو الحبيب اليكبي من براش الموت بعض صلواته في وصف القيصر لأهل
مع أنه مع (راسبوتن) رجل الله من قديم تولدت ليس هذا فحسب بل
أن ليهان غير تاريخ دخول (راسبوتن) البلاط القيصري بستين.

كانت الفترة الممتدة من ١٩٠٥ حتى ١٩٠٧ فترة عصية للقيصر ولروسيا
تشكلت (الدوما) الأولى التي سرعان ما صارت تعارض بعض تعريض
حكومة التي رفضت تقديم أسفائها وهو ما أثار حفيظة القيصر حشة على
معه المظنة من (الدوما) في أيار من ثلاثة شهر أي في تموز ١٩٠٦ ثم
كانت ثورة في موسكو في شهر كانون الأول من تلك السنة صاحبه اسم
مست و فاضة مناريس في الشوارع وإزاحة كثير من العماء دون أن يؤثر ذلك على
القيصر المقيصر صاحبه استوى في مهادها حاول بعدها من أعضاء
والأول الذين هموا عمر الخديوة إلى فليكا أن يوقفوا روسيا من عدم
الأسيرة من هناك إلا أن البيت لم يلق من يصفي إليه في شعب الأسيرة
التي صافته وتركته ينحط في صممه ثم تشكلت في عام ١٩٠٧ (الدوما)
عندها وفي حروب الغم نفسه تشكلت (الدوما) الثالثة وحدها في
في حصار خمس سنوات بات فيها راسبوتن الرجل الأقوى في روسيا مع
تهربته فطلب مثالي قد ناقضها الأخبار منذ عام ١٩٠٦ إذ من أول مرة

لنزاريا على مسئولية خدمات راسبوتن حين دسرت فتنة مرله وجرحته
أفعله. لكنه رفض مرصها ولم يقابل راسبوتن حتى سنة اعتياله في كيف
وحري بنا هنا نقل بعض من وصف متولين لذلك اللقاء:-

«تفحصي بعينه الناضجة منفتح المهمل من كلمات المحفوظات المتعددة
حذر على مهمتها ثم حرك يديه على نحو عريب أشاع في معنى موقراً من هذا
حشرة الخدائس قبل الشئ ويكفي أدركت رغم ذلك أن الوصل بعناتك فمودة
سواء المدطبي التي بدأت تترك الرقوى لتي لا أظن غير أثر الأسماع من
معه».

ويضيف (رودزيانكو) الذي ذكر هذا الوصف قاتلاً: «إذا ما كان
راسبوتن مثل هذا التأثير على الزارة الخديوية لنولين في عسى لنزاريا أن
تعمل بطبعها الضعيف أمام قوة كهله؟».

مع ذلك، ستر الخليفة أن راسبوتن لم يكن بحاجة لتوظيف قوة في
التيه المدطبي مع الرقيب التي هلته همتها لتصفين به فهو هذا حلاصة قوة
وهو المدخل الروسي من حصة عام راسبوتن القيصر وزوجته بالتيك من
ذلك. فربما فصحها تعاضد لهم له لا قيصر وزوجته من نفس طابع وهو ما
التيه بحاجة فعلية إليه وحلاصة لنزاريا التي كانت تشعر بها بحرصه
الأحقاد والمكائد. بقوله الكاتب المجهول لكتاب «مفرد القيصرية»:-

بدأ في هذه الفترة (١٩٠٥-١٩٠٦) السلوك الغريب للإمبراطورة
التيه حلا لنت إليه انظار من حولها. فسلواتها لم تعود الظهور إلى العامة
ولم تحم حاشيتها الخاصة إلا حل مقص وفي أمر طاريء. فالتبت نتيجة لذلك
السلوك جميع الاستقالات في البلاط. وفي تلك المناسبات التي يتحتم فيها على

القبصر أن يقيم مادة هشاء أو حفاً تتقدم المحوز المهيبة الإمبراطورة (ماري) وهي إلى جانب ابها لنحية ضيوفها. وعليه لم يحظ في رؤيتها إلا حلقة البلاط الصفة وسرت اشاعات كثيرة من تحفظاتها الخاصة تلك، فعضهم قال أنها تحس البدانة فانبعت نظاما الماتيا، خلافاً لنصائح طبيها، في محاولتها إزالة الشحوم وهو ما تسبب في انبيار جهازها العصبي. وقال البعض الآخر انها تعاني من اكربيا عصبية تغطي في حالات الإنزعاج أحياناً، وجهها وبديها فتمسك عن الظهور الى العامة. . . وآمن البعض ان التزارينا لم تكن سوى مجنونة بلهاء . . .

شمرت تلك المرأة الخجولة مرضياً أنها روح غريبة في بلاد جاهرها المعداد . . . ثم ظهر لها راسبوتين. . . . مجسدا القروي الروسي ومؤكدا لها حب البسطاء من الروس وأن البلاط وحده الذي يكن لها الكره.

وعليه امسى راسبوتين أباً ثانياً لها وفي تلك الفترة بالذات من عام ١٩٠٧ حرج اليكسي نفسه وتدهورت حالته الصحية. لم يشهد احد علاج راسبوتين للبرافيتش ولم يعلم أحد حل وجه التحديد تفاصيل ما حدث برغم أننا قد نأخذ من ما رواه ليبان وفولوب ميلر عن دخول راسبوتين البلاط. انها القوة والثقة بالعلم والطببة وحده الخير قد أشع بها راسبوتين. فكانت تحتفي بحفوره الأطباء ورجالهم ومخاوفهم من القدر ويستعيدون ايمانهم أن ارادة الإنسان قادرة على التحكم بقدره. . . فلم الحرف من القدر ساعة وجود هذه القوة الإنسانية الحارة. . . ؟؟

٥ قدرات راسبوتين :-

بصل الآن الى مسألة في غاية الأهمية من حياة راسبوتين، ألا وهي قدراته الخارقة على شفاء المرضى التي عمل عنها الكثير ولم يولها احد الاهتمام الذي

تستحقه فإذا ما كان راسبوتين يمتلك فعلاً هذه القدرات وإذا ما كان عضواً . . . كما هو مرجح على الأهل في الطائفة الخلبستية فليس من الغريب إذن ان يعتقد راسبوتين بمسه احد افراد الخلبستية الذين تتجسد فيهم روح المسيح . وهذا تحديداً مفتاح دو أهمية قصوى للشخصية المركبة لراسبوتين من جهة اخرى يؤكد اعتداله بأنه (محقق) معجزاته بمعمونة طيب يدعى (بادمايف) وهو مغربي زعم انه قد درس الطب في اقليم الشت وبدا قادراً على صنع ادوية ماحقة من تركيباته العشبية. ويذهب احد الكتاب الى الاعتقاد بان راسبوتين اعطى لبادمايف مالا مقابل صنع الأخير جرعات خفيفة من السم لملاح التزارينش وتركها في حجرة المريض لكي يستخدمها راسبوتين عندما يأتي للصلاة من أجل انقاذ حياته. بيد أن أحداً لا يستطيع ولو علم بالحياة الأمرية للعائلة المالكة أن يأخذ هذه القصة على محمل الجد وهي انها ذكرت هنا لتوضح وجهة نظر معينة حيال راسبوتين: انه الموقف الذي يرى راسبوتين دجالاً فطناً مؤثراً في سلوكه

هنا أننا لسنا أن راسبوتين لم يكن بالقيس الذي آمنت الشرايين، أبمكن إذن ان يمتنع بقدرات عسقية قادرة على صنع المعجزات؟ وثمة حادثة وقعت هام ١٩١٢ وتعلق بالبرافيتش فشل في تفسيرها وتبريرها حتى اعتداه. حين طرد راسبوتين من البلاط لمكانه نجحها له رئيس الوزراء كوكوتيف. فهي أبلول من ذلك العام وبينما كانت العائلة الملكية تتمتع بعطلة في (بيروفيتشكايا) بالقرب من كروندو فقد التزارينش توازنه وهو يقفز خارج زورق وكدم ركنه مما منح عنه نزيف داخلي ثم تسم في الدم، سكنت بعدها الحمى جسد الصبي لأيام عديدة اعان فيها الأطباء عن بأسهم المطلق من إنقاذ حياته. وقال فيدوروف، رئيس اطباء القبرص أن شبح الموت لا يبارق الصبي إلا باستخدام جرعات قوية من دواء شديد المعالية لكنه لا يقوى حالاً على اعطائه للصبي فل

١- ... في تلك الأثناء من حديثها (الرافعة) ...
 ٢- ... في تلك الأثناء من حديثها (الرافعة) ...
 ٣- ... في تلك الأثناء من حديثها (الرافعة) ...
 ٤- ... في تلك الأثناء من حديثها (الرافعة) ...
 ٥- ... في تلك الأثناء من حديثها (الرافعة) ...
 ٦- ... في تلك الأثناء من حديثها (الرافعة) ...
 ٧- ... في تلك الأثناء من حديثها (الرافعة) ...
 ٨- ... في تلك الأثناء من حديثها (الرافعة) ...
 ٩- ... في تلك الأثناء من حديثها (الرافعة) ...
 ١٠- ... في تلك الأثناء من حديثها (الرافعة) ...

التأثير في هذه الدورة المدهشة... المدهشة لكونه في وقت لاحق...
من تلك المرات... على... والأمراض... من...
في... التزلزل... البرقية... دليل... على... هذا.

والسيدة (ابدي)، وأقل هنا هذه من المرحية فهي توجز على نحو رائع الطريفة
الأفكار التي استخدمها طلبة السيدة ابدي وربما استخدمها واسبوتين:

القت السيدة (ابدي) كويمبي عام ١٨٦٢ وعمرها واحد وأربعون عاماً.
وقد كانت مصابة بوسواس مرض هستيري ونعالي من ضعف في العمود الفقري
ويشال في يديا وساقها مع نوبات إغواء تخشي في فترات متقاربة.

كويمبي : اعطني يديك

ماري : لا أستطيع فيها مثلولتان

كويمبي : (أخذتا يديها) : انظري في عيني

ماري : حسن-

كويمبي : كيف تشعرين الآن؟ أنا سأقول لك.. انت تشعرين بالم مبرح.

ماري : نعم

كويمبي : ليس باستطاعتك النوم لأنت تعانين من تشنج حبلك طوال
سنوات.

ماري : اجل... اجل

كويمبي : لقد أخبروك أنك مثلولة... لقد أخبروك أنك مثلولة. لقد
قالوا لك أن كامل جسدك مسموم وأن مرضك لا شفاء منه... وانت قد
صدقت بزعم هؤلاء الأطباء الجبهة الذين لا يعلمون شيئا عن طبيعة الرجال
والساء. فما جدوى خنجر الجراح لو قطعت جسد المريض فحسب؟ ان المرض

ليس بشيء من الجسد بل هو مرض العقل الذي يؤثر على صحة الجسد. وعليه
فإن من يرفع من الأطباء عن المريض هم العقل سينجح في شفاء جسده. فالعقل
يعيد الصحة للمريض من الناس... فهو المالك الثاني.

ماري : العقل هو المالك الثاني...

- كويمبي : انت تجلسين قبائلي وتنظرين إلي فلا ترين احدا غيري. اما
فحسب. اتركي العالم وراء ظهرك وانسي كل شيء... الأطباء الجبهة وعائلتك
وناصحيك وكل الآذي الذي تعرضت له. وانسي حبوب الدواء والأطباء
السخفاء فلما جالس امامك وأنا الذي اعابجك.

ماري : ان... ت... ت... عا... بلجي.

كويمبي : (يغمس يديه في الماء ويثره عليها):

أنا الغمس يدي في الماء الفتي وارشه على جيتك. أما اشعر ان أملك يتقل
إلى يدي اتا... انت لا تشعرين الآن بأي ألم.

ماري : لا اشعر... بأي ألم

كويمبي : كلا... ارفع يديك اليمنى

ماري : ولكني لا أقوى على رفعها

كويمبي : قنت ارفع يديك اليمنى.

ماري (ترفع يدها اليمنى) : اوه يا الهي.

كرومبي: ارفعني بذلك اليسرى

(ماري ترفع يدها اليسرى وتجهش بالبكاء)

والآن انهي

(محاول ماري النهوض ولكنها تقشع وتعود للجلوس)

كرومبي: انهي . انت ترغين في النهوض . انت تستطيعين النهوض .

(ماري تهض)

كرومبي: والآن سيري . سيري . أسري . والآن سيري الى هناك . (وقال

لنفسه بصوت مرتفع: انها فعلا تستطيع السير).

المرضى: انها لمعجزة....

كرومبي: تقولون انها معجزة؟ ان علينا البحث والسعي حتى نفهم

... هبة تكوينا ان من يتحدث من الناس عن المعجزات هم من يدركون
... العمل العزيم ليس في اكون معجزات وكل ما فيه يسير وفقاً
الطبيعة وما علينا الا أن نتأمل ونبحث.

عاشت السيدة ايلي طريقة كرومبي في العلاج وعلمتها لتدبرها رغم انها
... منه ففعله في تعليمها . ولكن أي حدود سنجبها وهي ما فتت
... من لسانات مرضية بين فترة واخرى ولا تنزع أحداً في علاجها غير
كرومبي القادر على ذلك من بعد ، لحاظاً ، ويفس النتائج ولا يكن بفرها^(١)

(١) اقرأ كتاب (السيدة ايلي) لماري ايتون فـ . فكن ، لكبة العلية ، ص ٤٨ .

كان كرومبي رجلاً نزيهاً من رأسه حتى الخصر قلبه ، حاجبه العمل وان
لعباً في بعض ما فعل مثلاً أنه قد بدأ في طيبته . اما السيدة ايلي فلم تكن
تلك من خصال القديس شيئاً فهي هسيرة ، دائمة الشك في نوايا الآخرين ،
عنة للإستقام . لا يطق لسانها إلا مالا كاذباً ولبية وكرجات حسداً .
وهي في العقد السادس من عمرها كانت تعتقد كرامتي ، ان الله . م
قدرتها على علاج الأمراض ومعه نفاذ بصيرتها في المحفوظات المقدسة .
بخالصها معلما كرومبي انها هلا فهو يقول بانه عز على الكشف .
فرتنا الخالي بحيث (ح . ب . واين) في علم التكهن السعي يرى ان عقل الكائن
الشري يمتلك قوى اطلقت عليها قرون الماضي صفة القوى طردة

ان قراءة في عبارة كرومبي يتحدث الناس عن المعجزات لانهم لا يفهمون
من قدرة العقل الا انهم ليسوا متأكدوا الا انهم صغوية عديم أي تفسير مطلق .
ظاهرة القوى الخارقة - أي القراءة والتخاطر وبعد العبرة ومع المعجزات
... الخ - لكن الأمر يستحق المحاولة .

نبح الامتداد (الهندود هوسرل) مطلع القرن العشرين حقة اذنية .
نفتني أن "الادراك البسيط أمر لا يتحدث عن الأعلب .
الكتب على ذلك وظاف عريك ارجاء العرقه ارمها هذا الأمر ثابت من
سمع فحسب كل ما يفعل حواس يد ان هناك مصدر في .
الاشجار والشجيرات ونسج وتجليات الأشجار واجبات من حلقه .
سمعنا جميعاً عن قصة هسيريان يعتقدون بانهم تعرضن للإختصاب او من

(١) هوسرل Husserl (١٨٥٩ - ١٩٣٨) . فيلسوف الماني . تساهل من العلاقات بين العقل
والشعور العالي واللغة والادراك الحسي لظهور الأشياء ومن ثم حطفا الصالح والانساني . أسس
مذهب الظواهرية الذي يقول أن الإدراك لا يدرك الا الظاهر فنكر عنون المظهر

وحال دين متعمصين خال لم أهم وأو المسيح والملائكة يسيرون عبر السماء .
 لكن الجسم المباشر في حالات كهذه أنها مجرد مرآة أو حقيقة لن يكون سليماً كما
 نرى . (فمن جيعاً تفعل نفس الأشياء طيلة فترة صحونا كل يوم) . وعليه
 يحصر الإدراك الحسي الوحيد الذي لنا وصفه بـ (النقاء) في الأصوات التي
 نفترق صامعنا ونحن بين الصحو والوسن او في الأشياء التي تراها والعقل فارغ
 من كل فكرة .

ان من الصعب اصطفاة العقل ، في ظل ظروف طيعية ، وهو مشغول في
 حلق وفرز الأشياء فهناك الحداء البصري الذي قد يمر عن وجوده بنماذج
 حطوط ، كأن يبدو خطان مستقيان خطين منحنيين بسبب وجود بعض الخطوط
 المستعرضة او عندما يتحنى خطان الى الداخل ويدوان اقصر من الآخرين بحيث
 الى الخارج وهذا ان دل على شيء قانها يدل على ان العقل يعتمد كثيراً على نوع
 من الاحتزال وموئناً انها حقائق لا جدال فيها . خير أن افضل وسيلة للدراسة
 قدرة الخلط والتشويه لدى العقل الإنساني هي من خلال دراسة علم النفس
 الجنسي والذهني لأن القوى قوى العقل تكمن فيها^(١)

اخرع (هوسرل) تقنيات دراسة قوى الخلط في العقل واطلق على طريقته
 اسم (علم الظواهر) وهي بلا شك اهم الطرق الفلسفية في القرن العشرين .

ان اول الخطوات اذن لنهم راسبونين هو ادراك وجود قوى تقف خلف
 هيئة الوهي وانما تتداخل باستمرار مع طريقة رؤيتنا للعالم الذي نعيش فيه وهي
 رؤية أقرب تشبيهاً بحالة امة تعتمد ان لها صحافة حرة مطلقة وهي تعلم بوجود
 صيون ترقب كل شيء يظهر في الصحافة . إن رؤية الأشياء كما هي لا يتأتى

(١) اقرأ في (الاصول الفاع الجسي) . المؤلف .

بمجرد أن تفتح عينك وتري . بل هي مسألة تدريب فلسفي طويل وفاسي .
 ويطلق هوسرل على فرعية (الادراك) اسم (نقطة الانشراق الطبيعية) . وان كل
 ما كتب عن راسبونين كان مصدره نقطة الامتشاف الطبيعية دون أن نشهد
 عاولة تأخذ بعين الاعتبار القوى العقلية الكامنة خلف حدود الضمير والتي لا
 يجب خلطها مع (اللاوعي) الفرويدي برغم وجود مناطق تتداخل وتشابك
 بينها .

نستج من ذلك بان (الادراك البسيط) هو مغالطة بعد ذاته . دل جانب
 التحامل الواعي الذي ندرک أننا نفرضه على العالم من حولنا ثمة الف تحامل لا
 واعي نفترض به أمراً واقعياً .

غير أن العقل (بضمي) دوماً (مبغلة) أساسية للعالم الذي يرى يمكن أن
 ندعوها مسألة اثبات الأشياء ونفيها . فالواقع يمكن رؤيته من خلال الشدة
 التصوي لمنصوف او في هليان امره شديد الإرتياب من الآخرين وفي مئات
 الطرائق بين هذين البعدين فالعبرة المشتركة توجد في نقطة ما في وسط الطريق
 بينها لما هي إلا طبقة في ناحية النقي .

وليس من اليسر تحديد مسألة النقي أو الاثبات محدداً دقيقاً طالما انما
 تتقبل تغيير أمرجتنا بين حين وآخر بصفته أمراً حتمياً ، كتبنا لسوء فهم في
 الملة او بثرة حي على الشقة .

يبد أن قدرة العقل على تلوين تجربته قد تيسر الوصول اليه أحياناً نأمل
 مثلاً علما المقطع من رواية (عائلة كوفليوف) (لشريدن) وهي احدى اكثر
 الروايات تشاوما في الأدب الروسي :-

كانت تعني حل يومها كسرلة لتخلص من كرسبها ونشر حل الطائفة
 لتمامها وفيه السج ويعلمه البعض حينئذ ثم تستيقظ وتطير وتطبل النظر من
 السماء ثم دوماً فكرة تشغلها... تحول بعينها في الحقول الواسعة الممتدة
 على مدار العمر لقد كانت (توكروبكا) كنية... ليس فيها للعين ما يمتنع...
 وفي من شواخص تزين موقعها... لا حديفة فيها ولا ظلال ولا مكان
 مستريح... وحتى الألبه حلقها ترحي بالخراب... وتند حولها من كل
 صوب حقول خزامية الأطراف... حقول تهرت من الشجر.

لا يبدو ان الروائي يوضح هنا أي تلفيق ولم يحاول بلوغ نمط (كرواهام
 شير) في التقدم والمطر شاح كاستامة ابته وفي المشهد مسحة موحشة وهو
 جلد عادي، لكن الروائي يفرس في أمهات وصف ليرث:-

أطارت نظراً إلى الأفق... ونظلت إلى المرى العازقة في المطر والتي بدت
 شبح سوداء حل الأفق... وإلى الكدس البيضاء في القفار وإلى دفع الفضل
 الملونة التي كونتها القمامات حل السهل.

شير وصف الروائي والفقرى العازقة في المطر والتي بدت كقبح سوداء حل
 وأنه القدر الذي تغل غفلة الوصف الكتيب وأثره قليلاً، ومعدة
 مستطرفة من مصفات الحياة... لهم رائحة المطر على الطرق البتلنة ومنعبد
 في ذهن كل صلاحي وروائع مزية من في يوم ممطر... ومنهد للحظة الاختيار
 ومرة لهم أنت دعائهم أحاسيس الروائح ومنفوح عنها رائحة الحدة
 من عسة لمركب حينها أما ك صحة نوع من لغة الثقة... لغة مارسها
 من صفاء من طريق انبساطا تفكري هل ملاحقة حواس معينة فقط من
 حد حسا وهل إطلاق الذهن لهذه الحواس في تكرير امرجسا... أما لمركب ما

لسهل العادي الكتيب الخالي من الشرح ما هو إلا حائناً واحداً من الحيلة. وما
 يرى (هان كوخ) هذا الوصف مشوها بقوة الحياة أو ملتصقا كجوهرة فريدة. بعد
 تسعين من روح القلم يدور من حديد وقد ان يحد في القلم هو
 طرد المعرفة والتواضع... ان ما تحدث فيه قراءه حياء الروائي وهو جرد
 بصره وانتهى خلق لوحه مع في العنق هو ان (خواس) يتضح ان في
 دمه شراً مستديرة في الحياة الطبيعية ومنعده المزية اشد إسطفاً له...
 بدلاً من ان تظل صجينة وسط جدران لا مربية. ان العقل مروع على ماء
 جدران لامرلية وعلى انتخاب وعزل ما يراه... لما اشبهه بجواد مطلق مع
 روح وعليه ان يذهب عند إشارة جرد... ان النظرة شמושة الالام... وفي من
 معانفت ومفدينا حل البقاء... وليس في امضا طرفة... حناها مسفا... (أومي
 سموي) استاذ الزمان قدوة رغم أنه (مكتهف) في حدود حواسه...
 لما يشير إليك... حل الخروج (من هذا الكهف إلى ضوء) دفع (الوقت) والوقت
 ويشعر مربة الواقع احزني (أولم يته) ولا أي أن من الحواس وما
 لاقرص ان الإنسان قادو حل الخروج من عذوبة حواسه إلى ضوء والالام...
 يتطلب نظام عقلياً شديد القوة او يتطلب استخدام عذبات معينة...
 المتكاثري... ومع هذا يبقى مقدور من يدرك أن نقطة الاستدراك الطرفة...
 ليست هي الحقيقة المطلقة بل هي حروف محسنة الخروج وقتها شاء وانحر
 من فيود حواسه

ان احدي قواعد نقطة الانشراق الطبيعية لديماء باعتبارها كانت
 احتمالية. هي تنهي موقف يطوي على انعدام حيل العاة من حواس... وما هي
 ليست بالبرية المنظمة التي عطلت المراحيات لخدمة اعداء كوح عندما كانت في
 هي الذوق... ومن بعدة إلى بعد ايضاً من اعتبارات الحواس التي تراها في

رسموماته او في بعض من أوراق الشر التي كتبها تيشه.

اما «الامكان» فيصل الى اكتشاف على جانب من الأهمية مفاده ان اعتماد نفسا في العالم شعور مبالغ فيه على الأرجح. كتب هـ. ج. ويلز قائلا:-

«اذا ما حطم الانسان الجدران الورقية لطروف حياته اليومية.. تلك الجدران الوهمية التي تكبل أغلبنا من المهد الى اللحد، فيكون قد فعل صنيعاً جديداً، وانما ما هذا العالم كآبة فان يوسلك قلبه».

ان اول الخطوات هذا الرفض الفردي لنقطة الاستشراف الطبيعية هي التصميم على هجر الطمأنينة التي اعتادها الإنسان.. وسيضحى طبعياً، من يشي هذا القرار نابذاً للعالم وجوالاً بنشد الحقيقة.

صحيح ان «المثالية» لا يمكن ايجادها في العالم الخارجي وأن كثيراً من رومانسي القرن التاسع عشر قد كتبوا اعمالاً يكتنفها اليأس ينتهي فيها الجوال او السائح بالإشجار او الموت من شدة الإرهاق. لكن حفنة منهم حاولت ان همس وقع ان يكون المرء جوالاً ورياً اكتشافاً أن مجرد تموالم في أعقاب «المثالية» سيحلب لهم بعض التغيرات ويمنح قدراً من الحرية من سجن الشخصية الأولى. ان نذل للدعة والطمأنينة يخلق بدءاً شعوراً صحيحاً لبداهة زيادة وشعوراً بالعوق حل من ظلوا مكتسبين برداء الخوف من الحياة كما يخاف المذموم من القيد. ويتلقى الوجود كله عنفاً ودقنا جديداً.

ساد ان التغيير الذي يمكن ان يحدث، نادراً ما يكون حميداً ومواصل ادا ما يمي مبيداً عن الدين لأن ما من شيء يمنع تكون شخصية جديدة قائمة على اللاطمأنينة المادية على ان تكون هذه الشخصية الجديدة بالضرورة آدمي من

الشخصية القديمة في حواس مريبة. فمثلاً مرهان ما يدرك «الجوال» او «السائح» أنه يدفع في السويحات الأول من رحلته. ثمأً ليهجته وحرته انتشاله منات القلائل الصغيرة اين سينام؟ وكيف سيستدير وجبة الأكل القادمة؟ وسيختبط في شعور الفياح للعالم الخارجي يتطلب الآن منه اهتماماً أكثر من ذي قبل. وهذا التفاقم في الإهتمام للعالم الخارجي يتطلب اهتماماً متكافئاً له في الحواشي الذاتية. لأن شعور الفياح يستوجب توازناً مضاداً له بالعودة الى جوهر الهدف من هذا الترحال في اهتمام الوهمي وهذا لا يتم تخفيفه إلا بالصلاة او التأمل. ان الصلاة نبذ للشخصية الواعية. وبينما توجه صلاة للمتدين الجاهل بدواحل الايمان خارجاً وكأها مرجحة الى سلطة ماء تنجيه صلاة المؤمن لطربا الى الداخل.. الى نوع الهدف الذي يفترق الوهمي والصغير كخندق شديد المحق وفي حالة كهله يصعب على الشخصية الجديدة التفوق في صدقة محبة وسيواصل معها الدافع الجوهري للحرية.

ثمرة هذا الموقف الجديد حيال العالم الأكثر أهمية هي انها تطور «الدافع الزهدي» حيث تبدو الأشياء (مختلفة) من سابق حالها لسبب بسيط هو نشر الادراك الحي بمزيج من الفعالية. و (ستتفتح) الحواس وستملك مزيداً من الطاقة في خزينها وسيترك عن الطاقة المخزونة عدم ثقة لمواجهة طوارئ الأمور. كل هذا سينحدر ويطلق. وسيدعم وصوح الغاية العقل الذي سيبدأ ويكون محاصر هذا التسبب بين المخ والأعصاب والجسد درجة جديدة من الصحة ويدرك جميع الأطباء أهمية الموقف العقل للمريض تجاه المرض فمن يظل الموت «أمة» مرصمه يكون قد خسر نصف المعركة والمكس صحيح. وهذا ما يعبر صرحه راسخون الفوية والثنية التي تصل الى حد يصح فيه مجرد وجوده قادراً على منح القوة لشخص مرهض

لبس من الغريب اذن أن تنحس زوجة واسبوتين التعبير في زوجها بعد
عوده من اول زيارة له لملسطن. فمعظنا يمشي غار تخربة نغير كبرى في
الشخصية لا غير عند العود من المراهقة إلى دور البلوغ والتفج، وتبقى
الشخصية ساكنة مستقرة بعد ذلك. اما راسبوتين فقد نجح في المرور بدوري
ناوع في حياته واكتشف ايضا ما تجلت له صيغة صائبة لإحداث تطوير جديد في
الشخصية وهي الصلاة ونبد متاع الحياة. وكان راسبوتين - يجد في الصلاة
والتمسك قوة لا نظير لها وامضى حياته لا مباليا وعازفا عن الرغبة في امتلاك
حطام الدنيا.

من كل هذا ندرك الآن سر امتلاكه لسطوة عظيمة كهذه على القيص
و لترايينا اللذان طاردتهما المخاوف من القدر المضح المشؤوم ومن نهاية حكم
سلانها، فقد نظرنا الأمر مقتضياً أن يعاردهما القدر بسوء حظهما في موقفهما
هذا قد جاءا بسوء الحظ على نفسيهما. لقد أساقت عليهما الحقائق (نقطة
الاستشراف الطبيعية) فيما جسد وجود راسبوتين انكاراً للقدونية ورفض الانسان
للهزيمة الهائية. وبينما كان كلاهما عصبياً، أمسك راسبوتين بزمام أعصابه،
شأن هو في قمة السيطرة على زمام أعصابه. وكانا مدركين لضرورة وعجزهما
دشتر اما هو فقد كان يعتقد بان احساس الإنسان بقصوره وعجزه ما هو إلا
ضابداً اهمى لا واعى... مجرد عادة قابلة للتغيير كبقية العادات يا فيها عادة
الحروف من الموت. وبات القيص وزوجته في حضوره أكثر ثباتية فهو مصدر
طائفيهما. وبينما كان عقل كليهما نصف نائم يخلط الاحلام بالواقع، كان
عقل راسبوتين في اقصى درجات الصحو.

غارجييف:-

لا نملك، لشديد الأسف، قصاصة ورقة كتبها راسبوتين بخط يده في
اولى سنوات ترحاله كما لم يتحدث عن شيء منها لأحد. لكننا نملك من الوثائق
ما يكفي عن اشخاص نهجوا نهج راسبوتين، سيما معاصرة جورج ايفانوفيتش
غارجييف، الذي سيدهم اللقاء القصر على حياته بعض ما يقال عن راسبوتين
بشكل او بآخر:-

ولد غارجييف في الوقت حيث ولد فيه راسبوتين تقريبا في
(الكساندرابول) في اقليم (ارمينيا) وامضى طفولته وشبابه في (كارس) التي كانت
جزءاً من روسيا ولكنها الآن ضمن الأراضي التركية. اتمت منذ نعومة اظفاره
بالسحر وبالقوى الخفية للعقل وقد شاهد في صفرة الدراويش وهم يقومون
بأعمال بطولية خارقة بواسطة السحر وشاهد ايضاً طفلاً يزيدنيا فقد القدرة على
عبور الدائرة التي رسمت حوله. تلقى غارجييف تعليمه على يد حميد
الأكاديمية العسكرية في كارس الذي اعتقد بإمكانية غارجييف العقلية على
التطور. وما ان ادرك غارجييف ذلك حتى قرر التجوال سعيّاً وراء اجوبة
لأسئلة أفنقت مضجعه تتعلق بشخصية الإنسان وحدود قدرته وحجم
إمكانياته. وقد روى بعضاً عن رحلاته تلك في كتابه «اللقاء برحال حديرين
بالإهتمام»، وفيها سافر لأستراليا والتت حيث خدا معلماً خصوصياً للفن (داليه
لاما)، وذهب في بعثة لصحراء كوبي المهجورة بحثاً عن مدينة مطمورة
استغرق في تحواله زناً يقارب ما استغرقه راسبوتين في تحواله، ثم شرع على
مدى العصف الشاي من تسعينات القرن التاسع عشر وبواكير العقد الأول من
القرن الحالي بالغاء الخطب في موسكو على مجموعات من التابعين المعتارين كان
يهمهم (هي دي اومبيكي) الذي التقاه هناك عام ١٩١٤ وبات نلحذه السانغ

طل غارجيف مراوحاً بين بطرسبورغ وموسكو وموزعاً نشاطه هنا وهناك وقد
أجمع كل من التقاء على امتلاكه صفات أعادت إلى ذاكرتهم صفات راسبوتين
وهو عبر (البولين بويز) عن ذلك بقوله: «في وجوده سحر غريب يترك أثراً على
الأعصاب هل نحو غريب». وأطلق على تلاميذه صفة (أراب منومة
مخاطبياً). كان (روم لاندو) من أوائل من قارنوا غارجيف براسبوتين.
ووصف لقاءه له مع غارجيف قائلاً:-

«كنت حذراً ألا أنظر إليه وأن أحجب عن عيني نظرتيه اليهما لأطول من
دقيقتين في أقل تقدير وسلخت طول الوقت أنظر إلى العنسي بيد أن شعوراً
بالضعف بدأ يتسلل لأهياقي شيئاً فشيئاً.

كنت يقظاً وواعياً لما يجري في داخلي وكنت انحس هذه التجربة الجديدة
المثيرة وأنا في أشد حالات الإدراك. كنت اشعر برجفة شديدة محتاج معلن
بلمت دوماً درجة الألم الجسدي والخوف. لم يسر هذا الضعف إلا لمعدني وساقني
النشاد تخللها إحساس أشبه بإحساس المرء قبيل دخوله قاعة المحكمة. لذا كنت
واقفاً أن ساقني سيخذلانتي أن حاولت التهرؤ.

وبمرغم أدركني أن حالتي المريبة التي أمشيها الآن ناجمة عن تأثير
غارجيف. فقد بقيت ساكن الروع حتى هزمت على الخروج منها أن ضاعفت
من تركيزي على صبر الحوار بيني وبين العنسي وشيئاً فشيئاً اختفى الإحساس
بالضعف وبدأت أعرد إلى حالتي الطبيعية مرة أخرى.

إن لتجربتي الغريبة هذه تعليقات عديدة... فربما كانت صبيحة من صيف
الربيع المغناطيسي أو حتى التنويم المغناطيسي الذاتي الذي أثره لسبب ما، على
الحذر السهل من جسدي... أو ربما شكلاً من أشكال القبض الكهربائي التي

يقال إن راسبوتين يمتلك منها ما يفوقه بكثير. ويبدو هذا النمط من الإشعاع
فاصلاً حتى لو لم يكن مالكه مدركاً وواعياً لوجوده وينتمي إليه كما تنتمي بعض
المطور والروائع لبعض الأهرق.

غير أن تفسيراً آخر لتجربتي الغريبة تلك لما يزل عائلاً. فربما اختر
العراق من نشأت (عائلة) لتتبع تجربتي - طبقاً لأراء العرافين - وهو (رودلف
ستيز) قد تفحص الناس بهذه الطريقة أحياناً والتي تتلخص أن تتطلع العينة إلى
روح المرء بدلاً من جسده^(١).

لقد انتقلت المقطع الأخير ظالماً هو يشير إلى القدرة ذاتها التي قبل أن
راسبوتين يمتلكها، وهي قدرة الغزو إلى «أهياق» الناس.

ولنقارن الآن تعليق لاندو عن غارجيف مع وصف يومسوف للقاء مشابه
له مع راسبوتين^(٢):-

«أصرتي» (الستاتيز) بالاستلقاء على الأريكة، ووقف قبالي وأطال النظر
إلى عيني. وأخذ يضرب بخفة على صدري ورفعتي ورأسي. وعلى حين غرة
ركع وشرع - كما يبدو - بالصلاة واضعاً يده على جبتي. ثم اطرقت حتى لم أعد
قادراً أن أرى وجهه

ظل على هذا الحال حيناً ثم قفز فجأة وبدأ يلرز الغرفة ذهاباً وإياباً. وبدأ
حين المعرفة بطرائق التنويم المغناطيسي. وذا قابلية عظمى على التنويم
المغناطيسي فقد أحست أنها تقهرني وتشيع الدفء في كبائي فأخذني الحذر وبدأ

(١) روم لاندو: «الله هو صخاري» غير وغير، ١٩١١
(٢) يوليس يومسوف: «راسبوتين» تأثيره الماكر والمهابة، ص ١١٣

جاءني مشلولاً حاولت الكلام ولكن لساني عصا وشعرت أن النوم قد
غلبني فما لم تست تحت تأثير عذري ومع هذا تلاأت حياء راسبتين كضوء
الشمس وأطلق من ثلبها شعاع المدمج مع الآخر وكونا دائرة لامعة براققة.
ثم رأيت دأ عمي أول وهلة ثم أحدثت بالانقلاب في أكثر فأكثر وكنت أشعر
أنني أمبر حبيبه والدائرة قريبة مني ثم لا يلتان أن يتلاشيا ويختبئا
في الدائرة حينئذ سمعت عني لقد أدركت أن (الستاتير) كان يتحدث ولكني لم
استطع أن أميز أي الكلمات ينطق.

هكذا كانت حالتي ولما جالس بل حراك لا أقرى كلاماً ولا أحرك
شيئاً من أي شيء ما يولد حياء وأدركت أنني كنت أقع تدويري في شباك قوة
هذا الرجل الغامض.

عني حياء ما شعرت أن قولي الداخلي بدأت تفقد ونفاؤه التوهم
الذي بدا لي بدأت حداثتها وتعاظمت قوتي في داخلي وفي وهي وطافت في عقلي
وأدركت فكرة غامضة أن صراخها عبقراً يدور وحده بيني وبين راسبتين وأن
حسني في معركتي ضدّها. أحالت دون فهمي من ثم حاولت تحريك
فمّي وألم لكنني لم أعير من حالي فقد اضطرت أمر راسبتين بذلك.

وكانت الآن قد أدركت أن أميز شخصه ووجهه وحبيبه فقد دانت من أمامي
الدائرة الزهية... وقال لي: أحسن يا عزيزي، هذا يكفي هذه المرة.

لقد أدركت الآن للحالين كلشاهما سؤال يتعلق بمدى تأثير التوريم العنطيسي
في هذه الحالة أو صراحة أكثر إلى أي مدى مستنكر في تلك التجربة
ومع هذا، ثمّة الختم من الدلائل المسجعة حول قدرة راسبتين
وعارحبيته التي تجعل من هذه التجربة وسواها حقيقة لا يتوهمها حياء. لقد

حرب (أوسبتي) الذي...
قد استأذنه المخاطرة بعد أن حده دهر طويل... وصف في كتابه في حبيب
البحث عن المحررة هذه التجربة وقال: استطع أن أؤكد أن عارحبي لم
يستخدم بشا أي طرائق خارجية فهو لم يعطي أي نوع من التحذيرات ولم
يستخدم أي نمط من أساطير التوريم العنطيسي المعروفة. سمع أوسبتي
صوت عارحبي: وفي أحمق صدره وأجاب عقلياً حل أسئلة عارحبي...
كان ألك جالساً بمعبة آخرين في شرفة.

لم يكن عارحبي. شأنه في ذلك شأن راسبتين. نقرأ من الإصدار...
تجربته. وثمة الكثير من الحكايات عن قدرته الحسية وهما يروي (روم لا...)
طرفة من مبددة اميركية هي (أحدى اعظم روتبيانا) كانت تخلص على طوله
قرب عارحبي وفداه شعب وجهها وشارفت حل الإغواء اعترف...
أعديقتها بلد عارحبي نظر إليها فشعرت فحده ماها أصيبت في صمم حدها
الجنسي.

ولم تكن أساليب راسبتين، وفقاً ما أوردته فولوب ميلر، لتختلف كثيراً
عن طرائق عارحبي برغم أن سرد (فيرا شكوفسكايا) أقل غموضاً.

حسبي لغرفة النوم عمراً ثوب... وما هي إلا برهة حتى استحال وحشاً
تعتريه رغبته. وآخر ما أذكره أن أسعفتي ذاكرتي، أنه مزق ملابسني الداخلية
وهضمت لومي بعدها. وصحوت فوجدت نفسي ملقاة على الأرض...
وجريئة

لأن ذلك كانت زيارتها الثانية وهي تحدث عن قوة التوريم العنطيسي
التي أقامها العودة إلى ثانية.

ان دراسة أهمى لغارجيف وراسبوتين من مريد من الصفات المشتركة بينهما، لكننا نقر هنا ان غارجيف يمتلك حقلنا انضغ واوسع من راسبوتين. ويقود ممرته قد «خول العقل» بصلاح الوحي التام. لكنه تجل. مثل راسبوتين وعكس تلميذه اوسينكي، متدينا بالفطرة وكثيراً ما ردد عبارة «بمون الله» في كتابه «اللقاء برجك جديرين بالإهتمام». ونور أراد القدر أن يلتقي القيصر غارجيف لا راسبوتين عام ١٩٠٥ لغنا اقوى رجل وياغض رجل في روسيا. لكن حسن طالعنا أبعدنا عن دوامة السياسة فأطال من عمره ثلاثين عاماً أكثر من راسبوتين حتى توفي في باريس بسبب التلخمة بعد الحرب العالمية الثانية.

نستشف من المقارنة بين غارجيف وراسبوتين جوهر المشكلة المركزية في شخصية راسبوتين، وهي المشكلة ذاتها التي قلنا بلغنا كتاب سيرته الذاتية ويبدو هذا حلياً عند قراءة عنوان احد الكتب عنه: «قدس ام شيطان؟». فهؤلاء الرجال ليسوا مجرد رجالين أذكيا بل هم أناس ملكوا قوة حقيقة. فحق لنا أن نسائل اننا: اي نوع من الرجال يمثلون؟ لما كان أحدهم بقديس وما كان برجل خارق- لوكانا نعني بالرجل الخارق نوع الانسان رفيع المقام. فكيف نحدد إذن هذا النبوغ الروحي؟

بسيط (الدوس هوكسلي) اللثام من مشكلة مماثلة في كتابه الموسوم «السمو الكتيب»، الذي هو دراسة عن الأب جوزيف في باريس. ويناهل الكاتب: كيف يوسع الأب أن يكون قديماً وسياسياً متفلاً في آن واحد، بل وأكثر من ذلك أن يقود المسؤول الأول من حرب الثلاثين عاماً؟ لقد مارس الأب جوزيف مبدأ الزهد في ابتعاده عن العالم والانغماس في حب الله وعمل في الوقت ذاته سفيراً ومستشاراً لـ (رئيسيلو) ودفع باوروبا نحو الحرب. وهو، كأغلب الساسة، لم يلمس مراقب أفعاله في إطار المعاناة الانسانية. وعليه أمسى

لفعله هذا مسؤولاً غير مباشر عن موت نهاية ملايين نسمة في ألمانيا وحدها. ومع هذا تثبت كتاباته أنه قد أحسن صينياً في حرب القذاسة.

لقد خبر شيئاً عن العالم الآخر - عالم السرمدية - لا بعقله فحب بل باطلاعه الفعل للمباشر عليه.

ربما أصححت القذاسة قاصرة لهذا السبب. فالتقديس أكثر اهتماماً بالله من اهتمامه الممكن لبني البشر. وثمة شيء يجذب ونافس في طبيعته. وخير مثال لنا في (راماكريشنا) التي لو قرأها المرء لتسلله نفس الشعور وتلجس فيها عصر الطفولة في تقواه لربه وفيها صحة أثنائية وحتى سخافة مطلقة.

وترداد المشكلة صموية لدى راسبوتين وغارجيف. فقد كان غارجيف- على سبيل المثال لا الحصر- مادياً بحتاً برغم ما قاله احد أتباعه انه اصبح محاً للغير واقل مادية بعد تعرضه لحادث على دراجته النارية عام ١٩٣٥. وقد خصص فصلاً كاملاً في كتابه «رجال جديرون بالإهتمام» للتعليق على آماليه في جمع المال والتي كانت تقفز للشريعة. ويبدو انه كان يجد متعة في وصف نلالته بينما كان راسبوتين حازفاً من المال لكنه كان عباً للنفوذ ومتججاً تأثيره على الآخرين.

يلغني راماكريشنا في ملاحظة شائعة له بعض الضوء على هذه المشكلة، فيقول ان الناس يتجذبون للقدسين كما يتجذب الدبور للعسل لأن القدس ينع ولما يسمى في محاولته البطيئة للوصول المباشر للرب قوة تخرج منه دون أدنى جهد له.

ونستطيع رصد هذه القوة في كل يوم. فما علينا الا الذهاب الى «ركن

المحدثين؟ في (هايد بارك) ونزف بعض المتحدثين وقد أحسوا بلاء في
بلاعتهم لكنهم ما لبثوا أن فقدوا تأثيرهم على الجمع المستمع في اللحظة التي
أرفعوا فيها الحديث . انهم يفتقرون للقوة التي تحدث عنها دامكرشنا والتي
يكتسبها المدرب ببطئا وبعد صبر طويل . فاذا ما تحقق له ذلك ضمنت له طبيعة
المدرب انه لن يميء استخدامها .

لكن هذا القانون استثناءاته . فبعض الرجال يولدون وهم على تماس مع
(القوة الداخلية) كما يولد بعض الأطفال برأسين . وهذا النمط من الرجال
محدد لأنه افتقر الى التدريب الأخلاقي الاخطر بين اتباط الجنس البشري .
وهكذا كان ناسليون وهكذا ولد هتلر . وهذا هو نوع القوة الذي يعنيه
المؤسسون عندما يقولون ان القوة تمت في الأشياء فساداً . ويبدو ان قوة هتلر
قريبة في نواح عديدة من قوة راسونين اذ استخدم تعبير التنويم المغناطيسي كثيراً
في تأثيره على جمهوره . (بيد ان مدى هذه القوى مسموع فقط عندما يكون
الجمهور كبيراً ولا يظهر بشكل فاعل في الإتصال الشخصي المباشر) . ويتحدث
(كبرت لوديك) عن بلاغة هتلر الخطابية ليقول:-

أرى لي ان أأتى عن سطوة قوته؟ انها تمك بي وتورجحنى... لست أنا
محب بل جميع من في الصالة . لقد أسرتي شعور أن أغفل عن ارادتي لقيادته .

يبدو هذا التعليق كأن مصدره احدى تلميذات راسونين .

كان راسونين وغارجيف من هذه الفئة وان كانا أقل درجة بقليل من
هتلر . وكلاهما سلخ سنين طوال بطور من قدرته . ومع هذا فقد اكتسبها
بسر بينما لم يجاري تطورهما الأخلاقي تطور قدرتيهما . وعليه فقد شوهتهما بعض
النبيء قدرتهما . ويبدو هذا جواباً لبعض تناقضات شخصية راسونين والتي

حيرت الكثير من كتاب صيرته الذاتية وتحدثت عنها بأسهاب لاحقاً .

تؤكد دلائل الأصدقاء والأعداء و (المراقبين الاسوياء) أن راسونين قد
ملك قدرات لا يستهان بها تقسم الى نمطين مختلفين لا يجب الخلط بينهما برغم
تفاعلها المحدود :- انها اجتراح المحجزات والتنويم المغناطيسي . وترتبط قدرته
على التنويم المغناطيسي بقوة شخصية التي صقلتها سنين التحوال . غير أن قدراته
على صنع المعجزات هي نتاج وجهة نظره الأسامية تجاه العالم . اذ يجد معظم
البشر صعوبة في الإسترخاء من وجهة نظر دفاعية معينة حيال العالم . وتكون
النتيجة بنسلاهم في حدود شخصياتهم المحيطة بهم بخط دفاعي . لقد ادرك
راسونين وهو طفل أن حريته وحبه للخير أمران مقضيان وانطوى موقفه من
العالم على الإسترخاء والاتساع . وهو الموقف الذي دهم اليه (فيس كرومي)
والسيدة (ايدى) . (لم تمنع السيدة ايدى أن المرض الجسدي هو انعكاس
للمرض العقلي فحسب بل علمت ان الخط المائر وحوادثه ليس الا نوعاً من
انواع المرض الذي يمكن تعاضيه بادراك الخير الذي يحمله العالم لنا) . كان
راسونين مكتشفاً روحياً لأنه لم يكن يخشى الوثوق في الآخرين ولا المعامرة
خارج الخط الدفاعي لحدود شخصيته . وقد علمته نتائج تجاربه أن حساساته لم
تكن خطأ . لقد كان يشع الثقة بالحياة وليس في جوانب شخصيته اية شعوبة
بيد ان هذه الثقة لم تكن من نمط الثقة الطفولية التي لدى القديس فرانسيس او
دامكرشنا . ولأنه كان قروبياً ولد في بلاد عاملت الفرويين كعبوات لفروين
عديدة ، فقد حافظ على وعي طليعي عميق ولم يتغلب على رغبته في السيطرة على
غلبة القوم . لكنه لم يكن واحداً كافياً كي يصبح قديماً برغم أنه . معارضة مع
معاصريه . كان أموزج الزهد . لقد أفاضت شخصيته هذا الوعي الطليعي
العدواني حتى صدقته آخر المطاف .

الفصل السادس

ارتقاء السلطة

أنار راسبوندي حيناً وطأت قدمه عداء الآخرين له، لكن أغلب من هاداه
ظهر في بطرسبورغ بين عام ١٩٠٧ وصوته. ولا يصعب علينا معرفة سبب ذلك.
لمدينة بطرسبورغ كانت رمزاً للندهور والإنحطاط الخلفي الذي لم يترك ركناً
منها إلا ونخره.

لا يدرك معظم الناس قيمة الحياة إلا حفة من الشراء والمتصفين. وربما
يدرك المحكوم بالإعدام قبيل زحف روحه قبضة الحياة بأكملها. وقد ورد من
قاطع طريق أمريكي يدهى جداري بيرجر قوله وحمل المشقة حول رقبته: «إن
المنه جبل قعلاً... لكنه لم يدرك ذلك إلا قبيل الموت. لقد كانت حياته
شريطاً من الحموضة والوحشة والغباء»^(١) والمية إذا ما دلت حثية لصاحبها ارتاحت
من عينيته فشاوة جعلتها مكثوفتين سابقاً حيث تتعد الحواجز مع الخيال ويبدو
ملل الإنسان منتهى الثعب. وقد بلغت مدينة بطرسبورغ ذروة الإنحطاط
والتفسخ حينها كتاب أمثال (اندرييف وارتياشيف وبيلي وبريوف). وربما
كانت بطرسبورغ طافية فوق برقع متهور محموم في ظاهرها فإن باطنها ما زال لا
مباليّاً كما صورها هكذا (كوكول وكوشاروف). فالمال قد غير ملمس الأكف

(١) آدم بيرجر في وليامسون كوتشي، المينوس، في بيان عام ١٩٢٨ وقد كان مهرباً وسفاحاً.
انظر كتاب بول النجل (اللمعة للمنفذ)

سياتوفيتش ببعضها المحرمات بحساب مفتوح هو نوع من نظام التاجر - السهم مستمر منخفض وربما استعاد خسارته مع التزاوي من أعضاء البلاط الآخرين فقد سجل قائلاً: «ان النسلاء الروس يجهلون تماماً لعبة الأعمال». تكيف سياتوفيتش - بحلاف راسبوتين، على جو بطرسبورغ الحذرف وعلى مكائده فاعلم في جديلاً مستغلاً كل فرص تمصيل المال، لذا سرعان ما اقام نوادي السكك وحفلات قمار واماكن دعارة وربما تبرر ميرة حياته وجهات النظر المناهضة للسامية التي تبناها اتحاد الروسيين المخلصين. آخذين بنظر الاعتبار أن يهود روسيا لم ينالوا من حقوقهم قطاً رغم أنهم ليسوا أقل عدداً من أعدادهم في باقي بقاع العالم. كتب بيرس قائلاً: «لا تتعلق القضية بالحقوق التي لا يتمتع بها اليهود بل بحقوقهم بالحرود اصلاً». استوطن اليهود مكروهن في اطراف المدن وحرم عليهم استخدام حدم مسيحيين وارسال اطفالهم للمدارس. وتقاتد الشرطة في معاملتها لليهود (وفقاً لتوجيهات عليا) ولم ينالوا لذلك امتيازاً قانونياً وأحمر للشرطة ادارة (خدع حاية) الى الحد الذي كان سيدهش (آل كلونف)، فلا عجب ان يهودي مثل سياتوفيتش أن يتجرد من وخز الضمير ويستغل مجتمعا محظا.

اصبح سياتوفيتش، بنهادته هو، معلم راسبوتين السياسي، وهو قد أعد له المناهضة. شأنه في ذلك شأن من كرموا أنفسهم لحياكة المكائده، جثا لا يرجى منها فائدة وهو ما أضفى على اعجابه براسبوتين مسحة الادراء. ويتذكر كيف وتبع راسبوتين بين الحذر والأحمر كطفل ليعطي انطباعاً أنه كان (السمبلكالي) يقف حامل السمبلكالي. ربما يقول الحقيقة فراسبوتين لا يعرف شيئاً عن السياسة وفصة حياته تؤكد تعلمه القليل منها رغم معونة سياتوفيتش.

عالمنا ما عمل سياتوفيتش وسيطا بين راسبوتين وبين سيدة أخرى من

سيدات البلاط ندهي (آنا فيروبول)، ابنة (البيكسندر تانيف) رئيس القضاء الإمبراطوري ومزلف موسيقى من الدرجة الأولى. غدا تانيف احد مقربين التزاوي بسبب ولعها بالموسيقى، فكان قادراً على كسب تأييدها. كما أحبت التزاوي (آنا فيروبول) لطبعها الحميم الصريح ولاخلاصها الديني العميق (هولت آنا في طفولتها من مرض خطير على يد جون من الكروستات بان صلي قرب فراشها ونثرها مقدسا على جبينها)، لكن آنا كانت غبة لعب المحر واللمز ومتمزته إلى حد بعيد وكان هذا سبباً آخر لحب التزاوي لها. سرعان ما شرع القيصر وزوجته بالبحث عن زوج للبطلة القبيحة. فوجدوا ضابطاً بحرباً يدعى (فيروبول) ودفعوا آنا للزواج منه رغم تحوفاها الشديد. ثم اصيب الضابط باضطراب عصبي في تسوشيما فاصبح سلوكه متوتراً. لذلك قررت آنا انتشار صديقتها الدوقة الكبيرة ميليتا فأشارت عليها بمقابلة راسبوتين. . . الرجل الذي يعرف كل شيء. وعليه حضرت آنا فيروبول الى منزل ميليتا في بسان ١٩٠٧ وقابلت الفلاح راسبوتين الذي ترك عليها أثره حين حذق فيها للحظة ثم أخبرها أن قدر زواجها الفشل. . . وحدتها عن تفاصيل أخرى تجلت صحيحة بعدئذ. أصابت الدعشة آنا وهربت عن مخاوفها للتزاوي. لكن تخضيرات الزواج قد تمت ولم يعد هناك سبيلاً للرجوع. فاصبحت في الثالث عشر من أيار عام ١٩٠٧ العروس الكارئة للضابط فيروبول. لم يحمل الزواج السعادة التي كانت تنشدها لكن موقف التزاوي تركها فريسة الحيرة فقد أدت غيرها على آنا. كان طبيعياً أن تبذل وسعها لعيني صديقتها لكن سلوكها أثار قسوة زوجها الذي شعر نفسه شخصاً مركوناً. وأخيراً وبفصل تديبرات التزاوي

(١١) يجب عدم خلطه مع ابن أخيه سيرجي تانيف الذي كان مؤلفاً بارعاً كتب اوپرا ندهي (أوريسنيا) ثلاث مناطق الشهر سيرجي تانيف حارب روسيا لأن زوجة نولسوي وقعت بحرامه وبقيت حل حبه سنوات عديدة فكانت الشيعة كتاب نولسوي (أوبانا الخروبر)

الذي طردته من منصبه مراحمته الشديدة بخصوص الطب ولبس وروبا كان
 به السب في طرد واشكوكسكي فقد اتهمه بالتحسس عليه وأرسل مانييلوف الى
 روسيا لرئاسة القسمة. ثم عمل تحت امرة (بيليف) لمدة سنتين وتأمر ضد عدو
 القوقاز (توت) عبر انه عمل ايضا حساب (توت) الذي استخلفه وسيطايته
 بين الروس جابون الذي قصاد الميرة نحو القصر الشنري عام ١٩٠٥. فبرزت
 من فاه انه بقوة عفتها حتى يصعب وصفها وتفسيرها باختصار كان عميلا
 مشبها بالسيف وتوت انضم الى الثوار ثم حاكم لدى الشرطة التي خذعها هي
 الامم من مكثف امراوها لدى الثوار، سيما الشاكر الدافع العيب (بيرستيف)
 الذي مثال له مبييلوف جهاراً "انا رجل لا املك ذمة... اجد المال واقتبس
 من الحياة" (مساعد بعدها بيرستيف في الحرب من الحس ثم من روسيا باكملها)
 ثم حصد من ملوكه المصدق هذا مالا وفيرا تبعد منه مريعا. وقد سرق، ابان
 الحرب اليابانية، الشيفرة اليابانية فكوليء بمنحه وسلم فلاديمير.

ميرجان ما أدرك هذا الرش الموسيقي الساخر فائدة واسبوين الكائمة
 الا انهم من الا يكون مبتذلاً. روسيا كان في نذاته شبا عسا تمسرها درجة تقريه
 ان واسبوين فهو قد زار واسبوين كل يوم تقريبا وفي كل مرة استقباله الأخير
 والاحسان بعد ان يكون قد قطع لقاءاته ان كانت لديه. ثم يفرغان في حجرة
 منقرنة يتهاسان لساعات طويلة احيانا.

انه منوه الخط الذي أوقع واسبوين بعد ان غدا قريبا الى البلاط بأصدقائه
 هم ادراك الحس مكرراً وأكثرهم اناقة واشدهم رغبة. ويبدو ان القدر قد صمم
 على ان تكون قدراته محط تعليقات الرديئة المشبة، لك ان غيب واسبوين وتتن
 من الناس محذراً ان يكون لسك هنا مع معذوبه ما خلا بسادسليف الذي يبدو
 من فاه ان طيب الطيبة نوع الثوبة التي القبح على رداءه وانما

ومانييلوف وهم يحاولون الهرب من روسيا لكن دماثة عائق بادسليف وصراحه
 جعلت من سادسليف امره ان ان قدادت طاهرة في بعده والكتاب وهو
 املت في مذكراتها ان (اسبوين لا له والسياسة نافعة ولا حل) وكان سادسليف
 محملا ومتمرا ولم يل وحدا لأحرب الحس اليه كان يثير في القبح حربه على
 فدية ما ابع مضمة حيث وجد فيه خدعة يشده اما سادسليف فكان محملا
 ونحراً انه حبر الماكر الذي يشكل جيرا معهم من كشافة من الاسلحة الخاصة
 لاحقا (سرومر) الذي اهداه واسبوين على ان يكون رئيس وزراء (الروس)
 روبا كارة حقيقة.

لم يكن واسبوين يعرف عن السياسة الكثير علما جاء بطرسبورغ وكان
 كبره الممكك لكه أمسى عبر قصد وفي حصول حمة اعداءه من الروس
 بطرسبورغ وليس من العريب ان يزعم اعتدائه برأسه سوك من امة كان قد
 رجل أمثال كاسلوف وسينوفيش في عبيدهم سنة كان ان حال محظون ١٩٠٥
 يوسف وروذر بانكو جحياً لا بطلاق

لكن كيف تورط واسبوين في مؤامرات بطرسبورغ ان لم يكن مهتبا
 بالسياسة؟ سهل الجواب في حقيقة ان رجالاً أمثال مانييلوف وميخائيلوف لم
 يداروا الموت في قذعه رسته لان نأثرو في الالام والته من خط
 الذين ما فتأ المحتاجون يترجون منه عطفاً وهم متجمعون أمام عنة داره. كان
 محملا من اليهود ونأثير في بطرسبورغ عديم صالح الدافيش عام ١٩٠٦
 نأثروا بقدس حقن السياسة لقد قصد الحس لانه مشدداً ولازمه من
 فخرته على كشف المستقبل. ونادراً ما رفض (دقة من قصده. وعندما حاكم
 الماكر استخدام نأثرو وعوده في انصدام انهم كشفوا في المحبات او اثارهم

احسن راسبوتين بالملل والسأم حتى في شهور نفوذ الاول. فقد أعجبت التزاريا لكن لم يمنه ملاحظة انها كانت مستبدة وهتيرية. ونوضح صور ربيعها حالاً حزينا كتيباً اختفى أغلبه من حل ملامح صور أخرى التقطت لما لاحقاً لكن الحزن يبدو كأنه جعل من وجهها شعبة نظراً اسماً. كانت تجربته فأحبا لذلك راسبوتين. وما كان هذا القول ليقال لو كانت التزارينا مجرد مضيعة من مبدعات بطريرك.

كان مرقف راسبوتين حبال التزار نفسه مزيجاً عجيباً من الاحترام والازدراء. وقد وصفه بـ «رجل بلا دواخل» وهو ما يعني «رجلاً بلا ارادة حقيقية». شديد التأثير بالآخرين فيما طغى التناقض على تقييم التزار لراسبوتين. فهو قد أدرك قدرات راسبوتين ولم يساوره شك في قداسة «الساتريز». وكان يصفي لمن وشى به من الوزراء متلهفاً ثم يطلب منه تقديم ادلة دامغة. ربما كان صعباً من هيام زوجته براسبوتين سيما بعد قراءته لرسائلها التي مرقت من راسبوتين بعد عدة سنوات وقدمها له وزير طائش بدلاً من أن يعطيها لزوجته.

تطلع نيقولا الى راسبوتين بنظرة ملؤها الكره والخوف والاحترام وبلغ احياناً كثيرة حافة أن يسحب البساط من تحت اقدام راسبوتين. وتلك هي الاحايين التي أخذ فيها راسبوتين التمرد أن استخدم إحدى معجزاته الاخرى (كما سيتضح ذلك لاحقاً). أحاطت المشاكل علاقة راسبوتين بالتزاريفتش الصغير. فقد صورها معظم الكتاب على انها عبادة عاطفية كان فيها الصبي حائداً للطولة المتجسدة في شخص راسبوتين. لكن معلم الصبي (كيليارد) يشير بصراحة الى ان اليكسي مقت راسبوتين وهو احتفال وارد وأكثر منه احتفالاً أن راسبوتين وجد فيه طفلاً مزعجاً. كان الأجدى باليكسي ان يصبح قديماً بدلاً من ان يكون طفلاً مدلل لا يكبح له جماح. فقد نشأ في عائلة تقودها امرأة

نشعر بالذنب لمرصه. اضافة لذلك عارض نيقولا تزمت أبيه فأعطى لذلك ابنة ما شاءه أن يطلب. ووفقاً لتعليق كيليارد، كان التزاريفتش طيباً بطبعه وقد تحملت طبيسته هذه عندما توسل لأبيه أن يعيد طاهياً طرد من وظيفته. ويضيف كيليارد أن الصبي كان يرنك عندما يركع أمامه بعض الملاحين وهو يترن بمصيبة معلمه. لكنه اجتاز مرحلة الإرتباك هذه الى مرحلة تمتع فيها بالإحساس بسلطته. كتب الأمير (بول فاسيلي) حائفاً:-

كثير من التفاهات كتبت عن مرضه... ان هذا الواقع حزين أليم لا يحتاج لبالغة يزيد الطين بلة... لقد سأم التزاريفتش سمعاً أن وجوده آمن ما يهلك والداه وأن ما يهوى محاب في الحال. لذلك شعر دوماً باهيمته وأدرك سريعاً حقوقه لكنه جهل واجباته، كان مغروراً بطبعه وقد شجع الجميع غروره هذا بدلاً من تنويمه. فلا احد يستطيع كبح جماحه او حتى معارضته. كان يضرب اخواته ويسأسد على خدمه وكان يهدد المتعوس الذي يحاول تصحيح سلوكه بكل انواع العقاب.

ينطوي تعليق الأمير فاسيلي على تحامل بحجف، ومع هذا نفر وجهه نظره جديرة بالملاحظة. لعلها تصحح وجهة النظر المألوفة للطفل الملائكي الساهوي الذي صرخته وصاصت الثوار مبكراً. ويعيد فاسيلي قصة مثوقة من وزير الخارجية (ايفرولسكي) الذي كان ينتظر مقابلة القيصر فسيباً كان ايفرولسكي جالساً يتحدث لشخص ما من التزاريفتش الذي لم يتجاوز بعد سنه الخامسة او السادسة دون ان يدرك ايفرولسكي ذلك. سار الطفل الى مجلس الرجلين وقال بلهجة امبراطورية «هل الوزراء الهروض عندما يختار وريث العرش الغرفة» ارتبك ايفرولسكي لما سمع وربما انتابته الرعدة في صم اديه ولم ينصحه بكلمة بدءاً. طرقت هذه الحادثة مسامع التزار (وفد مفهنا له ايفرولسكي

بعصوبة بالغة) فقال فيها: «اجل، متجد لاحقاً ان التعامل مع ابي اصعب من التعامل معي». وقد علق الأمير فاسيلي بقسوة قائلاً بان اي أب اقل هياماً بابه كان قد عاقب الطفل لاهائه وجلا جديدها بالإحترام.

وروى الأمير فاسيلي قصة أخرى تناقض ما رواه كليارد عن الفلاحين. جاء فيها أن الصبي أحب أن يلقي الجنود التحية حيثما حل. لكن الفرق العسكرية دائماً ما تجاهلته لو حضر بعمية أبيه وحيث بدلاً عنه التزار. وهذا ما حداه أن يعدو قبيل أبيه في الاستعراضات العسكرية ويفوز بتحية الجنود. لقد سبب سلوكه هذا ازعاجاً كبيراً لقادة الجيش وقد اشتكى الدوق الكبير يقولاً لدى التزار أن فرق الجيش لم تعد تعرف من تحمي. لذلك أمر التزار وريت المرش أن يلزم جانب في السير مستقبلاً.

هنا نستطيع القول أن نصف الإشاعات المأكرة بحق مزاج الصبي وسلوكه لم صدقت خصلت روسيا على قيصر آخر على شاكلة اسلافه المستبدين^(١).

ادرك كليارد مقبة هذا التخثث والندال وتوصل للقيصر أن يمنح الصغير حرية أكثر. كان الوالدان جد حاسمين للموافقة على طلب كهذا وبرغم أن الصبي قد سقط من على أريكة وجرح ركبته وهو ما تسبب في الأزمة المرضية مثلاً يشبه لذلك بيرس- لم يحاول الوالدان لوم المعلم على ما حدث ولم يعدلا من قرارهما بمنحه مزيداً من الحرية.

يذهب الأمير فاسيلي أن التزاريفيتش كان يضرب اخواته. وهذا ادعاء لا

(١) لم يكن فاسيلي من جهة أخرى دقيقاً في معلوماته كما يظهر:-
ذكر مثلاً أن التزاريفيتش لم يكن لديه معلم لذلك كان يعتمد على له واحراته في تزويده
بالحماة ويبدو له تجاهل تاماً وجود كليارد.

يستند على أساس من الصحة التـ يد ان الفتيات الأربع الجميلات حسن حياة ليس كما يعتقد العالم الخارجي، فلا حياة بلاط ولا حفلات رقص ولا فرص لمقابلة ضباط شباب. لذلك كن يمهين جل وقتهن في التزايسكو سيلو في القصر الشتوي... أربع اميرات في برج عالي. وتذكر ماريا راسبوتين انها كانت ترى في اليوم الواحد وجوهاً أكثر مما رأي في اسبوع.

كانت اولغا وهي اكبرهن مسا جادة ومثابرة على القراءة فتراها تحمل كتبها انكليزية عادة. (كانت الانكليزية لغة العائلة لان التزاويتا نشأت في بريطانيا وتحدثت الروسية بتلكوه شديد). وكانت قراءتها بلا شك عرضة للرقابة. اما ثانياً، وهي الأجل، فقد عليها غرورها وسلت من أبيها سحر جماله وطيب طيته وهي كانت برغم خجلها هادئة الطبع وحية الخلق. اما الصغيرة اماستازيا المولدة سنة ١٩٠١ فهي اكبرهن حبيبة وكانت تحب المغالب وتديبرها لأخواتها

فليس مفاجأة اذا ان يجب راسبوتين الفتيات الأربع اللاتي سرعان ما أصبحن قريبات اليه. وربما لم يكن اهتمامه بولغا وثانانيا افلاطونيا صرفاً برغم انه لا يبدو قد خطط لفعل شيء معين. لقد تنسّى لفسه عادة الذهاب الى غرف نومهن لتقيلهن قبيل النوم في الليل متجاوزاً أحياناً حتى آداب طرق الباب وقد اشتهت المريية مدام (توتشيف) للتزاويتا من هذا السلوك. لكن التزاويتا لم تذر ذرة شك في كريكورنيا المقدس فهو مرفع عن الدنيا حتى مع الصبايا في ملابس النوم فسارعت في طردها. سرعان ما استغل راسبوتين ذلك وبدأ بمخاطبة واغراء ممرضة الأميرات. وقد تحدثت الممرضة عن ذلك للراهب الذي استمع الى اعتراضاتها ذاكراً ان الإغراء كان قد حدث في الحمايات^(١) اوصاها الراهب

(١) آخر راسبوتينكو القيصر لاحقاً بأن الحمايات كانت المكان المفصل لدى راسبوتين لاجراء اتبايعه من النساء وبما أن الحمام المشترك كان إحدى عادات الحليسية فإن راسبوتين ادرك كان حضوراً في هذه الزمرة.

الذهاب الى التزارينا لتحذيرها من تأثير هذا الشيطان». لكن إيمان التزارينا راسبوتين لم يتزعزع للمرأة الثانية، وأدعت ان الممرضة تعاني من ارتباك عصبي فأرسلتها الى مصحة عقلية في كوكاسوز، ثم دافعت عنه امام القصر قائلة أن راسبوتين انها يحاكي (ابوسيلز) في حريته في تقييل وضخم الآخرين. لكن الممرضة حرصت على نشر قصة التأثير الشرير لراسبوتين في القصر الملكي في ارجاء بطرسبورغ. فدارت اشاعة تقول ان التزارينا وابنتها الكبيرتين كن عشيقات راسبوتين، وهي اشاعة سيرفضها علم النفس الادراكي. اذ قام تأثير راسبوتين على التزارينا على نظرها اليه كقدس وهو قد حرص كثيرا ألا تخامر سلوكه في القصر الشكوك. وتحاشى الحمر حتى امام (آنا فيروبوفا). لكن داماسكي، الوكيل المساعد للمجمع الكنسي، قال في سنة ١٩١٢ لرووديانكو بان التزارينا كانت فعلا عشيقة راسبوتين وقد سلم بهذا الجنود الروس امان الحرب.

نرسخت في العامين ١٩٠٨ و ١٩٠٩ جذور نمرة راسبوتين الذي اصبح الرجل الساخر نجمة في بطرسبورغ. لكنه وبرغم ذلك لم يألوا جهداً أن ينأى بنفسه عن كل منفذ يتيح لامدائه ضده وعليه كلما تعاطفت الإشاعات حول تأثيره في المنزل الإمبراطوري تعاطفت بالمقابل رغبة كل مفيدة في بطرسبورغ في حضوره لحفلاتها. وحتى عدوه اللدود رودزيانكو قد اعترف قائلاً:-

«كان يحصل على أتباعه وتلاميذه بلمح البصر خاصة في المجتمع... سيما بين النساء اللاتي اتجلين اليه كما يتحلب النبوء للعسل...».

انها هاما الانتصار الذي تسلك فيه راسبوتين ذروة النجاح. فقد علا مجده مع التقى (جون) من الكروستادت في ١٩٠٣. لقد أسك الآن بتلايب الأشياء. كان قوي البنية وله ما يسمى بـ«الشخصية المغناطية». وطغت

سمعته المشهورة كرهب نساء لدرجة أن اشتته كل امرأة شجرة في بطرسبورغ لقد أراد أن يظهر على غير اكتلاء. قبر مصنع وغير مهين في ملبسه. قدمت له التزارينا وبناتها قمصاتا مزخرفة وأهدته معجباته سراويل ناعمة وحرمان جلدية. فاصبح لذلك غدورا شديد التأنق ولم يتوان في استغلال ذلك. وطل سخياً بصرف ما يأنيه من مال على غيره بيد انه كان سعيدا بتقبل الهدايا من الشباب او الحمر المحلاة، حتى ابتاعته الغراندوقة ميلينا يتنا جديدا في بوكروفسكو بطاهين وهو اول بيت بطاهين في المدينة.

غير أن سلوكيات راسبوتين ازدادت سوما. قال بيرس «كان يزدرى الرفيع الميزة والفري من كلا الجنسين» ويتحدث سيانوفيش عن اهائاته التي لا يفلها عقل. ويقول مراقب ساخط اخر أن راسبوتين كان يأمر بصوت عالٍ تلميذاته وانه وصف إحدى ميلات المجتمع بـ«البقرة البدينة».

يسدو لشديد الأسف ان راسبوتين وجد متعة أن يفرض ارادته على «المجتمع» وهو قول لا يعني انه نوع من عصاب النجج. فبطرسبورغ كانت مدينة تجمع منقط جمل من جمع المال والزنى ونقل الشائعات اول عباياته. رجائا يحركون المؤامرات ونسائها هستيريات. وفيها كان راسبوتين مشير من شخصه المحقد والكره وإن كان مخصياً. غير أن الراهب الداينيسي قد واجه شهراتهم المحمومة بحبونه الهائلة وشبهه المفتوحة للجنس وعطش للخمير مزوج مع قدرته على الإقتران. كانت «العلمية» مفردة حديثة ليس في اطرافها السياسي فحسب بل بصفتها انكاراً احتجائياً لكل القيم المطلقة. وقد أعد قادة الفكر والفنانين المعاصرين والكتاب كل التبريرات لهذا الانجراف الخاسي من الهدف. كانت هناك من جهة العلمية الوحشية لانتدريف وارنسيانوف والجنين الى العنصرية لدى مختلف الحركات الدينية التجلدية من جهة اخرى. وافضل

رواية هذه المدرسة هي «الملك المتقده لبريوت وهي اطلالة على القرون الوسطى
العبدة عندما كان الشيطان واقفا مخفيا، لم تكن لراسبوتين اية علاقة بهؤلاء
الناس فالحياة تسري فيه بقوة الى حد جعله لا يعطف على عبث ويأس مدرسة
البريوت التي كان دافعها الرئيسي هو الندم الكحولي. لم يهان راسبوتين من
الخمر بعدما يذهب عنه السكر في ساعات قلاتل معها افراط شريفاً، اما بالنسبة
للمسومية وعلم الأخلاق المسيحي المتعلق بالضحية بالذات وبتعذيب النفس فقد
كان لا مائلا بها اطلاقاً. كان ديه مخلصاً رغم كونه حبيراً ولفطرباً قريباً من
الشوة النابوسية التي وصفها نيتشه في «مولد المأساة». كانت عبادة غريزية لقوة
الكون ومنطقية يجب ان يلمح الجنس دوراً فيها

قد فقه هذا الرجل سخرية «النجاح». فالنجاح يعني العيش بين الخافين
وأن يقل إخوانهم له وتعجبدهم عليه وأن يتبصر من خلالها غاياتهم في
استغلاله. انه يعني أن تعيش دوماً في خضم حو من الحقد والضغينة والمعاذاة في
أحياء أخرى من أن يهتك رجال أعدوا أنفسهم أغز من أن ينزلوا لفلاح. ومع
ها أدرك طوال الوقت أن الأمر برمته يتم عن سوء فهم. كان بلا شك يمتلك
هبة مصاد البصيرة وقابلية على الشفاء. بيد أن قوته تكاثرت على نظرة التزاوي له
انه قدسياً وعلى ظن التزاوي به «مسيحياً شديداً» (وقد افصح التزاوي هذه الملاحظة
التي قلها راسبوتين أسرع من البرق للراهب ايليدور قبل شروع ستولييين
سؤامرانه لتدمير سمعة راسبوتين). لم يكن راسبوتين برغم ملكتي الذكاء ونفاذ
البصيرة اللتين أقرهما أشد أهنائه من كتاب ميتره قلى اصدقائه رجالاً لفظاً قادراً
على المصالحة بين غرائزه ومعتقداته الرهبانية. لذلك فقد سلاحاً كان سيظهره
دفاعاً عن نفسه ضد صفات الماكر والدجال والمخال التي اتهم بها الآخرون.
هو لم يسمع ابداً بينته ولم يكن ليفهمه حتى لو سمع به. وعليه انطوى دلائله

الوحيد ضد تكاليف كهذه على الازدراء منها فليس خريفاً اختياره مقربه من
المسعودين المحترفين امثال مانيلوف وسياتوفيتش وأن يعامل تلميذاته على امهم
حريم خاضعات له.

فما انغمس راسبوتين يمزج موقعه ويبدو أكثر رجال بطرسبورغ مداراً
للحديث. كان للقيصر مشاغله الشاغلة. فالوضع الداخلي كان حد قلق برغم
ان نيتولا لم يشعر بشيء يخيفه في (الدوما) وواصل الساسة ورجال الشرطة
يفتال أحدهم الآخر، وأعلن البلاشفة تحركهم علانية وتجاهلت الصحف ما
يمكن ان تمهره عليها صراحتها من غرامات ثقيلة. وغالباً ما أوقعت مطروحاتها
التبصر بين الاحراج والحق. لكن الوضع الدولي كان هو الآخر مبنياً. فقد
بدأت اول دمدسات الحرب العالمية بالظهور منذ عام ١٩٠٨ وقد اتفق نيتولا
وكبير ويلهلم ان يدعم أحدهما الآخر، ولم ينس كبر تكبير التزاوي أن روسيا
تريد وتحتاج مبنياً مطلقاً. وهو الذي حث على دخول حرب مع اليابان مؤكداً
له أن مصير كوريا روسية ثم غير نصيحته عندما توالى البلايا. وقد حرص
كبير ايضاً على اطراء اكثر رجال الدولة لدى نيتولا وهو (وت) ودعا لرهائنه
في نهاية الحرب اليابانية. وروسيا كان لسقوط (وت) من السلطة علاقة باستياء
نيتولا المتزايد من كبير. الى جانب آخر حث (ويلهلم) نيتولا على توقيع
معاهدة حلف لا يضم فرنسا في الوقت الذي كان يعمل فيه وزير الخارجية
الروسي جهاذا لتحالف فرنسي - روسي وقد اجبر وزراء نيتولا الفاضلين بما
فيهم وت القيصير على انكارها. (ويبدو ان نيتولا كان قد وقع المعاهدة دون
اعلام حكومته وقد امر وزير بحريته على تصديقها بينما احتفظ هو بمحتوياتها
لنفسه).

تفجر في عام ١٩٠٨ موقف مخرج آخر يتعلق بتراث مند اهام بهارك

تستحق دول البلقان النخبة بحياة جندي رومي وحيد.

والبكندر الثاني. وقع الكسندر الثاني قبل الحرب الروسية - التركية في ١٨٧٧ اتفاقية مع النمسا بحق النمسا فيها احتلال مقاطعات السلاف التي تشمل بوسنيا والمهرسك مقابل تعاونها في الحرب. لكن النمسا اخفقت في مساعدة روسيا لذا تم سحب الغاء المعاهدة. الا أن النمسا اعلنت فجأة في أكتوبر ١٩٠٨ أن المقاطعتين السلافيتين ملك لها مما ميب هياجا عليا. اكتشف نيقولا ان اللوم يقع على وزير خارجيته، ايفولسكي الذي خدعه بمكر بالغ وزير النمسا. استشاطت بريطانيا والنمسا غضبا لان روسيا كانت قد دخلت في تحالف معها قبل الحرب ولكنها الآن اكتشفت ان ايفولسكي قد تعامل سرا مع النمسا. اخذ الغضب مأخذه ايضا من كبر ويلهم لحق حلفاءه النمساويين لكنه قرر الوقوف الى جانبهم بعد بعض التذمر. توجهت حينها الوطنية وقد كانت «الدوما» وطنية كأشد الراجمين تعصبا. قبل كل شيء كانه يندر بالحرب.

في هذه المرحلة بالذات تدخل راسبوتين. لم يعلم احد ماذا حدث بالتحديد لان راسبوتين لم يكن في تلك الحقبة رجلا ذا تأثير ونفوذ سياسيين لذلك لم يتحمل احد عناه التجسس عليه. لكنه حذر في عدة مناسبات من وقوع حرب مع النمسا لأنها، كما أخبر التزار، ستدلي النار على النهاية الروسية. وأما ردود أفعاله لاحتماليت حرب ١٩١٤ فانها كانت أجدر بالتصديق. ربما لم يكن راسبوتين مسيحيا جيدا لكنه كان يؤمن بالسلام والأخوة العالمين. تاهيك هو ادراكه، كفروي. ما ميجنيه شعب روسيا من ويلات الحرب. كان ما يزال في أكتوبر ١٩٠٨ هالي المقام لدى القيصر الذي لما يزل يؤمن بفدوته التبوية. لذلك ارسل القيصر ايفولسكي الى لندن لشهادة بريطانيا ثم الى برلين لمناقشة فضية المعاهدات والتحالفات ثم اسقطت والفت في النهاية، وسمحت روسيا للنمسا بالاحتفاظ بيوستيا والمهرسك. وكما اشار راسبوتين في مناسبات عدة لا

الفصل السابع

تكالب الأعداء

ياخذ القائد الروسي المحتلين، على كامله معظم المسؤولية في تخريب
رسمييين إلى مجتمع بطرسبورغ. فهي هو الآن قد هذا مؤثراً على العدالة المحكمة. وها
هم قد تسفل حاجس الشك أن حكمهم. لقد حرصت «استونين» أن تعطي
للأسفيعين تبيوفاً وعبءاً من جنونه لها وتحميله شخصيتها فأذاها به مؤثراً
بقدراته ومزجهين احلامه حتى بذنيات عام ١٩١٠ لكنه تخشى أهل عدو في
احياء كهذه مشعر للرافع «يليدور» فهو قد أحب اليليدور من حيث لا يدرك
وقد له الشاب اليليدور شديد الامتداد. بيد أن إسمونين طعن به متروماً. «و
قد تمهم لم يشعتم على الأميين أن يكون صرورين، فتخلصهم طعن في السر.
أما اليليدور فكان يفعلاً وهو لم يكن يأتي شكل الاحياء الخلد شعر إسمونين أن
من يطرح من الرجال الجنس من حيانه يكون كمن يبرف غير واع ذاته في
حمت كثير من الرجال من وجهة النظر هذه. فالرهد المسيحي مثلاً ما تجلت «
مينة صليبية غريبة. ولما خبر مثلاً في وليد جيمس الذي يقصف حياة القديس
(الربيس) من كوبراج الذي نذر نفسه للمذبحة في سن العشرة والذي لم . مع
نظره عن الأرض ليحمي نفسه من الإكراه. بل هو رفض حتى الماء وحبلاً مع
امه في حجرة. ويقصف جيمس قتلاً: «لا أجد حياء كالذي واجده في فدانة
أوبس» والممره أن يدرك وجهة نظره. ان من شمل البحث الروحي والفكري

عقله حتى لم يعد لبقى الأشياء فيه حيزاً له أن يتنوع معدوراً أن الجنس قد
ولاه لكن الذي يحتر الجنس شيطاناً لأنه رآه شيطاناً يكون كمن دس نموه
بصفته انساناً لقد تطلع راسبوتين الى القداسة فوجدوا ميزة الانسانية لا انتكاراً
لها وهذا ما حداه أن يمازح ايليدور حول عزوبيته. وحيث لقي راسبوتين لو
بعاد ايليدور صديقاً له مفرحاً ونصيراً له في محبة معاضداً ولكن أنى يتأتى ذلك
وطريقتهم للجنس حائل بينهما؟ لم يكن ايليدور من جهة جزءاً كما بدا عليه.
لكنه كان مدركاً أنه امام خيار صعب. وفيما كان من السهل على راسبوتين
الاستحراق في بطرسبورغ كان الاسقف هيرموجن جاز ايليدور الاغرب
وسيطر مسامحة أى انحلال في سلوك ايليدور في تزارسين. وعدا ذلك كانت
صداقة هيرموجن وتيرفان مهمة لديه وقد اعتقد خاطئاً بان قوتها كانت
اعظم من قوة راسبوتين لو تصادما.

التقى راسبوتين في الأعوام ١٩٠٨ و ١٩٠٩ أكثر مما التقى هيرموجن
وتيرفان وقد أسهب كلامهما حديثاً في قضية عمدة ويسبوا الى سابق قوتها
وسبابتها. وكلامهما ادرك الجواب: انها بحاجة الى قبضر أحسن من أن يرام
وأمر من أن يعصم تدعمه كنيسة أقوى من أن تلام لكن راسبوتين بدأ
يستعرض حينها مطونه وكثيراً ما صدمت وجهة نظره ايليدور. كان غالباً ما
يتحدث عن العائلة الملكية ذاكرة التزاويين على انها «ملما» وقتلا عن بقولها بأنه
«لا يستطيع النفس بدولي». ولعل راسبوتين وجد متعة مأكرة في التبعج امام
ايليدور. اد أخبره قول التزار في أنه «مسيحي حقيقي» مضيقاً أنه غالباً ما ويخ
التزار بل انه وصف -برغم انها تبدو مبالغته من جانب ايليدور- تقبيل
التزاويين في خرقه ابتها.

دها ايليدور راسبوتين عام ١٩٠٩ الى التزارسين وزيارة «القلعة الروحية»
التي ما زالت قيد الاشياء. وقد اضيقا وقتاً كبيراً في زيارة اتباع ايليدور في
بيوتهم وفيها فرض راسبوتين تأثيره الشديد على الفلاحين البسطاء بيد أن
ايليدور استشاط غضباً عندما أقدم راسبوتين على تقبيل اتباعه من النساء
وضمهن. وبمعتقد فولوب ميلر أن لدى ايليدور اسباباً اعمق من ذلك لشعوره
بالامتناع من ضيقه المهم. فبعد وصولها الى التزارسين بقليل جاء سائق عربة
شاب وهو أحد تلامذة ايليدور طالباً المعونة فزوجته قد هاجمها الشيطان وقد
بدأت بالتلوي على الأرض في نوبات عصبية شديدة صاخبة وتمتم بأشياء غير
مفهومة. اخذ ايليدور راسبوتين وقينة من الماء المقدس ونثره على المرأة المهتاجة
متريماً بترتيل. بيد ان المرأة لم تظهر عليها علامات شفاء. وهنا طلب راسبوتين
اليهم أن يغادروا المكان ويتركوه يخلو مع المرأة فأطاعه ايليدور على مضض.
ومضى وقت طويل ثم خرج راسبوتين قائلًا: «لقد طردت الشيطان خارجاً». و
وعادت المرأة الى طبيعتها.

تكرر للشهد ذاته بعد مضي ايام قلائل وفيه هاجم الشيطان ابنة اح مبد
تدعى (مدام ليديف). عاشت الفتاة في عيبسية بعد أن عانت من نوبات
عصبية. ومرة اخرى عجز ايليدور أن يفعل شيئاً وترك راسبوتين يخلو مع الفتاة
الفاسدة الرهي. أمضى معها راسبوتين اربع ساعات عاشها ايليدور لا يفر له
فرار فهو ما برح يستذكر كيف يتصيد راسبوتين في الماء العكر. ثم طلع
راسبوتين معلناً انتصاره فالفتاة ترفد بسلام وطلعت معه سمحة لتبلغ جميع
القرى المجاورة.

بعدها، دها راسبوتين ايليدور لزيارة بوكروفسكو التي ما زال بعضي فيها

وكان كثيرا وفي طريق رحلتها كشف راسوتين للراهب من أساقفة القدس دون
 حياء. ومما أنه عاقر الحرم حتى من الثلاث، ولم يتفق لثامه على سر من
 ماله الخفية. لقد لما كان راسوتين امتنع في هذا الشاب عتفاً أو أنه
 لا شاف فيه رغبة صوب الفؤاد أكثر من الدين وأراد أن يشتت عمن أديم
 القلوب. فلهذا ما راسوتين كما لو أنه فقد كل رابع في بوكروفسكو خفة العودة
 فها هو قدما ما كنت القبل التي أعدها على أناع بليودور من النساء قد عرفت
 ربه من قبلها فالقليات التي حُر بها على أناعه النساء قد أخرجت البليودور
 حزين سأل في نفسه مبهوما ما إذا كانت بوكروفسكو حريم راسوتين الخاص
 وبعول البليودور كانت روعة راسوتين لأمالية خيالة يوسها المصوغة ونقل
 منها. وهذا ما أن لديه من الطاقة ما يكفي لكل هؤلاء النساء فيما على البليودور
 من. فهو قديس اه مُبطلان؟. وبأن راسوتين كان يعري البليودور
 من الحسية وعليه من البليودور كانه من الشيطان الغفلس وهو أول مرة
 دانيه لراسوتين تمتع بالإنارة الحية.

من البليودور لراسوتين احترام التلميد لأتده ودليلا لذلك أنه ما فكر
 من بعده هيرموحس وتيوفان. فحفظ بوجهة نظره وبني له صديقاً طيلة
 من وادع عن راسوتين عندما لمعت هيرموحس الإنشامات المتلفة من
 من راسوتين (وكانت حينها صحف بطرسبورغ قد بدأت بشي حملة هجوم
 على راسوتين). وهذا ما يفده أحد أساتة الشك بمداغة تعليق البليودور عن
 من راسوتين في بوكروفسكو. مدأ رئيس الأورباء متولييين يتوجس خطر
 على راسوتين على القيصر لما قرر بعد أن صاق بها ذريعة التحدث بفرحة
 من راسوتين. فلهذا، نعاذه، بلغفه المعهود الى حديث متولييين الذي

شجع أن يراجع من راسوتين من أن يعرض على البابا. واما
 يقولوا على ذلك وماذا. فلهذا انقصر واتق الخطى أنه صح في كبر حيا
 راسوتين تقدم حينها (لو كيبوف) وكبيل المحم الكسبي المقدس (الذي
 الثالث) لم يستغرق الأمر تحقيقاً طويلاً لانقاع لوكيبوف أن من الله شر
 القصصات بين معتقدات راسوتين الدينية وبين ملوكه الخبي. أما
 راسوتين عصفوا في الخلية التي تشكل العريقات الحسية حراً لا محذور
 طمسها. اجبر متولييين تقريره وفقاً لوثائق بحملة مشكوك في صحتها. وهذه
 للنصر الذي وصفه بظرة ثم رماه في احد ادراجه وأحمر متولييين أنه رفضه. أما
 راسوتين نفسه وحكم أن كان (النازيين) فاحراً مذكراً وقد من أن
 تعليق متولييين عن اول لقاء له مع راسوتين وفيه اختلف معه. أن
 حاول تبرئهم مغناطيسياً.

لملت نشات مبني وحداشته بشدة العبارة أن الذي دليل انقائه. وهذه
 عصفوا في رومة الخلية ثم امرته بترك مدينة القدس بطرسبورغ فوراً.

لقد تجاوز متولييين تعليقاته بأمره راسوتين مغادرة مدينة بطرسبورغ عبر
 أن الذي حمله أن راسوتين نفسه هذا بمنحاً لكم العدم الذي أنه مل به
 وقد احترته عائلته أن عرواه قدموا الضربة وسألوا عنه. وقد اعطاهم الأ
 سر. الذي لم يزل يكره راسوتين كثيراً، الكثير من القلة ذات. وهذا
 شحيفات إلى فيرجاتور لمعرفة ما إذا كان راسوتين قد سرع في الخفاء.

من راسوتين على ادراكه في أن أعدائه في روم حرم البابا من راسوتين
 مرة الأخرى حرصت حل عدم نشر لعدائيتها

وبدأت صحف بطرسبورغ بالنهجم على راسبوتين، غير آبهة بتقل الغرامات التي قد يفرضها القيصر غير مبالٍ على أية صحيفة لحط من شأنه. لقد ذكّرني الأشياء مضاجع الراحة. إن زيارة مطولة لبوكروفسكو كان يمكن أن تلي مطالب ستولييين غير أن راسبوتين أدرك أنه سيظل تحت رقابة مستمرة هناك. فقرر القيام بحج آخر إلى الأرض المقدسة فهذه الرحلة منأته بمنافع عديدة. فهي ستعزز من درجة ورجه لدى التزارينا وستبعده بعض الوقت من جواسيس الشرطة من جهة أخرى وستمنحه فرصة لتجديد علاقاته مع معارفيه القدماء. لكن الأهم من ذلك كله أنه سيبرز لبرهة من حياة المؤامرات والمكائد التي بدأت تحبله إلى متأمراً.

بدأ راسبوتين رحلة الندم في آذار من عام ١٩١١ فظل طيلة رحلته على اتصال بالتزارينا. وجمعت ابته قسماً بعد مختلف الرسائل والملاحظات وطبعته كعمل يدهي «صحيفة راسبوتين في حجه» ويتألف من ١٦,٠٠٠ كلمة. وكشف المطبوع الراحة التي عاشها راسبوتين وهو بعيد عن أجواء بطرسبورغ وأن الأديرة وحرقات «الأرض المقدسة» تركت فيه تارة أخرى عميق الأثر. تمحّص التزارينا كثيراً برسالته - التي غالباً ما كانت خربشات على ورق بالي - واحتفظت بها بعناية خاصة. اتطورت معظم جواباتها على هيام زهدي يسيطر اللثام عن عمق التأثير الذي طبعه فيها راسبوتين. وهي قد استشاطت غضباً من ستولييين وظلت من القيصر لصله. بيد أن يقولاً كان أهمل من أن يفعل ذلك فالوزراء الأكفيا قلة لكن تعامله مع ستولييين اضحى أكثر برودة وجفاء.

دامت رحلة الندم عدة شهور توجه راسبوتين بعد عودته منها إلى بوكروفسكو، لكنه ظل للتزارينا شلواً ما سلاه فمها وأمية ما فارق قلبها برغم

أنها أدركت أن حسر النصرف يحتم عليه ألا يعود إلى مدينة القدس بطرسبورغ. لذا أرسلت صديقته أنا فيرويوف وصديقتها مدام أورلوف إلى بوكروفسكو للاطمئنان على حاله. وتكشف أنا فيرويوف في مذكراتها لفظول: «برغم الثقة العالية للتزارينا بكما راسبوتين ومثاليته فقد ارتأت أن تحري بعض التحقيقات حول حياته الخاصة في سيبيريا». ريباً غذى الأسف نيفان الاشاعات ضد راسبوتين في البلاط وعليه أثرت التزارينا معرفة أحقاً أن حياة راسبوتين في بوكروفسكو مجرد حياة دهارة وفحش. (ويذكر بيرس أن نيفان هو الآخر قام بزيارة راسبوتين في بوكروفسكو وفيها تلقى اعتراف امراءه كان راسبوتين قد اغواها لكنه لم يذكر التاريخ للأسف). استقلت أنا ورفيقتنا القطار إلى تيومين حيث التقاهما راسبوتين بجواد وصرية وأخبرهما أن عليها قطع ما يقارب ستين ميلاً عبر طريق وعر في هذه العربة. فهي مسافة ليست بالمسافة لراسبوتين لكنها رحلة مضيئة لسهدين من البلاط ونخامتيها.

وصفت أنا منزل راسبوتين بـ «توراني في بساطته». فطابقه العلوي يضم غرف نوم خالية من الأثاث ما عدا حشبات من القش موضوعة على أرض خشبية برغم أن الشموع مشتعلة أمام الإيقونات المعلقة على الجدران. وضعت امرته، حسب قول أنا، زوجها القديمة وثلاثة أطفال بينهم الطفل الممترو وعانتين تساعدان في أعمال المنزل والمزرعة. كانوا جميعاً يتناولون الوجبات في غرفة الطعام البسيطة جالسين حول طاولة عادية وفي المساء يأتي راسبوتين اربعة اصدقاء يطلقون على انفسهم اسم «الإخوان» لقراءة التوراة وغناء الترانيم.

لم تكن الحياة ضجرة كما تبدو لأول وهلة فجل الوقت يقضي خارج البيت خاصة على كف الهر. وغالباً ما أمضى راسبوتين و «الإخوان» وقتهم في

من السكك، ثم شوه في محبات على خلفه الظهر مسح الغم الديني والصاغة
 في أواخرها على أنها في يوم التي عادت المحي ليوكونوفسكو خلال أيام الصوم
 من عام ١٩١٢ بعد طرد راسونين نسبة من الأسرة الإمبراطورية دعم
 في أواخرها في قلعة للتزانيا بعد عودتها من رحلتها حياة راسونين العائيلة سينا
 وقد أشارت فيه أن رحلتها في المدينة يسكن راسونين كثيرا كما اصطفتها
 في زيارة إلى فيرجونور. واكتشفت هناك أن الراهب ماكاري يكن
 لراسونين احتراماً، أكثر من رجل الدين في القرية.

وقعت هذه الزيارة أواخر آب عام ١٩١١. وفي أوائل أيلول من نفس
 العام زارت الأسرة الإمبراطورية مدينة كييف في وفد رسمي ضم رئيس الوزراء
 مسكوبسكي ووزير الداخلية وهو رجل كفء يدعى (كوكونستيف) وقرر راسونين
 في هذه أواخرها في وفد إلى كييف التي وصلوها في الثامن عشر من أيلول وأول
 في أواخرها التي شاهدوها العربدة الخاصة بالأسرة الإمبراطورية وهي تنقل التبرار
 في أواخرها عشرة أخرى نقل متوليين التي ما ان موت عليه حتى صاحب
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر
 على قدرته في التبصر، حيث كتب التبرار لأمه في اليوم التالي قائلاً:-

«خلال الإسترحة الشديدة (من اورا ريمسكي كورسكوف القيصر
 السلطان)... صممتا صوتين كما لو أن شيئاً ما قد سقط. خلت أنه زجاج
 أو زجاج قد وقع على رأس أحد كان متوليين يقف أمامي مباشرة ثم ادور
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر

أزواره

حياته العصر وب... في المستشفى لكن أحداً لم يسمح له برؤية...
 وربما رفض مسكوبسكي وأب... إذا قال امرأة عندما شاهد الراهب...
 مثل صوت وحيد وطل هو وكوكونستيف لا بأنه غير أحد...
 غيرهم... وهكذا توفي بيتر ستوليبين، أفضل واحداً من عرفوه برفق لا التبر
 والرجل الوحيد الذي كان صيغ اقتلاع الثورة.

اتتهت بموت متوليين آخر عقبة أحالت دون عودة راسونين إلى
 طرسبورج فعاد أدراجه إليها بعد أن رافق الأسرة الإمبراطورية من أواخرها
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر

بيد أن طرسبورج ظلت تراوح على حالها. وشيعت الحكومة المتدهورة
 لراسونين- ما ان بلغها قرب عودته- تستجمع قواها. وبعد...
 طرسبورج، مسكوبسكي. للإجترار لدى القيصر على عودة...
 لرد حياء إلا بكثير لشيء غير مؤونه. وقد توفي... بعد ذلك عاماً

قرر أليسيودور وقد رأى خزي راسونين ضم قواه لتيفوان وهرموجن.
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر

في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر
 في أواخرها في سيرة حياته الموت بجري وبالله وكان قوله هذا مثلاً آخر

أهداه ايليدور ما يحتاجه من دليل أن أخبره تفاصيل زيارته لبركوفسكو في العام المصرم. وحنة ايليدور لم غير مشاعره حيال راسبوتين فكانت أنه استمع لأعتراف الراحبة (كينا) التي اغتصبها راسبوتين.

فيما تقف رواية راسبوتين عن أسباب تفجر نزاعه مع هيرموجن متناقضة تماماً لما ذكرناه من سرد- وقد احتواها كتاب ابته. أنها - في أثل تقدير- رواية جديدة بالتصديق كرواية ايليدور. اذ يقول راسبوتين أن ايليدور قد تأثر شديد الأثر بمزاحه في الجنس الى الحد الذي حذاه أن يقطع عن ممارسته الزهدية. وفي احد الأيام ذهبت زوجة ضابط في بطرسبورغ تدعى مدام (اولغا لوكيتن)^(١) للاعتراف لاييليدور. كانت مستيرة الى حد ما ووبيا اعتقد ايليدور أنها ذات سط آخر من الرغبة. وعليه حاول اغتصابها قطعت المرأة المذكورة بالصراخ. وعندما صارع اتباع ايليدور لتجديدها، أعلن ايليدور ان المرأة قد توسلت اليه لبحامعها وانه قد طردها بعيداً عنه. فأخرجوها للفناء وانهالوا عليها ضرباً ومرفوا ثيابها ثم ربطوها على ظهر عربة محبتها على الجليد. أسفر ملوكهم هذا عن انهيار المرأة عصبياً وباتت اقرب الى مجرنة. (ويذكر فولوب ميلر انها صبت بعدئذ حم اهتماماتها نحو راسبوتين واصبحت من اكثر معجباته هياماً به لكن نوباتها الجنونية سمرته حتى حبل صبره في معالجتها).

قرر ايليدور بعد طول عناء تمجيل اتهام راسبوتين بالشكوى منه لدى هيرموجن الذي طلب من راسبوتين زيارته في التاسع والعشرين من شهر كانون الأول من عام ١٩١١ وصل راسبوتين مكان المقابلة الذي كان- على الأغلب احد أدبرة ساراتوف وكان لدهشته أن اكتشف بان المقابلة لن تكون على انفراد

(١) التي يذكر راسبوتين أنها كانت تعلم راسبوتين القراءة والكتابة.

فايليدور كان هالك والمعشوفة (ميتا كوليايا)، المتبنة التي طردها راسبوتين من البلاط وشاهدته آخرين وصحفاً.

ومرة أخرى نحصل على روايتين متناقضتين لهذه المقابلة. أولها سرد ايليدور الذي جاء فيه ان هيرموجن سأل راسبوتين ما إذا كانت قصص مغلغراته الجنسية حقيقة فأجابه راسبوتين مرتعداً: «انها حقيقة... حقيقة برمتها». ثم شرع هيرموجن الغاضب بضرب راسبوتين بصلب كبير وامره ألا يلمس امرأة بعد الآن وأن يبقى بعيداً عن القصر وقد اذعن راسبوتين لاوامره خوفاً على حياته هو.

يذكر احد الشهود وهو القوقازي (رودينوف) أن هيرموجن بدأ المقابلة بتوجيه اتهامات شديدة اللهجة ضد راسبوتين الذي رد عنها بازدياد مهذا الأسقف: «انني لن أطبل عليك صبراً». فلغته الأسقف وصرخ عليه راسبوتين وتقدم اخر به حتى أوقفه الآخرون. تبدو رواية رودينوف أكثر مصداقية وأقرب لشخصية راسبوتين من تعليق ايليدور.

هاملت ميتا كوليايا (التي كان عليها ديناً قديمة نجحت في التخلص منها) راسبوتين بتلطي قلب. ولم يلد راسبوتين وقتاً ليقابل التزار ويقدم له سرداً لما حدث مستهلاً اياه بمحاولة اغتصاب مدام (لوكيتن) ودون أنة اصدر التزار امراً يقضي بمعاينة هيرموجن وايليدور وفصلها في ديرين مختلفين. كان لهيرموجين الحق أن يحاكمه اثنا عشر اسقفا بيد ان التزار تجاوز ذلك الحق وقل هيرموجن الحكم وذهب بعد مرضه لدير (زيروفسكي).

ولم يلد ايليدور العفوية وقرر هجر بطرسبورغ ليحطب أرحاء البلاد هائلاً

وهو اصلاح وطري الخدم من النظام البريطاني الانكليزي مثله الاعلى اما روبرت يانكو
فقد ليس سراحة ملوكه وحسن اذاته الذي كان له وقعه حتى من التزار. بل انه
كلم واللذة التزار الامراطورة (دواجر) عن راسبوتين واكتشف انها تنظر اليه
حظيراً وشبطناً وهي قد وقفت ضد جميع من احببتهم زوجة انها بيد ان
حسبها الاكثرة في الوقت الحاضر هو كوكوتسيف الرجل الذي خلف
ستوليبي في منصب رئيس الوزراء والذي اختير لهذا المنصب لس معقول هو
انه الرجل الوحيد في روسيا الذي تمتع بالقوة والثقة الكافيتين لتزله المنصب لم
يحمه الآخرون كثيراً فهو رجل قصير القامة، أثيق اللبس، يزدي الآخريين في
سلطانه، قليل الكلام وجاف الأسلوب وقد قال فيه الأمير (فاسيلي) : «انتاب
الموت شعور أنه امام رجل نظيف حساء اثني جداء جند لطيف وجد متحصره.
لقد كان نريها لو قورن بمعظم المسؤولين الروس برعم ان الناس قد لاحقوا ان
الشركات التي له اسهم فيها بحاطة بالمفوض دائما كما لو ان شخصا دو مقام
وقع كتاب يستمل معلومات سرية . لكنه كان حشرة مقاربة ستوليبي او وت
م له كفه وعمل وهما صفتان لا يتميز بها الروسي وهو قد حاهد حين
تعمل منصب وزير المالية أن يغفل الدوما مراراً فأحبه التقيصر لذلك وغرس ثغته

غير أن كوكوتسيف وروزيانكو قد أشاعا احتقارهما لراسبوتين وأشد
خطراً كان الرجال الذين نظموا أهم أفعال راسبوتين وحملوا عليه من
أيد ظهروا . وأشد من ضرر له الضميمة من هذا الجمع معاصر يدعى (البكسي
فوستوف) الذي كان محافظ (نيكسي نوفكورد) وتبرهن قصة تتعلق فوستوف
بالظلم مسود راسبوتين السياسي في عام ١٩١١ معبد مقتل متولين أمت

الخاصة فانه في ١٩١٠ أحد مصور الداحلة الذي يراه انك حواس
أيقناً وعليه أرسل المصور راسبوتين الى نوفكورد ليرى منه إن كان هو هو
حين مرشح لذلك المنصب . وأندك لم يكن فوستوف قد سمع براسبوتين
والتت حفظته عندما قدم منزله فلاح اثبت بجاذبه مسلياً المده
فوستوف معجزة ولم يقدم له حتى وجبة طعام ولم يحجر راسبوتين مرد فعل من
هذا السلوك لكنه الملح حين غادره أن التفسير الذي سبغه للتقيصر لم يكن في
صالحه . وجد فوستوف الأمر صعباً عليه أن يصدق أن فلاحاً كهذا له حظوه
عد التزار، لكن فصوله دفعه أن يرسل أحد أزمائه يكتب البريد ويرسل
من البرقية التي بعثها راسبوتين للتزار يكو سيلو . كانت البرقية مرمقة قرا
فيرووف وبالدعشة فوستوف عندما قرأ : «اجري صاماً أن بعمة الله في
فوستوف برغم أن شيئاً ما مارا لم يمسح . طي فوستوف أنه ارتكب حرامه
وسافر من فور لبطرسبورغ لمقابلة التزار الذي استقبله بروح حمداً اليه أن
الإصلاحات الخاصة بمصاه الدالوعات في نوفكورد ليست بالإبحار المهم
التيها فوستوف حجة لديه ثم طرده بعدها احسن راسبوتين بالرضا وهو
فوستوف يتحول حاندا التعلق اليه وهو صوب لم يتدبر مع راسبوتين
فوستوف موعداً لمقابلة بعد مرور أربع سوات . لقد كان ملوك فوستوف
تعملت ذات وجهين أحدهما متزلاً لراسبوتين وهو أعمام والآخري متزلاً عنه من
سلطه وهو قد احج روبيانكو ان سر ملوكه التظيف مع راسبوتين انه ان
يفضي به محموراً في مكان هام فيارمه مع التزارينا.

ولا مملوحة هنا من ذكر اثنين آخرين لتكمل الصورة المحسدة للجمع
هذه السيرة . (١) «دواجر» (٢) «شكش» (٣) «فد» (٤) «ال» (٥) «ط

والتي كانت معه في الدماء، والأمير (هيلنوس يوسف) الذي التقى راسبوتين في عام ١٩١٩ ومرة أخرى عام ١٩١٤.

هؤلاء هم نفر الأعداء الذين شهروا صيرفهم بوجه راسبوتين عام ١٩١١
في لحظة واحدة في قتاله. هنا طلب رودزيانكو مقابلة التزار وقد نأى له
في الثالث من آذار عام ١٩١٢ وكان يعلم جيداً أنه كان يعمل في يده
والتي كان القيصير قد أمر متولين والأسقف أتولي حين أرادوا الحديث إليه
في راسبوتين. لكنه يدرك في ذاته قوة الشكينة وأراد أن ينفذ الاحتجاج مع
في هذه اللحظة شحيقته. كما قرر المحور إلى تكتيك معين فعد أن طرح موضوع
في راسبوتين، كحل الحديث مسرعاً. هل سأل أن شرف صاحب الخلالة أن يستمع
في راسبوتين حديثي؟ فإن كان الجواب غير ذلك فلنكم بكلمة واحدة وسألنكم
في راسبوتين. فتم التزار بصوت خافت، وربما كان مكر جيبها في رد فعل
في راسبوتين سمعت بأمر هذه المقابلة وقال: «تكله» استهل رودزيانكو حديثه
في راسبوتين السابقة مع راسبوتين وعرض على التزار تقديم أدلة موثقة تؤكد
في راسبوتين قد انتهر منزله لدى التزار باغواؤه وأغصابه كن قاة يقع عليها
في راسبوتين هل رودزيانكو أن يعلم أن القيصير قد استلم مبلغاً تقديراً ضخماً من
في راسبوتين حول هذا الموضوع ولم يكلف نفسه حتى عنه قراءته. ومع هذا أثر
في راسبوتين أن يدعه يعمي في حديثه لعله يجد وسيلة لإيهام المتدبلة، فطلب منه أن
يراصل القول فيما ظهرت النشوة لب رودزيانكو.

لم يملح رودزيانكو أن يتحسس مشاعر الذب في القيصير تجاه روحته
التي لراسبوتين. هـ (اليكساندرا) هي لا عبرها في الكون من ملكت لب بقولا
في راسبوتين في أمر الحاجة من يسه ثغته المعية ومن يجد فيه مكاناً لأسراره

في راسبوتين أن يعرف الأعداء الذين شهروا صيرفهم بوجه راسبوتين عام ١٩١١
في لحظة واحدة في قتاله. هنا طلب رودزيانكو مقابلة التزار وقد نأى له
في الثالث من آذار عام ١٩١٢ وكان يعلم جيداً أنه كان يعمل في يده
والتي كان القيصير قد أمر متولين والأسقف أتولي حين أرادوا الحديث إليه
في راسبوتين. لكنه يدرك في ذاته قوة الشكينة وأراد أن ينفذ الاحتجاج مع
في هذه اللحظة شحيقته. كما قرر المحور إلى تكتيك معين فعد أن طرح موضوع
في راسبوتين، كحل الحديث مسرعاً. هل سأل أن شرف صاحب الخلالة أن يستمع
في راسبوتين حديثي؟ فإن كان الجواب غير ذلك فلنكم بكلمة واحدة وسألنكم
في راسبوتين. فتم التزار بصوت خافت، وربما كان مكر جيبها في رد فعل
في راسبوتين سمعت بأمر هذه المقابلة وقال: «تكله» استهل رودزيانكو حديثه
في راسبوتين السابقة مع راسبوتين وعرض على التزار تقديم أدلة موثقة تؤكد
في راسبوتين قد انتهر منزله لدى التزار باغواؤه وأغصابه كن قاة يقع عليها
في راسبوتين هل رودزيانكو أن يعلم أن القيصير قد استلم مبلغاً تقديراً ضخماً من
في راسبوتين حول هذا الموضوع ولم يكلف نفسه حتى عنه قراءته. ومع هذا أثر
في راسبوتين أن يدعه يعمي في حديثه لعله يجد وسيلة لإيهام المتدبلة، فطلب منه أن
يراصل القول فيما ظهرت النشوة لب رودزيانكو.

لم يجد رودزيانكو مداً غير اغصاب التزارينا وبعد أن اكمل وثائقه
راسبوتين، طلب مغادرة التزار مرة ثانية والذي لم يشأ مقابلته وطلبوا منه أن
يكتب تقريره في الأمر فتأنيب ماذا يعني ذلك القول لقد اتفق راسبوتين في
حياته أخرى. وفي سورة معب ذهب رودزيانكو لمقابلة كوكوفستيف مسجداً
بأنه فعل بأنيبه به، ولكن أثر لها أن يفعله شيئاً لقد سبق إليه في العمل
والغلبة لمن أدركها.

أقدم كوكوفستيف الدنيا وأقعد لها لعله يسلك بياضية الأمور. ولكن ما
ما فعله هاهنا مشهوراً فلقد أخبره التزار لا شيء غير أن يذهب لمقابلة
رأسه. أحد كوكوفستيف هذه الصبيحة عمل عمل الخد وذهب لمقابلة
«الملك» هاهنا يدور وصفه للمقابلة كثيراً من وصف متداولين في العالم

الأمم من إلى الرجل محاولاً نومه معاطبها أو هكذا حتى ذوقه بشف ثم
 هات راسبوتين مائراً مائراً كوكوفستيف : حسن. مرحل. ثم شرع في
 من ملاحظات أنتت تارة أخرى فذا عبرته وولفته الواضحة للمستقل
 عت لكوكوفستيف عن وضع الغذاء وبصحته بالاهتمام يعطوط السكت
 الحديدي (لقد ردد هذه الصيحة تكراراً) وتساءل البر مرنارد بريس ان كان
 هذا الاهتمام باحم عن عصف سببي معين أم أنه يحسن الدم، فالذي أطاح بفلولا
 من مرشته هو الحصار المفروض على التحيزات الغذائية المقولة عبر السكت
 الحديدي.

دفع كوكوفستيف لهذا البصر ان كان بصراً - أعلن نساء. فقد ولّاه القيص
 منحه وما يرح يجهل حقيقة الأمور في ظواهرها وبواطنها وكل ما يدرك منها أن
 القيص يبحث له عن بديل عنه.

لقد عاش رودزيانكو خطة النصر وندوق أكثر خطة منها حين طوقت
 مع حكاية شاعت بعد أسابيع فلال في كل صوب من بطرسبورج وحدها
 في الحكاية أن العائلة الإمبراطورية قصدت (ليديا) لقصاه عطلتها الصيفة
 وحتت آنا فيروبولف راسبوتين على ركوب القطار ذاته الذي بفل العائلة
 إلى الطرفة وما ان سمع القيص بذلك حتى هاج شيطانه فقد عكر صفوه
 في العلاج للطيف وسوء الاتهامات التي ما فتأت تدور دائرتها واصر لذلك
 في القطار وإزال راسبوتين في محطة تدعى «نوسو» تقع بين بطرسبورج
 وموسكو وترك معه شرطياً يتأكد أنه عاد أدراجه إلى بركوفسكو.

لما حاله أعداء راسبوتين نصراً لهم وان خسر فيه كوكوفستيف

ورودزيانكو حصراً هذا ان البصر لكن حذرة الأشاء التالية حاهمهم بالذي
 أحصص مصوباهم العالية فقد تعرض الترافيتش لحادثة أخرى وهو بقم من
 البرورق وقد بش الأطباء من انقاذ حياته. فارسلت الترابيا للسو
 لراسبوتين (والتي سبق ان تحدثنا عنها في الفصل الخامس) وقد جاءها الرد أن
 انها سوف يعيش. وان القيص قد عصف أصابع الدم للقساوة التي عمل بها
 راسبوتين. فالرجل ليس الا قديساً وصانع معجزات وان أسفرت نصيباته من
 حبل القيص. وبحلول أواخر عام ١٩١٢. أرسى راسبوتين دعائياً لعوده إلى
 البلاط أمّن أساساً من صراها في الماضي.

وحوالي تلك الفترة كتب رئيس الشرطة لروديانكو قائلاً «لقد صرنا
 دوماً به فكلمنا رجل من القطار ذهب على الفور للقيامات مصطلحاً . . .
 سيدتين». هو رجل لم يفضيه الاجتهاد ولم يكلل له مساعد وما حال عقله . . .
 المكثف السياسية ومحاولات الاختيال التي تعرض لها عن الموضوع الأخرى . . .
 دوماً . . . الجنس

و غالباً ما أشارت التقارير أن راسبوتين «سكير مترنح» برغم أنه إذا ما دعي للقصر الامبراطوري ثلاثت منه حالة السكر وإن كان في أشدها.

بيد أن هذا النمط من حياة الممارسة الجنسية اللاشعورية وتعاطي الخمر لا تكشف عن سر بقاء راسبوتين في بطرسبورغ بل انها تضفي حل المشكلة بعداً آخر هو: لماذا ارتأى راسبوتين لنفسه هذا النمط من العيش؟.

لم يجد من أراد أن يحيط من شأنه - وهم جميع من كتب عنه - معضلة في ادراك هابته: فراسبوتين لم يكن سوى فلاحاً حائراً للخمر أسك بالعروة الامبراطورية عبر الخديعة والخداع ومضى يتلقى الأفضل من الأشياء. غير أن هذا الرأي قاصر لا ياسب الحقائق والوقائع، فيا كان راسبوتين يقدس واتما ورجل مرموق. بل هو أكثر من اغترف الأضفار في روسيا آنذاك بجائب ضارحييف. وكونه روسيا، تجلت فيه النزعة الشرقية لنبد العالم في داخله. وهو - كالعرب الذين وصفهم لورنس - لم يكن زاهداً، ومع هذا تمسك فيه الحب «لرياح العمانية الهابة في قباني الصحراء المترامية الأطراف»، وللسهول المعتدة حل مرمى البحر وخير من يفوح بهذا الحب للحرية وصفه للبحر او للسما في الدجى في يومياته. لقد كان راسبوتين حراً قبل ثقافته القيصر وكان له الأتباع والمعجبين لكنه لم يشعر بالإنتباه اليهم فظل جوالاً دائماً. اضحى راسبوتين بعد ذلك سجيناً في جو تبخرت عنه رائحة التآمر والخطر والإهانات. لقد أورد جواسيس الشرطة تقريراً جاء فيه: «شاهد راسبوتين هارباً من منزل شخص يدعى بيلكوفسكي يتبعه رجلان، ثم قفز الى حربة مارة وظل واقفا طواق الطريق كـ «لبتي» للتأكد ان كان أحد يتبعه». وهذا مثال ذكر لا حصر من المزامرات ومحاولات الإغتيال ضده. ويذكر جواسيس الشرطة ايضاً أن ضابطاً في الجيش

هاجمه في محطة القطار ولي مرة اخرى حاول جواسيس الشرطة تهدئة اثنين من الأزواج الهائجين وقفوا امام باب داره بينما هربت زوجتيها من السلم الخلفي للمزل. لقد استحوالت حياته الى كوميديا بطيئة لم تخلو قط من احناليات الخطر. وهنا نساءل: لم مكث راسبوتين في قلب الريح العانية وهو يستطيع أن يسابق الريح صوب فلسطين لعام أو أقل حتى هذا العاصفة؟ أليكون حسه العام قد أنباه دون نفاذ بصيرته أن أملاً له في الحياة بات بعضاً؟.

ثمة جواب معقول واحد لهذا التساؤل هو أنه أدرك موقناً أن اختفاه يعني نداعي العرش وهذا احتمال لا يبدو بعيداً كما قد يظنه القاريء أول وهلة. لقد حاصرت المنية القياصرة كما تشير لذلك مذكرات تلك الحفلة التي تنأ فيها الرومانوفيون بكارثة أكتوبر عام ١٩١٧. فيها تناقلت روسيا بأكملها نوره راسبوتين للقيصر عام ١٩١٢: «سيظل العرش آمناً ما دمت حياً وإن وانتهى المنية فانك لفاقدته وحياتك». لقد ظل راسبوتين في بطرسبورغ لأنه اشعر الكارثة القادمة وآمن أنه من يستطيع تضادي وقورها وهو ايمان له ما يبرزه. لقد أشاح حرباً في عام ١٩٠٩ وترقى أخرى عندما احتد توتر بين بلغاريا وصربيا وتركيا والنمسا وكاد أن يتفجر الى حرب لولا نفوذ راسبوتين (كما اعترف بذلك بيرس ايضاً). وقد وجدت وجهة نظر راسبوتين ما زكاهما عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ وأفست مباشرة الى حدوث ثورة. وربما تحمل فكرة أن راسبوتين أكثر من يلام على ثورة ١٩١٧ بعضاً من الصحة بيد أن ما هو مؤكد أن تدخله قد حال دون اندلاعها مبكراً.

الا أن مدى إيجابية او سلبية النظرة حيال هذا الأمر انها يعتمد على نظرة الفرد الذاتية لا سيما أنه يرى بعض المعين بدراسة الشؤون السوفياتية أن

معظم ما حدث من تعديلات في روسيا في حق المدينة ذات الحدث
على أنه حدث ضمن الناحية السياسية. كان الأمر مجرد قصة وقت محب حتى
تدعى روسيا نفسها نظاماً ديمقراطياً. ومن جهة أخرى نجد من الصعب قراءة
الحق الروسيين دون الإحساس أن روسيا كان لها الحق في نظام جديد يفس
أمره فيها ويغير لها الحياة وإن «الدوما» لم تكن هي الأخرى ولا إصلاحاً جدياً.
والصحيح هذا الأمر مجرد التاريخ الأمر صحيحاً أنه يصح عن راسوتين
في أن يعودوا إليهم موقفاً برمت طائفاً أنه شعع قيصراً حائراً لا شيء إلا أنه
أول يلمح بالعظمة أن أحسن ما يقابل لصالح ملكة راسوتين هو أنها كانت
مدججة عظمى بأن نفسها عن عاقبة مترقي القصر وهو يكثر رجحاناً بل
وخاصة عاصم تفلح وسائد الأقليات وهو كتابهود والفيلسوف لم يدحر وصفاً
في يطلع ما يشده من إصلاحات وعرفه من التصرفين الثوريين من الخناج
الأسرى لا لأنهم أرادوا التغيير بل لأنهم أتروا الصبغة الحديثة فيقف الأمل
وعنه قال المصورة التي رسمها دويستوفسكي في روايته «الشياطين» ليست
مؤلفة وصادق فيها بأي شكل من الأشكال فقد كانت المادحة لمعظم الثوار
معاً صديقه لا لملك أمة أوسبة مشتركة مع الجنس العام أو مع وجهة النظر
التي هي العميقة للمعروف العقلانية مثل دوجوونسي «المولوكاني» الثاني
ومن للإحسان وتشبثت عام العائلة وتغيران «الروح» و «الإرادة الحرة» شيئين
هين ومن وليدات العمليات الاحيائية والكيميائية. لذلك فإن رجلاً مثل
الذي هو الخوف بقواه الإحصائية وعفا نصيرته- لن يجد في ذاته أي تقارب مع
هذه الأفكار.

١٩ خلول (المركبات) أن الشيء الضروري الوحيد للمبردة هو حب الرجل النبع.

وعليه وقف راسوتين شاه ذلك أم أي. ضد كل حرب متفاد في روسيا

هكذا مضت السنوات لهم وحدهم دحلاً متصوفاً، وغيره الأحرار اعظم أنه
شجع برقة سرراً لتأهيم المظلمة، وعاداه المحافظون لأنه شجع اليسار والعمل
الاعتدال في السياسة. وقد وصفها شقيقها في حديث له مع وزير الخارجية
١٩١١ بأنها «حظراً» وقال: «إن التزار ملاك وقدير لكنه لا يعرف كيف يتعامل
معها»

وفي خضم هذه الظروف، أسس جلياً نعيم أصاب اختيار راسوتين
يرى الرجال حينهم وحتى أشدهم أنفسهم كماراً في عبور أتباعهم وسريكو، من
لستحيل إلا يصيب ملك الاحراف قطعاً وأنت تشتت ثبات الحقد والعداء
من حركتك ففي عام ١٩٠٥ لم يكن راسوتين لنفسه أي حدود في حال أحياه
المعمورة، بل أن العالم تطلع اليه فوجد رجلاً مروعاً. انهم رجال أمثال - دون
من النكروستات والفيلسوف هيرموح وآلاف الناس العاديين الذين التصل يوم
«الدين» حدود دون عام قديماً وبحلول عام ١٩١٢ مات بعض من هذه
«روسيا» وحتى أتوا من الفلاحين ما راق لهم أن يعرض حديث عامة من
سمهم أية على التزار والتزارينا. شرع بعدها يلوح براءة حياحه المعمورة فلما
أسودت قلوب النوم عليه نبحر عليهم غصاً وإزداءة. وما كنت يرمس ففلا
أخرج في محادثات راسوتين مع الآخرين طريقة من الإحتقار لأعظم ذوي شأن.
من وجه «السياسة» هؤلاء (دور انشال العظيم على وجه السياسة) قد سمعوا
له نوايا سوداء لا مجرد الإحتقار.

انتقل راسوتين سرراً في عام ١٩١٢ إلى مكس جليد وسكن في ١١٥

«روسيا» في شقة من خمس غرف تقع في الطابق الثالث ذات طابع جميل

يمكن الوصول اليه عبر فناء. وأما المظلة التي حلّ فيها فكانت أشبه بحجى للفقراء وغالباً ما كان الفناء مليئاً بالفسيل المنشور وتفرج من البيت رائحة الطبخ.

تضاربت بعض الآراء حول عناوين مكن راسبوتين قبل انتقاله لـ «كوروخوفي». ويذكر فولوب ميلر ثلاث عناوين أولها: شقة تقع في ضاحية (نيفسكي) استأجرها من امرأة غنية تدعى (باشاكوف)، وثانيها في (كبروشيا) وثالثها في الضاحية الإنجليزية. وحيث أن أول إقامة له في بطرسبورغ - وكما نعلم - كانت مع الصحفي سازونوف لذا يكون قد سكن حل الأقل في أربعة اسكن في العاصمة. وبرغم ذلك يذكر رودزيانكو أن راسبوتين ظل مقبياً مع سازونوف حتى أواخر عام ١٩١١، وما شقة نيفسكي والأرلة التي استأجر منها الا بدعة من بنات بدع الصحفي جارس اومبسا. ولأن الفتاتين قد مكثتا مع أييهما في « ٦٤ كوروخوفي » فإن القصص المريبة التي رواها فولسوب ميلر عن مفاسراته الجنسية وممارساته لطقوس العريضة ليست إلا مبالغة من جانب الكاتب.

أخضعت الشرطة يماونها جوابيها الشقة الجديدة لرقابة مستمرة. بيد أن معظم ما جاء في سجلات الشرطة لتلك الفترة لم يكن سوى تلمح كلام لا يملك من القصة غير شيء من بعض. لقد تلقى راسبوتين الهدايا كل يوم وكانت عبارة عن صناديق من الماديرا ووزم من الكافيار والجبن وسلال سمك وحتى قطع اثاث وسجاد. وقد أسهم التزار في فتح مكتب له استقبال فيه زواره الذين

(١١) الماديرا: نيلد أيضاً شديد الاسكارو يصنع في غرب المغرب شمال الاطلسي.

قدموه أفواجاً طالين شفافته لما رد لهم طلباً وتدخل مباشرة مع القصر أو التارينا لادراكه أنها لا يمرضان عن التماس. وفات مرة أخيرة القصر: «مضى سعداء لرويك يومياً. أما وقد أنجزنا لك ما أنجزناه، فلتا لا نرغب منك بعد اليوم مزيداً من المتنسين». وغالباً ما خرجت منه جميلات النساء راضيات ميا اولئك اللواتي أبدن له سطوته عليهن. وأما قصص محاولاته اغتصاب كل المتوسلات الجميلات فأغلبها منسوج بقصد الاساءة اليه ولنا في تقارير الشرطة خير شاهد، فهي أوردت أن أغلبهن يقين معه لعشر دقائق لا أكثر وكل ما لي الأمر أنه أحب أن يشتري نفوذه دائماً. ويروي رودزيانكو قصة غريبة تبرز ان معظم اللوم يقع الى النساء اتفنهن في ترويح القول والقبل وهي :- ارادت امرأة تكن الفساحي ان تحصل لزوجها حل ترقية فذهبت للقاء راسبوتين الذي تحدث معها بأدب واخبرها أنه سيضع الأمر نصب عينيه وطلب منها زيارته في اليوم التالي في ثوب قصير بلا أكمام - ربما لانه وجد فستانها غير مناسب للوقت. ففعلت المرأة ادراجها خاتبة الظن وقررت الا تعود اليه. لكن ثوباً شديداً اعتراها وهي في طريق هودتها لمنزلها ومستذكورة عيني راسبوتين تخترقها حتى الصمى. وفي اليوم التالي حصلت حل ثوب قصير وصرخت نفسها حل راسبوتين. خير أن اغتصاباً لم يحدث يرطم ان زوجها حصل حل الترقية.

أراد رودزيانكو من القصة الإشارة الى قلادة راسبوتين حل التوهم المخاطبي بيد أن القصة لا تشير لغبر متبرية المرأة المعنية. لقد كان نديماً مع النساء في سلوكه، ساعياً - كما يتجل مكلدا - الى امتصاص (جفجفتن) وكثير من تقارير الشرطة تؤكد ذلك مثل : «طلب راسبوتين منها تقبيله لكنها أبت ذلك وقادرت المكان...»، «أزوت زوجة العقيد (تاريفوف) راسبوتين واخبرت

لم يمتنع راسبوتين عن الوجود المستمر لجواميس الشرطة فهم بمنحور
بعضاً من الأمان، بل أنه عقد صداقات مع بعضهم ودعاهم لمرافقته للكنيسة أو
الحجرات (ظل راسبوتين مواظباً على الذهاب للكنيسة وحضور صلاة القداس).
وهو يعلم جيداً أن هؤلاء الجواميس يمتنعون بواب المارة رأتاً أسوأ زهياً
للتجسس عليه. وكان يضاجع أحياناً الحياطة التي تسكن تحت بطاقي أو مع
الملكة التي تقطن الشقة التي فوق شقته وهو يفقه أنهم من عيون الشرطة عليه.
وهو لم يشعر باستحاض من التجسس عليه فهو جزء من النظام البيروقراطي
وجزء من الشعب في الرتبة الروسية. فالشرطة لم تتجسس على نشاطات
راسبوتين فحسب بل نجوته للتجسس على التزانيا، فهي إذا ما خرجت في
سزعة راقبت الشرطة خطواتها شراً بشراً وإذا ما توقفت للتحدث مع أحد
معارفها أوقفت الشرطة من تحدثت إليه حال مفادتها ومآله: «هلاً أخبرنا
الذي دار بينك وبين التزانيا بالحرف والكلمة؟» فلا خراية أن تبغض العائلة
الإمبراطورية الشرطة.

ظل راسبوتين يزور القيصر يومياً دون الحاجة لدعوته رسمياً. وعادة ما
أنافه القيصر وزوجته فما من شيء يعكرو صفو حياتها العائلية. وقد تعود
راسبوتين دخول القصر من بوابته الخلفية - فيما استعد الزوجان لاستقباله في
جناحها الخاص - ثم يشرع بالحديث إليها بلطف وكمية فيلمح القيصر على
كشفه مازحاً ويضع في أحيان أخرى يده حول التزانيا مقلداً أياها بحارة
وقالها ما بروي قصصاً عن مييريا إذا ما حضر اليكسي واستمنعت الفتيات
بلفافات صمودة معه يصرح فيها معهن عن اهتمامهم ببعض الصايط في بطانة

المخبرين بعدها أن «الستاريتز» قد عائق صبية أمامها وقد وجدت في الحادثة غزياً
مفروقت عدم زيارة راسبوتين للأبد. وأخبرت امرأة، جاءت في طلب
لراسبوتين، بواب المارة: «طلب مني راسبوتين أن أطلع معظي دون أكثر
منه لنوسلاتي وظل يتحس وجهي وصدري وطلب مني تقبيله ثم كتب
ملاحظة لم أطلع عليها وأخبرني بكده مني وطلب مني الحضور في اليوم
التالي». ويتضح من ذلك كله أن معظم زائرات راسبوتين كن قليلات الاحتشام
وربما أشادت الأحداث إلى تناول راسبوتين قدحاً من الخمر في غذائه لكنها لم
تشر إليه بـ «شيطان يحاول تعرية كل امرأة متروكة».

ليست للملاحظات راسبوتين قيمة كبرى فهي موزجة في أغلبها لب
منطقي هو أن صموية راسبوتين في الكتابة ما زالت كبيرة. وقد سخر أحد
القصة أمام الجواميس من كتابة راسبوتين الحرفاء. وتحمل تلك الملاحظات
عبارات مثل: «صديقي العزيز، افعل ما يوسعك لحامل الرسالة. كرهكوري»
وكان يرسلها لقليل من أصدقائه أو معجبيه أمثال سترومر أو الأسقف بارتاني
الذين له عندهما مكانة.

وغالباً ما أرسلت التزانيا أنا فيرويوف حاملة عباراتها لراسبوتين. وقد
أوردت أنا في مذكراتها أن كثرة الرسائل قد أزعجتها كثيراً والتي تضطر فيها
لصعود السلام وشن طريقها بين الحشود المزوجة من المتوسلين. وتذكر أن طالبا
ففيها ترجسها أن يحصل على معطف فأرسلت له واحداً. وهذا قول يحمل في
طياته حقيقة أن معظم المتوسلين على باب راسبوتين من الفقراء الماديين أما
الرجال الأكثر نفوذاً - الذين طلبوا صوملاً مع التزانيا أو مساعدة في الأمور
المادية - فقد بلغوه عبر (ميلوكوف) أو (سياتوفيش) اللذين تعاملوا مع من يعث

الشرار. وما زال يلعب دوراً ولو قليلاً في تعيين الوزراء لادراكه ان أغلب من يحتل المناصب الرسمية يضر له العداء.

أقلت مضاجع القصر في أواخر عام ١٩١٢ وبواكير عام ١٩١٣ كثير من الأمور. فقد انتهت فترة حكم الدوما الثالثة في نهاية عام ١٩١٢ وتشكلت «الدوما» الرابعة برئاسة رودزيانكو. بيد أن القصر - برغم رضاه ظاهرياً بوجود الدوما - ما زال يطمح أن يقوض سلطانها. مائساً بتشجيع راسبوتين إليه في نزعته هذه. وقد تقاعمت القمة الشعبية في أواخر عام ١٩١٢ بعد حادثة ساحة (لينا كولد) عندما قشعت الشرطة النيران على المتظاهرين العزل. فأرسل أحد قادة الحركة العمالية البارزين وبهدي (اليكسندر كيرينسكي) للتحقيق في الحادثة واكتشف ان الذي امر الشرطة بإطلاق النار كان سكراناً ومعتوها. ومرة أخرى وجدت الحكومة نفسها أمام هجوم الدوما عليها وربما تمس نيقولا عردة خوالي الأيام حين لم تكن هذه المذابح الصغيرة شيئاً يعتد به. وتوزعت المظاهرات وأعمال الشغب في عموم روسيا وبلغ عدد المتظاهرين من العمال في عام ١٩١٣ حوالي ثلاثة أرباع المليون وتضاعف العدد في السنة التالية واستفاد اليساريون من هذا الوضع. وبرغم ان الإغتيالات لم تصل العدد الذي بلغته في الفترة ما بين ١٩٠٥ و ١٩٠٧ عندما اغتيل ما يربو على أربعة آلاف شخص. فإن الشوار قد أصبحوا مهرة في السطر على المصارف وسرقة قطارات البريد لتحويل قضيتهم. وفي تلكم الأثناء حمت الاضطرابات دول البلقان وداعبت فكرة اغتيال الأرشيدوق (فيردناند) وريث عرش النمسا مختلف الجماعات العرقية السرية أمثال جماعة (نارادونا وبرانا) وجماعة (الكف الأسود). وعليه كانت روسيا جالسة على فوهة بركان دون أن تعلم ذلك.

لم يحرك القصر ساكناً لتحسين الوضع الروسي. وقد احتفل بالذكرى المئوية لإندحار نابليون في ايلول من عام ١٩١٢ وجرت مراسم احتفال هيجمة رافقتها تظاهرات وطنية. وشهد عام ١٩١٣ أعظم احتفال بمناسبة الذكرى الشلتامة لحكم آل رومانوف. وسافر الشزار والشرايينا لرؤية اول منزل للرومانوفيين على غير الفولغا واصطحبا راسبوتين معها بيد ان هذا السلوك كان لاعتقالاتاً لفرحان ما تلاه تصادم علني بين راسبوتين وروديانكو فضع شعور القبط والإزداء لدى رودزيانكو لراسبوتين. كان رودزيانكو موظفاً روسياً نموذجياً فخوراً بموقعه وغيوراً على سلطته. وقد سمع أن «الدوما» أعطت مقاعد خلفية في احتفالات كاتدرائية كازان بمناسبة الذكرى المئوية لطلب لمجلسه بمقاعد أفضل فقال ما طلب، ووضع من أتباعه من يراقب تلك المقاعد. وبينما كان رودزيانكو ينتظر خارج الكاتدرائية جاءه رقيب وأخبره أن فلاحاً جلس على أحد المقاعد ورفض أن يتحرك عنه. وأضاف أن هذا الفلاح هو راسبوتين الذي ارتدى عباءة روسية رائعة من الحرير القرمزي وجزمة جلدية متحمزة وبنتولنا اسودا ومعطفاً قروياً وارندى صليبا متدلياً من سلسلة ذهبية. انتفض رودزيانكو وذهب حيث جلس راسبوتين وجأر فيه: «اذا ما خاطبني (كما أنت) لأمسك بلحيتك وقذفت بك خارج الكاتدرائية. ثم امره بالخروج من الكاتدرائية برغم ان راسبوتين قد أراه بطاقة دعوة من التزار شخصياً. ركم راسبوتين على ركبتيه وبدأ بالصلاة فضربه رودزيانكو بقدمه صارتها فيه: «كف عن هذه الرقاعات». فتأوه راسبوتين وتتم «الهي اغفر له خطاياء» ثم غادر المكان.

لا يلمح هذا الحديث حديثاً بالتصديق لشخص كروديانكو فهو ملك

بصدقة لم تعيد له منصبه وظل هكذا حتى وارى التراب بعد عام من فصله.

ما فتأ القنصر يسمى لحل «الدوما» وظل معه مجلس وزرائه مناهضاً لهذا المسمى فيما أنجب من كرهه راسبوتين فكرة اغتياله لا محالة. وكان (بومبوف) يكمل آنذاك دراسته في ألمانيا. وأما القس ايليودور لما برح يغلي حقدا وسلواه الانتقام من راسبوتين.

وفي يوم من الأيام، اجابت ماريا راسبوتين حل الهاتف الذي رن في منزل أبيها في كوروكوفوري. كان المتكلم رجلاً غريباً أخبرها أنه رآها في الشارع فسلت منه في لحظة بصر له. لم تكن ماريا بنت الست عشرة ربيعاً أية في الجمال، خبر أنها ملكت فماً كبيراً وعينين نافذتين بالحياة وقوام جميل، وورثت موهبة أبيها في الرقص. وكانت من السلاجة أن آمنت معها بفكرة حب رجل غريب لها وقررت عدم ابلاغ والدها بالأمر. ظل الغريب يطرق في مسامعها فكرة الحب أن وصف لها جولاتها تفصيلاً صامها تصدق أنها كانت مراقبة من كتب ودون أن يفصح عن اسمه او شخصيته.

قرر راسبوتين في بداية حزيران من عام ١٩١٤ الذهاب لبروكوفسكو وفضاء فعل الصيف فيها ذهب التزار وحائكه كعادتهم لمنطقة ليناديا فكان هذه المرة صائباً في قراره. وحقيقة الأمر أنه قرر السفر لأن فكرة اغتياله طلت تلقن مضجعه فما أغمض له جفن، فبدأ رحلة العودة الى انديار والتي استغرقت خمسة ايام في القطار ثم يومين آخرين في المركب من نوبولسك. وفي الطريق تحدثت ماريا الى شاب يهودي من بطرسبورغ أخبرها أنه هو الغريب الذي حادثها هاتفا. ثم تعرفا جيدا على ظهر المركب وقد وجدته لطيفاً حاضر الطرفة

وصديقاً يظن به لكن عيبه شكله، فقد كان قصير القامة أسود الشعر يهودي الظن. لقد أعيا الشاب ماريا في أمره. اذ أخبرها حين وصلوا ببروكوفسكو أنه ساكت في القرية. يا لدهاء هذا الشاب، كيف بلغ دواخل صبية في السادس عشرة من عمرها.

وصل الجميع ببروكوفسكو يوم السبت الموافق السابع والعشرين من حزيران عام ١٩١٤. وفي الساعة الثانية والربع من ظهيرة يوم الأحد قدم سامي انبريد ومعه بركة لراسبوتين الذي قرأها بسرعة وخرج صادياً سامي البريد أن يتظر ريثما يكتب ردا لها. وبينما كان يجيب حل الرسالة اقتربت منه فلاحه كان قد رآها في نفس اليوم عندما ارادت مخاطبته بعد انتهائه من القداس فتوقفت راسبوتين ليعطيها قطعة نفوذ لكنها سرعان ما تقدمت نحوه لتعطيه بالكسبي في معلنه فهورل راسبوتين ولحقته المرأة ثم فكر ان المجرم افضل وسيلة للدفاع فامسك بقطعة خشب كانت ملقاة على قارعة الطريق وضربها على رأسها ثم هاه لمزله مشغل الحطى نازلاً دماً ونادى على الخدم بصوته الجمهوري. وفي تلكم الاثناء شاهد الجيران محاولة الاغتيال وأمسكوا بالمرأة التي بدأت تستعيد وعيها وسحبوها لمنزل راسبوتين وهي تصرخ: «قد قتلت عدو المسيح». خرجت ماريا ورأت الفلاحين وعلامم الغضب على وجوههم يحبون مخلوقه ضعيفة ذات انف كبير مشوه وهي تجاهد في التخلص من قبضتهم كان اسمها (كينا كروميفسكا) وقد وصفها لبيان انها كانت «امرأة جميلة». حيثد رأت ماريا المراسل الصحفي اليهودي المسمى (ديفيدسون) وصرخت في وجهه فانطلق بسرعة ليرق

(١) يذكر بيرس نابيماً للطمس وهو التاسع والعشرين من حزيران يد أن ماريا تذكر أن التاريخ كان يوم الأحد الموافق ٢٨ حزيران.

الإخبار الجريده في مطر مسوع ولت في المرة الأخيرة التي شهدت فيها ماريا.

استوفقت كوسيفا ولاقى راسبوتين عناء في الإبقاء عليها من الموت فيما دخل هو مستشفى (نيومين) لقد كان حرجه بليغاً فقد فتحت الطعنة احشائه لكنه أبى الموت وعلم في المستشفى ان كوسيفا أحدى عملاء الميودور وانها البقت نواقل ضعتها اباه بالثقب المخلوع في الترويع ووصف بيرس كوسيفا بصحية هنيئة لثنق راسبوتين وهو وصف لا يبدو عادلاً فراسبوتين لم يرها من قبل ومع ذلك تراه توسط حتى لا تخاف المرأة شيئاً وقد علم انها عنوة وسجنت في ملجأ اما دور ديتلمون فقد ظل مجهولاً.

وإذا أصاب الحبر راسبوتين في بوكروفسكو ثمة صحة أخرى كنت عظمى خاصة قتلها كان الممثل (كافريلو برنيس) وهو شاب بوسني ومن المحتمل النمساوي لوسيا اما صحته فهي الأثيمون (فرديناند) وريث عرش النمساوي الذي اصاب احتبار اليوم الذي يزور فيه ساريكو لانه كان يوم (الجمعة) ذكرى الإندحار العظيم والذي كان قصة رسمية ادركت في الساعة موته وقد علم اطلاقه اني ارى ارمدة التي متعاني في الساعة ١٠ وبعد العشرة من صباح ذلك اليوم التفت قلعة من مع محلي حل في القصة الكبيرة فحجرت العديد من المحررين وتركت فرديناند وزوجه وقد حاول محطت المحولة المدعو (شربينوفش) الاعتناء بالسيارة التي اقترعها عليه ثم حضر الفرسوف وزوجه مهرجان في قاعة اديبة في المكان بعد نصف ساعة وبني أوشك أن يستغل سيارتها وحرقها مصور في يد يد لهوقته في ممرى شعور أن مريداً من القديس موجوده بجانبه وقد صدق في احشائه فقد كان (كافريلو برنيس) الطالب الشاب

المسلول يحمل قلعه وهو ليس من مائة راويع يست ومصاصه بل انه اولئك على مقعدان فريضة الإمتثال فحسباً اقترت السبارة منه اعتمد للإطلاق احدها استدارت لتدخل شارع قراقرز جوزيف.

ان التاريخ الحديث على كلف صغريت حيث صرح شخص ما انه السبارات بالوقوف فالعشرين في حيز التعديل وهذا ما رجعت من السبارة تقدم برسيب واطلق رصاصتين أحسن فيها رعاية اذا أصابت احدهما السبارة واستقرت الأخرى في جسد اللوق. التي بعدما القبض على برنيسب.

تقع ساريكو على بعد خمسين دقيقة في خطوط الطول من بوشوفسكو وهذا يعني أن الساعة الحدية عشر في ساريكو هي حوالي الساعة الثانية والربع في بوكروفسكو وانما لمصادفة صحيحة أن يشهد التاريخ محامليين للإعتقال في اللحظة ذاتها تقريبا وهي مصادفة تجمع المرة ميلا للشك المعنى أن الساعة سموت فرديناند قد جعل الحرب وشبكة الوقوع وحرق راسبوتين حول هذه الحادثة حتميا فهو الرجل الوحيد في روسيا القادر على تفادي وقوعها^(١)

توالت الأحداث مرعباً ورأسبوتين رائد في المستشفى. فلما الحقد الصرية- النمساوية ظلت تمتحن منذ ١٩٠٨ هـ واليوم قد صاور الشك النمساوي وكانت محقة- ان صربيا وراء الاغتيال وريث عرشها وارسلت انذارا تطلب فيه تدارك كبير يتضمن وجوب السماح للوطني النمساوي بالاحتواء على مظهر صربيا حول عملية الاغتيال غير أن صربيا تعرضت عن الاغتيال فانه

(١) لا أعلم أن أحداً آخر غير ذلك الكتاب قد أشار لذلك المصادفة

النمسا الحرب. تحبط القيصر مانا حساه أن يفعل. فصريح الأمر أنه سيهب لجددة صربيا وهنا لن نفق ألمانيا مكتوفة الأيدي وستهض لمساعدة النمسا. ثم نوصل لنسرية وأمر بالنفير الجزئي. وتلك هي اللحظة التي كان سينفذ فيها وجود راسبوتين الموقف فقد أكثر القول أن دول البلقان لا تستحق القتال عنها. لكن الحرب تمثل اهانة لروسيا يرغم كل شيء لدول البلقان نفع بينها وبين النمسا ومن الواجب أن تبقى دول مستقلة. أما النمسا فأرادت أن تحرب حطها ثانية مسئلة يوم خذع رجل دولتها (أرميتال) - وهو سياسي انتهازي من نوع بيسارك - روسيا عام ١٩٠٨. ومن حينها ما برحت روسيا تداوي حرحها وتترقب ساعة الانتقام. وما غزو صربيا اليوم بأقل اهانة عن سابقه وهو كصفحة على الحد. لكن الأسوأ منه أن ألمانيا أخذت تعد العدة لمساعدة النمسا وأمرت روسيا أن تستوقف تحركها فوراً. ويرغم كل هذا الضجيج لم يتوقع أحد اندلاع حرب لأن أحداً ما كان راغباً فيها. حيث حاولت صربيا تفادي الحرب أن قدمت رداً ودياً للنمسا تقترح فيه (نسوية) فيما قدمت روسيا في محاولتها نمادي نشوب الحرب اقتراحاً يعرض المشكلة برمتها إلى (المحكمة المقدمة) للبت فيها. ذهب المقترح أدراج الرياح وقصفت النمسا مدينة (بلغراد) عاصمة صربيا وسمع الروس شائعة أن النمسا أعلنت حالة النفير وأمرت بالتعبئة العامة فأمر القيصر في الحال اتخاذ نفس الاجراء.

كان راسبوتين راقداً في المستشفى حين بلغته أنباء النفير فأرسل في حالها برقية للقيصر يتجاه فيها تجنب حالة الحرب. استشاط القيصر غضباً وهو يقرأ الناس راسبوتين. فروسيا برمتها متعطشة للدماء وتعالى صيحات الغضب التي عبرت عن الوطنية المحمومة وفتفت الدوما هي الأخرى دامية للحرب. ولو

حدث أن حاض راسبوتين والقيصر الحرب لبات كلاهما أقل رجالات روسيا شعبية ولكنها كانتا سيغاديان ثورة ١٩١٧ من جهة أخرى.

أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا أولاً وأصبح نيقولا لأول مرة طيلة فترة حكمه الرجل المعبود في عموم روسيا وقد استمتع بهذه الشعبية المفاجئة حتى وصفه للمعلم (كيليارد) بأنه كان أشبه برجل غير التزلز.

أرسلت ألمانيا انذاراً هي الأخرى لفرنسا وبلجيكا وقد كان الإنذار الموجه لفرنسا مهيناً كالإنذار لروسيا أصر معه (ويلهلم) على الحرب. وعندما دخلت القوات الألمانية أراضي بلجيكا دخلت بريطانيا الحرب دفاعاً عن حيادية بلجيكا. ثم أعلنت اليابان الحرب على ألمانيا وبعدها انضمت إيطاليا لجانب «الحلفاء». ومع اطلالة شهر آب - وراسبوتين لما يزل يداوي جرحه - كان نصف العالم قد دخل أوار الحرب.

الفصل التاسع

«امطار من نار»

كانت أوروبا أثقل اعتماداً على قوى غمار حرب ١٩١٤ من ذلك انكثرت عام ١٩٣٩ أما رئيس وزرائها ميراثهم ميراثهم الشخصية (كروميكر) السبع من العمر أربع وسبعين عاماً فقد ظل في الوزارة (خدم) الفصيرة قبضاً ظل ووير الداحية (مانلايف) أن أي معنى حرب قديمة سيفتد من مكينة حدوث ثورة. لقد حدثت روسيا الرجال لكنها انقضت لكثرة السلاح، وحلوا للاعتناء لعدم فإن كثرة الرجال وبعض السلاح بطل عتفاً إيجابياً ضد المعنى الدامي للحرب. وقد نجح على المحد الرومي أن يقطع أصفاح بعيدة حتى يصل وحدته وهي لا تلك الاقل من الطائرات الحربية وماتت نصفاً من المدفعية نفسها والمجيرة، والاتصالات بين الوحدات والقيادة كسب حامية في السوء وثقت عبر هروب والاصابات فليته وحتم على جمعية الصليب الأحمر المساعدة في الفيل. ماتت الحرب بحلول تشرين الأول من عام ١٩١٤ ما يبرر على اثنين مقاتل بلا ينادق.

ومع هذا نأق الآن أن بعض مشاكل السنوات العشر الماضية كانت مراً واقعاً ليوم. فقد وددت كورث الحرب البالية امصاحات في الجيش سيات سيات سيات. وتمكنت روسيا في الشهر الأول من الحرب حينها هو نمر

مشير. ثم نالت بعض من الإندحارات الرهيبة في آب وابلول مثل معركة (وامسوك - كوماروف) ومعركة (تاتنيرج) التي انتحر بعدها الجنرال الروسي (سامسونوف) ونجم امر مئات الآلاف من الروسين. من جهة أخرى هزم الروس القوات النمساوية في معركة (لامبيرج) واجبروها على التنازل عن (كاليسيا) الشرقية.

لما يرل الحال في حبس بيهر. فقد غير الروس - في محاولتهم بلوغ الوطنية اسم مدينة القديس بطرسبورغ الى (بيتروجراد) وقد كان لاسمها القديم الكثير من الصفات المشتركة مع بطرس الكبير- المناصر لألمانيا. لكن هذه الألياء كانت الى حد ما نموذجية للمثالية المشوشة التي تقف وراء الجهد الحربي الروسي. وهكذا قرر القيصر الذهاب للجهة وتولي زمام القيادة هناك بنفسه. ما حاهد وزيارته لنتيه من هزيمه وارسال بدلاً عنه الفرانديق نيقلولا- أول من ناصر راسبوتين ثم ندم لفعله بجلب راسبوتين للبلاد القيصري وبات هدواً له. واتخذ التنازل قراراً يقضي بتحريم بيع الفردكا لانها تحدث السكر وتخفض حل المحمود الحربي وكم كان عظيماً الحماس الوطني لما اعترض أحد على القرار واستمر التحريم عاماً تقريباً.

وبرغم ذلك فشلت الروح الوطنية في ولوج دواخل ذوي السطوة في البلاد. فذاك وزير الحرب الجنرال التقليدي (سوخو ميلنوف) الذي وصفه الن موهبد به العسكري المتحجر يتفاخر أنه لم يقرأ أصغر كتاب عسكري منذ خمس وعشرين عاماً وأن ما يعتمد عليه هو الطعن بالحراب. وتلك هي زوجة اليهودية اخشاء - التي تصفحه بأعوام عديدة - لا نكتث لأمر غير البلخ وما كان من روحها الجنرال إلا أن يجد طرائق للبقاء لها حتى قبل أن أحدها بيع بلاده للألمان

والأخرى اغتلاص الأمور المخصصة لشراء الأسلحة.

بيد أن التعصب الرجعي هيكل عقول الخبة المتأزعة وغير الخائفة من الوزراء فنزاهى لهم الفلاح الروسي وبسبب حماسهم الوطني مصدر قلق لا موطن حامية وتطلعوا صوب الحندي الروسي فخالوه منها لحرموه من الأكل في المطاعم السامة ومنعوه من الركوب في الحافلات وسلبوه حق في قراءة الصحف دون إذن من أمره. وما كان يستطيع أن يجيب على سؤال ما به: «لا اعرف» بل عليه القول: «لا استطع ان اعرف» فطالما هو فلاح فهو «لا يستطيع ان يعرف».

سار الرجال زرافات زرافات صوب منيتهم وخاضوا غمارات معارك ما كان النصر نصيبها فلاحى المية منهم اربعة ملايين في خمسة شهور فحسب. وذاك لم يكن خطأ التفائد نيقلولا. فقد كبل يديه الفرنسيون الذين سرعان ما اجتاحتهم الألمان. بل هو لم يكن مستعداً ليقاتل وهجوماته الخاطئة في بروسيا الشرقية وبولندا وكالييا قد كان نصيبها الفشل ميباً. وما ان حل عام ١٩١٥ حتى عاشت روسيا اندحاراً كاملاً.

^(١١) تلکم هي الأوضاع التي واجهها راسبوتين لدى عودته الى بيتروجراد في ايلول من عام ١٩١٤. فالقيصر غاضب عليه من برقته التي ترجاه فيها اطفاء جرة الحرب. وقد لاحظ الجميع ان نيقلولا قد اضحى رجلاً جديداً مذ نشيت الحرب. بيد ان التزاوينا لم تلمس حاجتها الشديدة لـ «صديقها وناصحها». فهي للآلية المولدة وغلب على الساحة الرأي أنها في صف الألمان، وهو الافتراض لم يكن سليماً برمته. وقد سرت طرفة عن التزاوفيتش تقول على لسانه: «لست ادري

(١١) خبر الاسم في الحادي والثلاثين من آب ١٩١٤.

من حيث ان سيد ودا ما حشر الروس الحرب معهم وجه في ذلك حشرها الألمان
منهم ما كان لهذا الصحت الترابيا شديدة العصبية ووجدت أن من المستحيل
منهم الظهور العامة وهذا أشار السبع الفرنسي أن سلوكها في مادة عامة كان
منهم ومنها انشرت على نومة من بوماتها المنيرة قبيل نهاية المائة

وقد استولى كمدية وت - ماضيا هيدا للحرب وحامت حولها
استولى عليها حاسوبان للألمان ثم ماتت وت في آذار من عام ١٩١٥ تاركها
والله استولى يعمل على هدمه وحيداً لقب اقل الرجال شعبة في روسيا
والله استولى السائد على حاسوب للألمان لم يكن الروس من
الحسن نفس اوزهم فقد اكتشف أن أحد العقلاء واسمه (مياسريدوف) وهو
منذ في لوزر الحرب (سوخوميلوف) يعمل عميلاً للألمان واعدموه لذلك
وشجع القتل والقتال أنه كان عشيقاً لروجة سرحوميلوف. كما اتضح أيضاً أن
بعض اليهود بنصرون الألمان الأمر الذي أفضى الى الشروع بحملات اباداة
في هذه المناطق شملت جميع اليهود في روسيا وبولندا وهرب الآلاف منهم خارج
البلاد هائمين في الأراضي الروسية ومات أغلبهم بسب الجوع والطبقة

في حضم هذه الأحداث عاد التراب ثانية ليكون الحاكم المطلق في روسيا
منهم مع «المدمرة» من الإحتياج وسجن ستة من النواب المنفيين وكان مادمهم
(السيوفسكي) حاسوباً شرطياً رغم أن الغالبية قد وثقت به واحتنه ومن بينهم
الذين سافروا لأول مرة منذ هجر سيم لم يعترض احد على تسلط التراب
في هدمه والحكماء قد عاش قلق الحرب ونبي لدمه من سلطان القيصرة وظل
حتى هكذا حتى «الملك» عائلته سافله بعد تسرب أنباء الجبهة المشوومة لتبخر
الحماس الوطني وعاد التمرد القديم ليشعل الى جميع الشعب.

أنتاك استقطب واستولى مشاعر التراب التي شعرت بغضا ثلاثة
الطريق ومساءه القهيم تسحت من صديق فاستسلم لعن نفوده الأعداء
وسرت اشاعات أن استولى قد نوبها مستغيباً (دارت قصة أخرى
استولى بدأ عام ١٩١٣ بتلقى دروساً في التزويم المعاطى من - - - -
الاحتصاص لكن (بيلينكي) طرد الحير من بطرسبورغ) وربما اكتشف
أن التراب يدان تعقد قرب زوجها منها والذي كان يستأجره شعبة مع - - -
ولا بكثير لأسر غير الحرب، لذلك أضحى استولى لفترة من الزمن - - -
صم كن مشاعرها العيفة وفي صيف عام ١٩١٥ بدأ اسم استولى على التراب
يأفل حجمه بعد أن تزوج مع نهاية عام ١٩١٤ وكان له نفس الشطة الحادة
الجنرال (درايوفسكي) شديد الحقد وسمى (ليل منه) وشجع يمحس في اد
القيصرة بعض نشاطات استولى سيما حملاته الصاخبة في (بيلارد) ودا
يظلمه فيها السكر فيبحث عن القيصرة بلا توقير وكأله يتحدث من - - -
أنه اعانة، ويصل به الأمر أحياناً طلع ملابس - وهكذا فقد موطنه - - -
المعصر مع حصول عام ١٩١٥ واضطرت معه التراب للقاء صراً في - - -
فيرويف الصغير بالقرب من القصر في تزاريسكو سيلو.

في الخامس عشر من شهر كانون الثاني من عام ١٩١٥ توجهت أنا الى
بنيروجراد لزيارة والديها وفي الطريق تعرفت لخاتمة امقدم وهذا - - -
كانت تستقله سحر محم مع تحطم عدد من العربات واصابة - - -
فقد احشر صافها في جدار التدفئة الحدي وامقدم أسفه به حمة - - -
ثم احمر حيوها وحملوها على باب مخلوع وارسلتهن التراب - - -
دمر الآلة - - - التي قطعت - - - بعض أمل في - - -

أنا أن الاميرة كانت تنوي قتلها وقد أصابت في ظنّها فالاميرة تعيش خلف الكواليس). لم يسمع راسبوتين بالحادث الا بعد مرور يوم كامل فاستعار سيارة وانطلق مسرعاً للقصر حيث ترقد أنا فيروبيوف فاقدة الوعي برغم أنها وددت بين الحين والآخر وهي تهذي عبارة «الأب كريكوري». دخل راسبوتين الغرفة متجاهلاً التزار والتزارينا اللذين كانا بجوار سرير المريضة وأمسك بيدها قاتلاً «اسوشكا انظري الي» ففتحت عينيها وقالت: «كريكوري حمدا لله» ظل راسبوتين ماسكاً يديها بعض الوقت ونظر اليها ثم قال للتزار: «سوف تعيش لكنها ستكون مثقلة». ثم خرج من الغرفة لكن المجهود أعياءه والتعب أضاعه فتمشعر وخر مغماً عليه خارج الغرفة، فيها أعلنت آنا تستعيد عافيتها بعد زياره راسبوتين.

ان أشد عناصر القصة تشويقاً هو- دون ريب- سقوط راسبوتين مغماً عليه وقد شهدت صحة الواقعة أنا بنفسها وموسولوف رئيس البلاط بقولها: «يولد في مشيه داخل الغرفة وترنح خارجها وسقط مغشياً عليه ثم امتزق متعرقاً وشعر أن ما أوتي من قوة قد أخذت منه». ومن ذلك يتضح أن ما حدث ليس إلا مثالا اخرًا على قدرة راسبوتين على العلاج ومثالا هذا يحدد أنه تخيل من حيويته لإعادة شحن فعاليتها. وحقيقة الأمر أن أنا كانت تصارع الموت حين رآها راسبوتين وقالت ليها الطيبة الامبراطورية للتزار وزوجته أنها في عداد الموتى وطلبت منها إلقاء نظرة الواقع عليها وكل هذا كان قائماً قبل وصول راسبوتين وعليه فإن جهد اهادة (احيائها) قد كلف راسبوتين طاقة لم يسترقفها من قبل. من جهة أخرى لا يبدو ممكناً أن راسبوتين قد قتل من قواه الروحية في المبريدات التي وصفها عنه دزمانكوفسكي.

وحسني لو صح القول، فإن في الحادثة لمحة لأهم جانب من حياة راسبوتين. أنا ونحن نقرأ سير الأحداث المصروح صوب الكارثة- ميا غرابه المصادفة بين اغتيال راسبوتين واغتيال الارشيدوق فيروناند- نستشف صعوبة الا نعلمس ابطال الرواية بغير دمي كارتونية ومن أن وجهة النظر الماركسية للتاريخ على أنه القوة الحقيقية وراء قضايا الإنسان هي وجهة النظر الصحيحة. لكن راسبوتين عاش في بعض زمنه- في بعد آخر من التاريخ- وفيه يلعب سر نفوذه وسقوطه على التزار والتزارينا. كما يبدو أن (المأهية) الخداعة التي تكبل اغلب بني البسيطة قد انتقلت عند راسبوتين.

هذه النقطة تستحق منا الاسهاب في الشرح قبل الحديث في غيرها. يمحط أبناء المصمورة لفهم بنوع من التوازن بين العالم أي الطبيعة الخارجية وبين الإدارة. وان اهدف المادي خاضع بالتزام لقوانين الطبيعة: فليس بوسع ورقة الشجر ان تفرق بارادتها السقوط او البقاء معلقة على الشجرة، وكثير من الحيوانات سلبية الإرادة في الاختيار فهي تتكيف للطبيعة فحسب، ويبنى الإنسان المخلوق الوحيد المادي بفعالته للطبيعة والساعي دوماً الى التوفيق عليها بدلاً من الخضوع اليها.

بيد أن عادة السلبية تظل مغروسة في الانسان برغم ادراكه انه قادر أن يهزم الظلام بمجرد الضغط على زر الامة. فهو لا يكف عن الشعور باحترامه للطبيعة وخوفه منها ومن الواقع الخارجي فجزه من وجوده لما يزل يرى الطبيعة الحاكم المطلق والسيد المطاع. ويلعب الشعراء والفنانون ابدع من ذلك فيعلمون بهزيمة نكراء للطبيعة وفوز ساحق لروح الانسان. وبرغم ذلك يسترقف معظم الشعراء هذا الامور المعادي للطبيعة- وخصوصاً في منتصف العمر- ويدأون

الكيف معها - بيد أن روح الدين رمزها - روح المديين والآليات المهمة - هي
 مصدر بغوى الروح المظنفة والافسان العادي يستخدم ارادته (دستورياً) أحداً في
 الاعصار قوانين الطبيعة. وهذا يعني انه لو واجه مصاعباً ولو رافقه صوره الطالع
 الذي يبدو (قضاء وقدر) أو من عمل الصدقة لاكتشف القروط وشعر انه ضعيف
 عاجلة وملياً وله لم يال جهداً حتى يركب الصعاب. ها هنا قد هجرت الروح
 لأشئ فعل وثلت الإرادة.

وأما رحل مثل راسبونين فسيخطو أبعد من ذلك وعطاء العاين
 وحدهم الأقدر على تعدي القدر. فذلك يتهوّل يقرب بقضت على دوي
 الصمم. حتى تلوح الروح كأنها الفائرة بشحاعتها ومثايرها وان كانت الطبيعة
 أمدى منها. ويعتق راسبونين غريباً أن لا مكانة للهزيمة والإرادة فاعلة حتى
 وان كدت المواجعة للأمر الواقع من جانب الطبيعة. ولست ما لم يكن
 راسبونين مثبباً كني الشر فهو وبدلاً من أن يتهار في حالة هزيمة. انتفضت
 حيويته لتواجه الطوارئ.

لقد وصف العديد من الشعراء هذه الحالة من اليقظة في الفاعلية حل اها
 من السلبية تجاه اخباء. وهي على الدوام ضرب من الاستيقاظ من النوم.
 «وليام بليك لسلبية الإنسان وجعلته الحيوانية» (المحولة) فيقول -

كلنا يقع في طاقة هوك

حتى تدنو الساعة

ساعة تنطق اسبه

ويهللي بالمحولة في المحيرة

ويصفه «ينس» الشعور ذاته على مستوى آخر: «عندما يصارع الإنسان
 الجنون» :-

من عينين مكفوفتين

يهز ثوبه

يكمل بعض عقله

ويسترقف لوهلة

على هيئة

بضحك حالياً

وقلبه في وثاق

وهذا هو ما يعنيه غارجيف في «الصراع ضد النوم»

وتتبنى السيدة يدي - التي وصفاها سابقاً - نظرية القائلة أن الإنسان لا
 يبلغ بعد هيئته المظنفة على الطبيعة ظلالاً هو يمثل موقفاً عروبياً من العالم
 دون ما يشل قواه. وهو في ذلك انه يصاحب كلب هلوع لا يستطيع السيطرة
 عليه لأنه حاتم الخوف منه.

ان راسبونين وبرغم كل ما قيل حده ليمسك هذا القفال العروبي والقوة
 العظيمة والادراك لقوة الروح - فسات قادراً أن يرى روسيا تحدر قهرباً نحو
 الكارثة - انه لم يستطيع فقط ان يصبح قدرباً لأن في هذا شيء من القوة هي

للأية الإنسان الغريبة. لقد وصفت التزاوينا علاجه لآلما بالمعجزة. لكنه ليس بمعجزة إذا ما قبلنا كلمات (فينيس كويمبي) بل هي مجرد استهزاء لقانون الطبيعة. غير أن العائلة الملكية التي ولدت قدرته قد وجلت العلاج ولا ريب بمعجزة.

لقد تعددت طرائق وصف الحادثة الفعلية التي نجم عنها اللاكتراث المؤقت من جانب التزاو حيسال راسبوتين اواخر عام ١٩١٥ ويقول بيرس أن: «أقل توضيح مجعومي نستطيع اختياره... ما هو الأذى الذي لحقه بسماعة التزاو؟». لقد أضفت الحادثة في الواقع عصلة حسنة حل شهرة راسبوتين فيها وصف تقرير الشرطة الحادثة بها يلي:-

في التاسع من آب من عام ١٩١٥ ضادو راسبوتين بعد زيارته لدير في (تيومين) على متن سفينة بخارية تدعى (توفاربار) التي بدأت رحلتها في الساعة الحادية عشر صوب بركوفسكو.

وقراءة الساعة الواحدة ترك راسبوتين مقصورته غموراً وعقد صداقات مع بعض العساكر الموجودين على ظهر السفينة. واعطاهم خمس وعشرين روبية وامرهم بالفناء. ثم قفل حائداً لمقصوره وبعدما عاد للقاء العساكر واعطاهم مائة روبية أخرى. فقتروا جميعاً. ودعاهم لتناول العشاء في صالة الطعام من الدرجة الثانية لكن القبطان امرهم بالخروج. كما تشاجر مع بعض المسافرين وأغلغل على صيدة طريق العودة لمقصورتها. ثم ظهر على ظهر السفينة ونشاجر مع رجل من تيومين ومع الناجر (ميشالوف) من تيومين. وتغزو بالبدية من

(١) عرض (كارل ميسان) الوثائق الأصلية القانونية المتعلقة بمقتل راسبوتين للسبع (الانريك ١٩٢٩).

الكلمات عن (بارناي) اسقف لوبولسك. تنازع بعدها مع احد المضيفين هطاباً اياه بالسارق الذي ومتهما اياه بسرقة ثلاثة آلاف روبية. ثم عاد لمقصوره ونظر من نافذته الى سطح السفينة. وهنا صرخ بعض المسافرين الناقمين: «قصوا لحيتته... اخلقوا ذقته». وطلب منه احد الخبيرين أن يقفل نافذته لحبس اية حوادث أخرى. وعندما وصلت السفينة ميناء بركوفسكو سجد وهو في حمرة سكره اربعة نجارين واستقبلته بنتاته وأخلفته في كلية الى البيت.

هذه هي «الحادثة المربعة» التي لم يوافق على صحتها العديد من الكتاب ولا نستطيع فهم السبب لراسبوتين مقت الطريقة التي حومل فيها الجنود كحيوانات ذليلة ويبدو مصدر الحادثة بأكملها استهجاناً للطريقة التي عامل فيها قبطان السفينة ومسافرو الدرجة الأولى وتعاليمهم على الرجال اللاتدين من حياض ووصيا.

لقد أحسن راسبوتين دلماً عن نفسه. اذ قال أنه ما كان غموراً وأن المسافرين قد أهاجوا شيطانه بنظرهم الاستملاية لمن يلدو عنهم وقال محاجماً أن القبطان قد خبر هويته وأنه اتخذ منه موقف المضاد لأوائه (راسبوتين) الماهمة للحرب، وهي آراء علمتها روسيا من قاصيها الى دانيها (وقد اشرنا سابقاً الى غالبية روسيا ظنت براسبوتين والتزاوينا جاسوسين للألمان).

طرفت الحادثة العيشية مسامع القيصر ودار القول حول اعدام راسبوتين بغير اية تهمة جلية. وثمة حادثة مشابهة أخرى وقعت داخل قارب نهري لا

معروف صه شيئا سوى أن المستويين كان سكوا. وقد حاولت الشرطة استناره
بها من الحاشين أن يقوم بحولة طويلة الأيام بين الأديرة لكن «التاريخ» عليهم
محاصرة وأصعبهم تنفيذ الأدلة هذه لأنهم فيروبوو ثم رفض أن ينزجرح من
موقفه قد أنملة.

ترك (الحياه) راسوتين لأنما فيروبوو أثرأ لدى القصر لا يقل بمقتال ذرة
من تلك التي روعه فيه شدة انه على يد راسوتين عام ١٩١٢ فهو قد تعامل
عنه وبسط روحه رأيا أن راسوتين بمنك قوي غير طبيعية. وهكذا عاد في
عضون أشهر قلائل للمحظرة المكتبة برغم أنه عاوض الحرب جهازا.

بعد أربعة أيام من حادثة أن فيروبوو، مضى راسوتين منشيا على التلوج
«السبة لكاتبو» - «استروفسكي» حياها مع صوت حوافر حصان يفر من
الاستبداد حذرا وقفر بعيدا فقد اندفعت موجة وضرت فتعثره ثم سقطت
الرجلة وهرع رجال الشرطة الذين كانوا قريبين منه - كعادتهم - وسحبوا عدة
من كسوا على المرحلة. (ولم يجدوا «بانيونج» الذي روى الحادثة هذه الرجال
الذين كانوا فيها) واعترف الرجل في التحقيق أنهم قدموا من ال (تروبيين)
من «دعة ابليودور» بيد أن أحدا لم يكشف ان كان عملهم تنفيذ الأوامر
من دور أم أنهم أرادوا سحق الضمير الإيقاع بالرجل الذي سب طرد وانعاد
الرجل دور

وهذه قصبة تتوقع أن يأخذها المليون آنذاك على عمل الحد. انها محاولة
من أجل حيلة ذات دليل ظروفي دامغ له اعترافه وأمينه. لكن أحدا لم يسمع أكثر
من ذلك وقد عذرت أن الرجلان قد أطلق صراخهم ولعدم كفاية الأدلة. وربما

لتم دهبانكوفسكي * نمر - حقا أحسن في المرة القادمة» وأصاف قلابة بمرءة
عن (ملوك راسوتين اشين) على متن القارب النهري. والمحاولة في رأيه
يعود حمل عشوائي حدث في بينه وجراد طالما أن راسوتين مقرب الصا بها

كانت الترابيا معها تتمتع بتحرية جديدة ألا وهي شعيتها مع القوات
الملحقة. لذلك قررت الشروع بهذه مستشفيات للحرحى - ربما ان
لنصيحة راسوتين -.

واندفعت طوع هذا العمل الأساسي بكل ما اوتيت من طرفة عين
فافتتحت مستشفيات في عموم روسيا ما فيها تراريسكو سلاو وساعات على
تجهيز الكثير من المستشفيات في القطارات التي تحمل اسمها ثم بدت على
العمل كمنصرمة تحت اشراف الاميرة (كوادريتش) وأصبحت على تقديم (أ)
فيروبوو وابتيهيه مهنة التعريض أيضا. كانت اما تلبية جديدة وما افادها
العلاء الذي نكته ما الدكتور كواديتر بيد ان حادتها اهتم مكرأ مثاها
القصر في مهنة التعريض. فيها ملأت الترابيا واسيها الترابيكم سلاو بالحوار
الحرحى واعتين هم نوع من الاخلاص الماسويي. وأما أنملة فقد وحسن
العمل بمشافته أفضل من حالاً من القوط الذي اكفهم من حيلة مد
الشيء في القصر. كان مجتمع بينه وجراد ميلا لقد فعلت وشايات الباراد
وتكتب مؤلف رواية «سقوط الروماني» (وهو امرأة على الأمل) قصة
«حتى وهي ملاكا للرحمة فشنت في قميص شعور احدي عسكها الاميرة
روسيا. لقد صلبه ولويتها راكمة امامه تغزل قدمه او تضمد جراحه...»
وربما ان ذلك ان تجاوز الدور الذي تلعبه بيد ان بعض ما كانت مصرها
ذكرت ان الجود لم يكونوا ملأ القدر من الاستياء كما زعمت البدة المحبولة

الاسم. ويقال ان ضابطا مختصرا ثمناك بإرادته الإعجازية حتى تأتبه التزاوية وتبارك موته. لقد ومبها هذا السلوك حالة رومانطيقية في حيون الجند الذين لم يروا قبل هذا إلا صورا لها وهي صبية جميلة وحزينة في سن العشرين وما ظنوا يوماً أنها ستغدو عقبة عظيمة تعاني من غلاب اعصابها ومن مس الانضهاد.

توفي وت في آثار وذهب القيصر لشفتيش الجبهة بعد ان باركه راسبوتين الذي فكر أن يرافقه حيث ذهب لكن الفراندوق يقول قتل الفكرة في مهلهما وصرح أنه لقاتل راسبوتين على مرأى الجميع لو ذهب هناك. وقد ذكر راسبوتين في دفتر يومياته أن رجلين ما زالا يهفان حجر عثرة في طريقه عليه الاطاحة بهما. وهما الفراندوق ورئيس الشرطة دزهانكوفسكي.

ومرغان ما واثته فرصة التخلص من الرجل الثاني. فبينما كان التزار في الجبهة، وقعت بضع حوادث صغيرة أخرى سارع في تهويلها اعداء راسبوتين لنفسائهم كبيرة. وفي الثامن من نيسان سافر راسبوتين لموسكو لزيارة قبر البطارقة. وكتب بيرس: «يبدو ان الصلاة لديه كانت عظيمة الشأن وربما أحس في صلواته حسنة. وعلى أية حال فقد زار احد اشهر اماكن التسلية مينة الصيت ويدعى، يار.». وما حدث هناك لم يتأكد لأحد. اذ تزعم الشرطة في تقريرها انه فتح ازرار ملابسه الداخليه وعرض اعضاءه التناسلية على العامة. بيد ان مروس اوحاش يقول في «مذكرات جميل انكليزي» أنه راسبوتين دخل مهجعاً حاصراً ارتفعت منه بعض الأصوات المزججة وأصوات نبرة يتصايجن. فإن كان راسبوتين خالماً نصف ملامسه، فإن قصده لم يكن الاستعراض غير المعتنم بل هو صيغة طبيعية للممارسة الجنسية. استدعى المدير الشرطة التي لم تشأ أن تقحم نفسها فيما لا طاقة لها عليه فالتصفت هاتفياً بمديرها الذي اتصل هو الآخر

بدزهانكوفسكي في بينو حرد والذي امرهم باعتقال راسبوتين. وقد اقتيد لاهاً ومثلمرا بينا حاولت الشرطة تهتته في مركز الشرطة المحلي حتى يفرج الصباح. وورد في تقرير الشرطة أن راسبوتين لم يكن جالسا وملابسه الداخلة ممتوحة فحسب، بل انه اعلن أن هذا هو سلوكه في حفرة العائلة الإمبراطورية أيضاً.

وفي شهر حزيران- ابان عودة نيقولا- تم استدعاء راسبوتين للمثول أمام القيصر الذي كان حد غاضب منه. حاول راسبوتين تهيج سلوكه (المراثي) ولعل صراحة انه رجل آثم وهو قول لأشد وطأة -على حد اعتقاد بيرس- على الروسي من أي رجل انكليزي. لم تعلم التزاوية بالحادثة. بيد ان دزهانكوفسكي ساءل في امكانية استغلال الحادثة لإسقاط راسبوتين. ولكن سبق السيف العدل فقد طرح راسبوتين شكواه امام التزاوية ويبدو انها كانت شكوى حقيقية: لقد تهاهى دزهانكوفسكي بالحكم في جنح صغيرة وفي الوقت عينه تغافل متعمداً مقاضاة الرجال الذين حاولوا اغتيال راسبوتين. هتدث ابلفت التزاوية زوجها بوجوب طرد دزهانكوفسكي من منصبه وتم لها ما تريد. وتولى منصب رئيس الشرطة المشبه (بيليتسكي)، الذي طرده دزهانكوفسكي، والذي لعب دوراً مهماً في حياة راسبوتين خلال العام التالي. ولم يعلم راسبوتين بذلك. بيد أنه كان أحر ما تبقى من حياته...

الفصل العاشر

راسبوتين.... يغدو تزارا

إن تأملا في مجرى التاريخ لنك الحفة من الزمن مبعث فإ الاعتقاد أن
الحرب حملت من اندلاع ثورة أمراً مقصياً. بيد أن دراسة متعمقة للدليل نفاثم
سلطن في ذاك الاعتقاد. ففي الكلترا كتب (روبرت بروك) سونيئة على
للحرب فيها ومظننها « شاء الله اليوم الذي دعا في ساعة قيامه » ويمضي
« اصفا الصراع حزام بطهر امره من حظياه. وفي روسيا كن الشعور ذاته يتفرق
صفوف الشعب. وبأديء دي يده نقول لو نصح القيصر في بلوغ السلام خلال
الأسابيع الأولى من الحروب مبما وقد حقق الروس تقدماً ساحقاً حتى
المسويين على المفاوضات لماثت بذور الثورة قل نصحبها لقد دخل القيصر
فليب الشعب حتى الثورين بينهم فقد «سلى الزار» (فلاديمير بيرستف)،
هو غير ثوري أصلي معظمه وقته في تعرية عملاء الشرطة الروسية في الخارج.
صحباً نشوار بمساعدة القيصر لو احتاج لعوسم بين قد حدها بتفاهة بالعدة
في راسب حيث أخلوه معتقاً (ثم صدر عفو عنه). وظل (اليسن) الوحيد الذي
يكن له مآخذ وظل من الشوار انتهاز فرصة الحرب وقتب النظام ولم يتبع
حده سوى مطبات حزب اليساري المظفرة التي ماسد معظمها بعدد المجنود

الحرى بحماسها الوطنى.

أما وقد مر عام واحد، انقلب واقع الحال عالىة سافله. ترى كيف حصل ذلك؟ يقع وزر معظم المسؤولية على كاهل وزير الحرب (سوخومالينوف)، الذى أنهم لاحقاً بالنعالة للألمان. لكن الحقيقة تكمن في غير هذا المكان. فقد اعتقد أن الحرب ستضع أوزارها حثية أجياد الميلاد عام ١٩١٤ وعليه لم يضع السلاح والذخيرة حساباً. بل هو رفض عرضاً فرنسياً بشراء الأسلحة، زاعماً أنهم ليسوا في فاقة للسلاح. فكانت عاقبة ذلك أن أسك الروس بتلابيب الصر بالحرب لمحسب مضحين بمجرى للدماء متدفقة. ثم التقى رودزيانكو القيصر ونجح بطرد سوخومالينوف والرجعي الراجم ماكلاكوف (وزير الداخلية) من مناصبيهما وكان ذلك في شهري أيار وحزيران من عام ١٩١٥. وشغل منصب وزير الحرب الجنرال (بوليفانوف) - المقاتل المشدد وحرر الأخلاق-.

ورودزيانكو، ربما أنهل غروره وبهريله للأشياء، لكنه غير من أين تؤكل الكتف. وبصفته زعيماً لحزب الأحرار، مضى حيث الخطى ليقي على روسيا من مراقب الفموض البيروقراطي والغباء الرجعي ومشكلاً مجلس دفاع انحطت مهمته على تحويل الناتج من الصناعة الروسية إلى صناعة السلاح. وعليه كان واضحاً في اجتماع الدوما في الأول من آب عام ١٩١٥ وجود جبهة موحدة وصفق الجميع لوزير الحرب عندما أعلن تعاونه الصميمي مع الدوما. فبدأ كما لو أن روسيا وجدت من يتفلسفها برغم وجود التزار. غير أن يقولوا أسد السمي ثانية بعد مجرودة سنة أسابيع بقراره الخلاق الدوما حتى شهر تشرين الثاني. فأنار عليه غضب الأحرار وأضرب همال بيتر وجواد ليومين. وبزوخ بيرس تلك

الساعة تاريخاً لاندحار الروحبة الروسية. ترى ما الذى حدا بالقيصر أن ينيى هذه الخطوة التعسة؟ لقد مكته الخوف من انزلاق روسيا (للدستورية) برغم أن الدوما لم تشد أكثر من «وزارة نقمة» أي رئيس وزراء ومجلس وزراء يحظى بشقة الجميع. ولم يكن (كورميكين) إلا أسوأ رجل لمنصب رئيس الوزراء لا لأنه دمية لم يتشدق بغير (نعم)، بل لأنه كان عجوزاً ماكراً دائماً ما تحدث عن موته وتناسى مصير وطنه.

وخلف هذه المشاكل تقع التزارينا المهووسة بغيرتها على سلطان زوجها، فظلت تهمس في أذنه: «أنت لغيرك أنك الحاكم المطلق». لقد هزل جسدها من نشاطها في التصريف وازداد ضعف قلبها الذي فقد قوته منذ ولادة التزاريفيتش حتى اضطرت لاستخدام كرسي متحرك. ونشر الرسائل التي كتبها في عام ١٩١٥ إلى صق حبها لزوجها وعائلتها يرافقه شدة مقتها للدوما وكثيراً ما تحدثت عن رغبتها في شق «رودزيانكو البشع» وجشكوف أو بتدبير حادثة قطار لها.

وعليه، تتحمل التزارينا بشكل غير مباشر وغير نصيحتها للمبصر مسؤولية اخلاق الدوما في الملول. كما تأخذ على كاهلها وزر قرار آخر أوقع بالدوما ومجلس الوزراء في حالة من الصخب: أنه قرار القيصر أن يصبح القائد العام للقوات المسلحة.

ثمة أسباب وراء هذه الخطوة الموجهة. أولاً كانت غيرة التزاريما من الشعبية التي فاز بها الفرانكوف بقولاً. فقد كثر القول والقليل أن الفرانكوف قد أعلن نفسه (بهدولا الثالث). وسها يكن من أمر، فقد غلبت شعبية بقولاً

شعبة القيصري في الأشهر الأولى من الحرب.

وثاني الأسباب هو نفور راسبوتين من الفراندوق الذي كان له أول الأمر نصيراً ثم جعلته الأهم - شأن الكثيرين غيره - ألد أعدائه. وحين اقترح راسبوتين زيارة الجبهة وتخصيص ايقونة للجيش بمثل له الفراندوق بركة جاء فيها: «نعال ولسوف اشتبك قور وصولك». بيد أن ثالث الأسباب يحتمل من الأهمية مكاناً. فهو ينطوي على فزعة نيقولا الانزامية. لقد لميزت بيتروجراد بحاجتها الدائمة للعين الباصرة حتى ألقاه مشاكلها. أما في الجبهة فقد لحل الأمر بالبساطة وفيها فلاح الجنود بعلو صغرياتهم غير آبهين بهزائمهم شديدة الوطأة. وبزغت من خصالهم شجاعتهم وسجلوا نذرة الأهمال في وقعها شهد لهم بها بيرس وغيره. لقد كان نيقولا رجلاً عسكرياً عاشقاً للهواء الطلق. بيد أن وجوده في الجبهة لم يكن حتمياً فالفراندوق نيقولا قد أحسن قيادة. من جهة أخرى كانت بيتروجراد في أمس الحاجة لوجود التزار لمعالجة مشاكل توزيع الغذاء ومشاكل النقل. غير أنه ضاردها، مهتدماً بعبريته في المساء الأمور، صوب الجبهة بعد أن طرد الفراندوق وتاركاً زوجته وراسبوتين لتولي مسؤولية حكم روسيا بأكملها. احتج مجلس الوزراء على هذه الخطوة فقال أعضاؤه تنفيذاً لأوامر زوجته. وقد عبرت الدوما عن ارتياها من هذا القرار فأغلقتها ليندو راسبوتين - في واقع الحال - تزاراً الآن. . . .

لم يكن نفوذ راسبوتين سبباً برغم حدة العف الموجه اليه. فقد أدرك شأنه في ذلك شأن رودزيانكو - أهمية الكك الحديدية ونجح في اقناع التزار بتأجيل رحلات نقل المسافرين لثلاثة أيام ليستنى لتجهيزات الطعام والذخيرة الحربية الوصول لاماكنها المقررة. وتم له ما أراد لا ثلاثة أيام بل لأسبوع: بيد

أن القوضى واللاكفاءة كانتا حصيلتي الجذور ولم تصل معظم التجهيزات وجهتها.

في تلكم الأثناء - وتحديداً في الشهور الأخيرة من عام ١٩١٥ - حاول نحس الطالع (البكرز هفوستوف) الظهور على مسرح الأحداث. وحري بالامتدكار هنا أن راسبوتين كان قد التقى هفوستوف قبل أربع سنوات ووجدته (يفتقر الى شيء من). فحدا منذ حينها هفوسراً في الدوما ونجح أن يكون المتعلق الدليل لراسبوتين بينا تظاهر بمساندة رودزيانكو.

ولد هفوستوف متأزماً مائراً وقرر اليوم أن الساعة قد حانت حتى يكثر عن أسيابه ويمسك بتلابيب الأمور في روسيا. وقد حملت غايته خطة جسور تفضي أن يتسلق سلم السلطة على أكتاف راسبوتين ثم يهزم على من أوصله طائفة بسلطه.

لقد آثر أن يتم له الجزء الأخير من الخطة بمساعدة الشرطة. فاختار لهذا الهدف (بيليتسكي) حوئاً له، والذي سبق أن طرده دزهانكوفسكي لكنه عاد ثانية بعد سقوط دزهانكوفسكي. شرع الاثنان ينسجان غططها الذي انطوى أولاً على اقناع راسبوتين استعمال نفوذه وتعيين هفوستوف وزيراً للداخلية حل أن يتظاهر كلاماً أمام الملا أن لا حبل وصل بينه وبينها ولائها بحاجة لمن يوصلها الى البلاط القيصري فقد ارتأيا استغلال خدمات المتأمر اللواطى الأمير (اندرونيكوف). وإذا ما طرقت اتباء المزامرة سامع الدوما يقول هفوستوف أنه انها يمسو لإسقاط راسبوتين - وهي التبة الميته - وأنه يحاول الدخول لمعكر الأعداء. فان دوما حنة السلطة أذلوا الصعاب ولن لئمنها من تنفيذ مأربها

حسبة. فالكثير الكثير من الأموال مرمية في البلاط تنتظر من يجمعها. وقد نجح قبلها وزير الحرب السابق (سوخومالينو) في تحويل بعضها جيبه الخاص لكنه كان آخرها فالدوما كانت تقترح في نفس ذلك الوقت تقديمه للمحاكمة والقضاء. (يبد أن تدخل راسبوتين الذي ضمته زوجة سوخومالينوف الجداية بسعر يمكن أن نحدد - انقله من المحاكمة). وسرت ارجوة أن شخصاً أهماً حصل على ما يعادل ثلاثة ملايين جنيهاً من الحكومة لتجارب أجراها على قاذقة لب والتي تحملت عنها الحكومة بعد أن أحرقت عدة رجال حتى الموت. تأمل هفوستوف الوضع بعد أن اضحت الحكومة في يدي التزارينا فلم يتمالك نفسه. فحط من شأن راسبوتين كما فعل مثله الكثيرون.

غير أن الأمور سارت - باديء الأمر - أحسن مما كان يتوقع. فقد أدخل اندرينوكوف هفوستوف للبلاط دون أدنى صعوبة وأعلنت التزارينا أنها «توق لرؤيته». وترك كلامها أثراً كبيراً في نفس الآخر. وقالت لزوجها في إحدى رسائنها: «انه يشبه صديقنا هرغوري» وكلمة (هفستر) تعني في الروسية (ذيل) وبدأت التزارينا تنادي ميكافيلي هفوستوف بـ «ذيلي الزينة». وسرهان ما أشغل هفوستوف منصب وزير الداخلية -والذي يعني ايضاً منصب رئيس الشرطة- وتولى بيلينسكي منصب المساعد، وبات كلامها وحل مدى الاشهر الخمسة التالية الحاكم الفعلي لروميا. لقد برهن هفوستوف ملاءمته للمنصب ان تلاعب بالانتخابات لصالح الدوما حين اشترى سرّاً عدداً من الصحف «لترجيه الرأي العام». ويستحق هفوستوف في مستقبل تاريخ الديكتاتورية ان يكون سلفاً لهتلر وموسوليني في مجال الدهاية. (انه السلف الحق فقد أعدمه البلاشفة ومعه بيلينسكي بعد قيام الثورة). ومفروض أنه اختلس الكثير من اموال الدولة كما

أظهر ذلك التحديق المتأخر من مصير الملايين التي منحتها اياه الحكومة لأجل التلاعب بانتخابات الدوما.

يبد أن غاية كلا المتأمرين لم تكن السطو على خزانة الدولة فحسب. لقد كان بيلينسكي نافذ البصيرة أدرك ان الميل المتزايد للبلاشفة او الشيوعية أكثر ما يعزى سببه الى نقص الغذاء وارتفاع الأسعار لا الايمان بالأفكار الاشتراكية لذلك نظم اسواقاً لبيع المواد الغذائية بأسعار دعمتها الدولة الأمر الذي أجل اندلاع الثورة عاماً تقريباً. ونجح في عمل رائع أسكن فيه آلاف المهاجرين الذين قدموا روسيا من المناطق الثائرة بالحرب. من جهة أخرى، خصص فرها من مكاتب البريد لاستلام الرسائل التي تحمل ملاحظات ضد الحكومة وأمر الصحف وأرشاها لكتابة مقالات عن شجاعة التزار في الجبهة وعن فداثة التزارينا كممرضة.

هكر راسبوتين صفو بيلينسكي بميله للتفاخر وهو غمور: فقد رود أعداءه بالذخيرة فضاعف بيلينسكي حراسه من الشرطة وأبقى عيناً مهلدة على الصحف التحررية. وقد اضطر مرة الى تقديم مبلغ كبير من المال مقابل شراء رسالة نفتقر لفن الرسالة سرقت من شقة راسبوتين ووضعت بين يدي صحيفة يارية.

سد المناصب الرسمية آنذاك رجال لم يكونوا بأهلها وقد بلغوها لا بحدارتهم وانما بصداقتهم لهفوستوف أو بشرائهم رضاه. ومن كان آنذاك صديقاً لهفوستوف كان صديقاً لراسبوتين الذي لم ينتر على لحائه أن يزور «رحلاً ناعماً له» في كل منصب مهم في الحكومة.

ان من الصعب امتياع الذي حدث لراسبوتين اواخر عام ١٩١٥. فهو لم يكثر مال أو سلطة لأجل المال أو السلطة. ومع هذا، سينجل عسيراً الآن الا نتأكد أن شخصية راسبوتين، وهو في أوج نشاطه، قد عانت من تراجع ملحوظ آخر. فهل لين الحز ومقاومة الحمر حقه؟ أم أنها حالة الحرب قد جعلته عاجزاً أن يكظم عيظه؟ لقد أخطأ أعداءه في ظنهم به شيطاناً في جسد إنسان وكل الأمر أنه من نمط غير نمطهم. والآن قد وجد حتى أصدقائه صعوبة أن يتجاهلوا أن راسبوتين قد تحطى حدوده. وتحول رجال السياسة الروس الى شيء أشبه بقصر مدينة شيكاغو في عشرينات هذا القرن حيث الزحف الفاسد صوب السلطة وسينحمل راسبوتين كامل اللوم لمساندة هفوستوف. وطبقاً لقول سيانوفيتش، استقبل راسبوتين كل يوم الكثيرين ثريات النساء اللاتي وهبن باعفاء إبنائه من الخدمة العسكرية، أو اصحاب بنوك لاحت لهم فرصة خداع الحكومة بخصوص الذخائر الحربية. من جانب آخر، حين اندرونيكوف نفسه عميلاً سياسياً وضابطاً للعلاقات العامة لراسبوتين، بيد ان السمة الغريبة في هذا الاتفاق هو ان العميل يتقاضى نسبة ٩٠٪ مما يجنيه راسبوتين. اما بيلينكي فقد كان مشغولاً في مسعاه الإيذاء باندرونيكوف بغادته معلومات تتعلق بانحرافات الجنسية مع آنا فيروبوبوف. غير أن لعبة كهذه تتوخى الحذر في لعبها، فاندرونيكوف قد خبر من الأسرار ما لن يجعله لقمة سائغة. وروبدأ وروبداء خرجت مراقبي قدم اندرونيكوف بعيداً عن اسرار البلاط ونولى حماية راسبوتين «حام» آخر هو شرطي فاجر يدهم المليد (كوميساروف) الذي انطلت مهمته على مراقبة راسبوتين أتى ذهب وأن يقي حيناً بأصرة على كل من سركته نفسه اغتصباله. في تلكم الأثناء، رشح هفوستوف وبيلينكي فكرة أن راسبوتين القول الذي ينف وراء السياسة الروس، وصور رسم كاريكاتوري راسبوتين - الفاحش

المخيف - ومنه القيصر وزوجته راعياً على ركبته وهما دميتم بهيمة أشخاص^(١). وربما ذهبل بعض (الليبراليين) (الذين كرهوا راسبوتين) لمبدأ أن هفوستوف وبيلينسكي قد ظنا براسبوتين ناقص العقل وأنها اختاراه له (كوميساروف) كممرضة تقيه في صحو من التعب.

قرر هفوستوف أن الوقت قد حان للذهب راسبوتين في «رحلة طويلة» قبل أن تتفاقم لاشعبيته، فزوده بعربة وبعض اقفاص الماديرا وحفة من المال لمصاريفه الشخصية. بيد ان راسبوتين شعر بالدعة والراحة في بيتروجراد فرفض بكياسة أن يتنزهح عنها ومقيداً نفسه بتهديدات الاجراءات القانونية لحمايته الزورق النهري. بينما بدأ هفوستوف يثمر في نفسه الضغينة ضد من أوصله هذه السلطان.

طفت علاقة غريبة بين راسبوتين و (كوميساروف) الذي تلمس شأن الآخرين غيره أن «السلطان المخلص» شيئاً عزيزاً في براءته. لقد كان راسبوتين طفلاً في تركيبته وهو طفل مخرج صعب المراس. وفي إحدى المرات أمسك به كوميساروف وابلغه لقتال اياه اذا ما ظل يحط من قدره. وهو اذا ما استهل خطبه لمن يطرق بابه من المتوسلين بابداء المشاعر الدينية قاطعه كوميساروف بحدة قائلاً: «ها يا كريكوري، دع الدين جانباً».

كان الجزء الأصعب في مهمة كوميساروف هو أن يجب راسبوتين الامتثال في الشرب وأن يمنعه من اغتصاب المتوسلات اللاتي رزين راغبات (أهلوس)

(١) يمكن أن يعني هذا التعبير أن راسبوتين (محرك دمي).

أن يمنحني أجسادهم. غير أن مواهب اللاهي أتته لشهرته في الشفاء ولأنه رجل مبروك ولفظ راسبوتين في فكرته «اختيار أرواحهم» وهؤلاء النسوة قد ألحقن أشد الأذى بسمعة راسبوتين بنشرهن فضائحهم فيما بلل كومباروف ما وسع ليحلول دون وصول هذه الأمور لهذه المرحلة الخطيرة. وفي مرة أخرى حاول راسبوتين دخول غرفة إحدى النساء عنوة فظهرت المرأة بمعونة كومباروف حينها قال راسبوتين سائفاً: «لقد خدعتي».

لكن هراية الأمر هنا أن أغلب محبيه ظلوا برغم ما سمعوا مؤمنين أن الذي سمعوه ليس إلا هراء وافتراء وكان ما فعله الأعداء نفخاً في رمداء وصباحاً في واد. ودليلنا لذلك السيلفة (كولوفن وإيتها)، (الثنان جثن بيوسبوف لراسبوتين)، ما برحن يعتقلنه رجلاً مقدساً. وربما أصابنا في ذلك الاعتقاد. وحادثة منتصف شهر كانون الأول ستبرهن أن قواه العجيبة لم تتغير طرفة عين: ففي الخامس عشر من ذلك الشهر بدأ القيصر زيارة للجبهة الجنوبية يصحبه (اليكسي) البالغ من العمر آنذاك اثني عشر عاماً. كان الصبي واقفاً واثقاً واثقاً لاصفاً بالنافذة عندما توقفت العجلة حل حين غرة وانضرب اثق بالنافذة التي سببت له رهاناً شديداً وكالمادة ظل نازلاً ففجلاً هاتدين من نورهم للترارمكو سيلو وأرسلوا برقية عاجلة لراسبوتين الذي لم يشعر حينها بميل للترار وفورهم الذهاب قبل أربع وعشرين ساعة، تأزمت فيها حالة الطفل كثيراً وسكنت جسده الفض الحصى. وحالما ظهر راسبوتين توقف النزف وقد حلل لفوستوف سبب تأخره برهته أن يرمع القيصر في طمته ليرم كامل. وهذا دليل أنه يدرك أنه يستطيع معالجة الصبي حال روايته والا فمن محاولة كهله دون الوثوق بتأثيرها لجلد بأعصى. وهنا حاولت التزارينا تأكيداً أن راسبوتين (تابع الله)

طالما أن قوته الشافية هبة الله إليه. وربما ذلك اليوم نبأ راسبوتين أن الصبي سيبعد أحسن حاله بعد عيد ميلاده الثالث عشر وقد ثبتت صحة نبوءته.

وفي الثالث والعشرين من كانون الثاني عام ١٩١٦ - يوم اسم راسبوتين استلات غرفته بالشمع والتفيس من الهدايا... أثاث، سجاد، لحف فضية للريشة أرسلت جميعها لبوكروفسكو على الفور. وحضرت الغداء أنا فيريوف حاملاً معها تحبيبات وتمنيات العائلة الملكية. وبحضورها أحسن راسبوتين التصرف، وربما استدكر اعانته لما قبل أسابيع قليلة باحتوائه الكثير من الخمر وهرجه ومرجه على طاولتها. وحالما غادرت منزله ظهر الموسيقون الغمر وشرع الجميع بالرقص والشرب. وذكر ييليتسكي أن راسبوتين وضع نساء أفرطوا ثراءً ووقعوا أرضاً. لكن القول يحمل مبالغة بين ثنائيه المهمة أسلوب مرد الحكايات عن الخليسة. وعلى أية حال أمضت اثنتان من النسوة الليلة مع راسبوتين وذلك هي المرة التي وقف فيها الزوجان المحتاجان على باب راسبوتين الأمامي بينما هربت زوجتاها من الباب الخلفي.

من جهة أخرى، استمرت المكائد تحاك وازدادت تعقيداً وبات المحوز (كورميكن) الملقب القادم لفوستوف الذي ظل ينفذ أحلامه أن يصبح رئيساً للوزراء. وقد أعانته وروذيانكو غير واع بهجومه على اللاكفاءة التي ميزت المحوز كورميكن. بيد أن تعيين فوستوف رئيساً للوزراء لم يكن لبروق راسبوتين بشتاءً فهو شديد المكر لم ينال منه إعجاباً وعليه أشار راسبوتين على التزارينا أن فوستوف وإن اتسم بالذكاء واستحق من الآخرين ثقتهم يبقى أحد أعضاء الدوما السابقين وإذا فهو لا يستحق الثقة. ولكن من ذا الذي يميل لهذا المصعب الأهم من الماص؟ وقعت العيون على (برفيلاتوف) - وزير الحرب

الحادث. لكن دومة الحرب تحتاج مرصدا. ثم يقع اللوم على القصر فلو تحل
بعض الشجاعة لما تولى في اختيار روبرينكو لهذا المصعب ولجميع عندئذ
من حيد البلاد باختلاف أرباحها وفصلاتها خلف العرض ما حلا الرجعين
منهم. لكن التزايما ما كانت لترضى هذا الاختيار لسبب بسيط هو أن
روبرينكو كان أشد من حياء ناسونين. وعليه معنى القصر متأرجحاً
في مبادئة استخاره البطي. باستخاره أقل وجالات روسيا من يلين بهم مع
رئيس الوزراء. انه ستورمر... القاصر في ادائه... المتألق في سلوكه... الخائن
في خطاه... الشريف لراسونين. لقد قام ستورمر حول راسونين مد نزع محمه
في روسيا متوقفاً أن بعض فئات السلطة تستفط من المائدة الكبيرة. وحدث ما
تأخر. ففي الثاني من شاط من عام ١٩١٦ تم فصل كورميكن دون سابق انذار
ومين بدلاً عنه ستورمر وسط ذهول وريبة الدوما ومجلس الوزراء. وبينما
استشاط هموتوف غضبا ولمس حظه العائر تقاضى راسونين أن القرار من صنع
المعبر وحده. وأما الشعب فقد وجد في القرار خيانة جديدة فانقلبهم قد حال
ستورمر للماتيا- كما يوحي عليه اسمه-.

مؤكد أن راسونين أدرك أن عزمات العاصمة أخذت تتراكم فانخرط
من شيء إلى الأسوأ. وما هي بعماريا دخلت الصراع إلى حباب الدبيا
والجوت الروس من صربيا. وتلك بولندا قد ضاعت بين الإيديم وطعى على
العمدة شعور الغزيرة. وفي بينروجراد سأم المجتمع الواقعي الحرب واضطرب لفسه
عامة الاخرى فاستمرت حفلات الشمنانيا وألف الشعراء الأبيهرامات الماحرة
من الحكومة ومعها راسونين.

(١) الايغرام: لصبة فعية تحتة بفكرة ماحرة.

أصبح الشهيد الروسي الحديد الأمير (يوسوف) الذي فر من المدام مع...
الخرب. واقتصر حائلنا- أن راسونين لا سواء المسؤول عن قرار المدمر أن
يولي نفسه القائد العام للقوات المسلحة حتى يتاح له معه البراءة الام...
بتلاب السلطة في الدولة. واعتقد كذلك أن الإدحارات الروسية الم...
في بعضها لنجس راسونين لصالح الألمان وبدأ يداعب فكرة ام...
راسونين.

بيد أن يوسوف لم يكن بالوحيد الذي جنال في رأسه هذا الأمر...
الحائب الآخر يقف هموتوف الذي أثبت في نفسه ذات القرار لأسباب...
عنها تيمس- لم تحتل في المصادقية مكان اسباب يوسوف. أمد الطح...
سيه صبه حتى حثي أقرب من حياه أن بقروا بعموم له وأعب أماءهم...
أحسنوا نسحه، وتظاهروا بعدم معرفتهم بياه. وخير مثل لنا في (يتريم)...
بينروجراد، الذي بلغ المصعب بفرد راسونين فهو قد أطلق على...
(الرجل البغيف) فقد راق هموتوف هذا الرباه وعندما أحده أحد أماءه...
يتريم الشقى راسونين في اجتماع. أهاز عليها في حالة وسط ذهته...
وخرج يتريم.

أدرك هموتوف حاجته أن يخفي راسونين عن الشرح سامي...
ذلك وأخذت محاولة الإغتيال شكل المهرة. فقد حاول هموتوف...
السم وطب من (كوميباروف) شرابه الذي ادعى أنه يعرف الشخص المشهور...
في... السم منه مرت بصفة اسبحة وصل... ١٩١٤

كوميساروف بيتر جراد وذهب لمقابلة هفوستوف حاملاً معه كمية كبيرة من الماسحيق البيضاء مصنفة على أنها جاجم وصلباناً من العظام. أمضى الاثنان قرابة نصف ساعة تحدث فيها كوميساروف عن مفعول هذا السم وأنها أنه أجراه على قطة ثائثة وماتت في حالها. ان ما لم يذكره أن هذه «السموم» كانت عبارة عن ادوية منزلية لا ضير فيها ثم اصبغت اليها بعض الماسحيق المثار اليها في كتاب رخيص عن السموم. وما هو مؤكد ان احدي القاتلي اخبرت مساً حقيقياً سكب كوميساروف بعضاً منه في حليب قطة راسبوتين أثناء احدي زياراته له فنلت القطة ثم ماتت. ولسبب ما، ادعى راسبوتين أن اندرونيكوف سقم قطته واضحاً بذلك نهاية لعلاقتها التائفة.

وجد بيلينسكي الأمر مهزلة برمنه. يضاف لذلك أنه ضاق ذرعاً بهفوستوف وأدرك في خطة الاختيال لمصحة للتخلص منه. فشرع يعد العدة لمؤامرة مضادة. فيما جالت في رأس هفوستوف فكرة تالية يستعين فيها بالراهب ايليدور- الموجود حينها في الترويج- في قتل راسبوتين. وفيها سيدفع هفوستوف المال وحل ايليدور الرجال. تبادل الاثنان الرسائل ثم بعث هفوستوف بأحد رجاله لالتقاء ايليدور واعطاه المال الذي أراد. لكن الرسول واسمه (رزهنسكي) كان أحمقاً متبجحاً لا يحفظ مرأً وقد افترض خطأً أنه يحظى بدعم (رسمي) من الشرطة ما دامه مبعوث هفوستوف. لذا تحدث لسلطات الحدود الفنلندية في تفاسيل غامضة عن مهمته. أرسلت السلطات الفنلندية برقية الى بيلينسكي وابلغته شكوكها فامرهم باعتقاله وأعادته لروسيا. وحل اية حال، ارادت الشرطة الروسية اعتقاله لاسباب أخرى. وقد أخبر بيلينسكي هفوستوف أن حميله كان أحمقاً وسيقتلهم أمرهم اذا ما استكروه حالاً.

لم يعد هفوستوف يتق بيلينسكي مد أن اقترح عليه التخلي عن محاولة اغتيال راسبوتين وكتابة تقرير بدلا عنها يتعلق بجسج راسبوتين المختلفة مذهبة بشهادة كوميساروف التي تتضمن مردأً مفصلاً لكل عرييدات راسبوتين ومولفة ببعض الصور (حسب قول يوسف) لراسبوتين يمارساً العملية الجنسية. لقد ظن هفوستوف في التقرير مبيلاً لسحق حظوة راسبوتين لدى التزار مسياً وأنه اختلف عن سابقاته التي استندت على المراه والتهافت. بيد أن أكثر اهتمام هفوستوف قد انصب اليوم على التخلص من بيلينسكي أكثر من راسبوتين. لدرجة أنه نسي أمر التقرير في لقاء له مع القيصير وكل ما أراد خلاله طرد بيلينسكي: وفيما بعد أخبر هفوستوف بيلينسكي أن القيصير قد وافق على التقرير لكن بيلينسكي تطلع الى حقية هفوستوف ووجد ان التقرير ما يزال فيها.

أنقض خداع أحد الطرفين للآخر الى أن ذهب كلامها (لأنا فيروفوف) وعرضاً أمامها القضية. وقد هالها ما سمعت فحثت خطاها صوب التزار بها لتخبرها بمحاولات قديم «صديقها» الحبيب. فتم استحواب هفوستوف وبيلينسكي ولم يألأ كلامها جهداً لتبرئة ساحته بالظعن في الآخر فتداعيا ممأً ورديا حظي بيلينسكي ببعض النصر حيث نصبه القيصير محافظاً لسيبريا لكن صحيفة بيتر جرادية نشرت مقابلة مع بيلينسكي فضح فيها محاولات الإيهال وأخرجها الى الملأ وقد كان مالك الصحيفة ساذجاً لدرجة قوله أن مقابلة مع معاون رئيس الشرطة (ان نسويها شابة). لكن التزار احتدم غصاً لهذا التحدي العام لقراءه منع نشر مقالات عن راسبوتين. فالتى تعيين بيلينسكي وطرد هفوستوف من منصبه والذي انبط به رئيس الوزراء ستورمر، حامي راسبوتين.

ان من الصعب عليا ونحن نتمعن في خيوط نسيج هذه المكائد أن

نتحامل حقيقة كيف أغشى راسبوتين بصره عن رؤية ما كتب على لوح القدر. ومع هذا، لم تكن الأحداث - كما رأها - جديفة كما نراها. فلما يزل بمحصد الأتباع أو أنه أبقي على أنبائه الذين آمنوا به حد العظم. واشدهم في هذا الأمر الترابينا التي بلغ بها إيمانها به أن تصورته (المسيح) متجسداً وكتب لزوجها قائمة أنه عيادها ساعة الكارثة.

لقد تفاعفت قوة ونفوذ راسبوتين. وسواء أكان مصيباً أم مخطئاً فقد اعتمد على أحلامه في إصدار الأوامر للمقيصر بخصوص العمليات العسكرية. وفي مرة ما مع مجيئاً على الجبهة الشمالية متتبناً بالكارثة. ونصح التزارز بتمشيط شعره بمشط راسبوتين قبل أن يتخذ أي قرار حاسم. وهو قد أصدر أوامره إلى ستورمر وعامله بازدياد مفضوح وهذه ذات مرة قائلاً: «كان ثلاثة الأتالي... ستورمر... يا ستورمر... ان لم تفعل ما نشاء منك (ماما)». وظل راسبوتين مشحماً الترابينا في محاولتها العبثية الإبقاء على روسيا ملكية مطلقة والتي تمنى في الفعل أن أباً من لا تكل له مساعد أو تكمل بالترجمة يرمي به بمبدأ عن دائرة الضوء. فكان بوليفانوف - الذي أحسن اشتغاله لمصب وزير الحرب - هداهما التالي. وما زالت الترابينا بزوجهما حتى أطاعها برغبتها وعزل بوليفانوف من منصبه وكتب له قائمة: «علينا بالقوة لأجل مستقبل العبي»، طاعة أن هذا التدخل سيحفظ للابن عرش روسيا. ان الجريمة التي اقترن بها بوليفانوف هي أنه سخر لأغراض عسكرية ثلاث ميارات رسمية قدمها ستورمر هدية لراسبوتين ونحن اذا تأملنا الأحداث في مجراها لنسب أن جميع محاولات الإغتيال قد أخطأت الوجهة. فلربما انقلد يومئذ العرش لو أطلق الرصاص على الترابينا بدلاً من راسبوتين.

في حزيران، بدأ الورد (كيشنر) رحلة سرية الى روسيا كان الغرض منها دراسة الحاجة الروسية الى السلاح. وقد تعرضت السفينة (اج.ام.ام.ام. هامبشاير) الى طورييد مجهول المصدر أغرقها قبالة جزر (اوركاني) ولا يزال مر هذا الإغراق مجهولاً حتى الآن. بيد أن مصدراً آخر كان سيقدم العون لروسيا قد توقف. فالترابينا - كمعادتها - لم تدرك منو الكارثة وشاطرت راسبوتين ربه أن كيشنر «ربما الحق أذى بروسيا». ويبدو أن راسبوتين قد بلغ هذه النتيجة من أحلامه التنبؤية، اولا يبدو الأمر عسير التصديق أن بريطانيا متصيب روسيا بأذى لو زودتها بالسلاح!!!.

كانت قضية وزير الحرب المشين (سونومالينوف) الشغل الشاغل لراسبوتين والذي وجد نفسه أعجز من أن تقاوم نوسلات زوجته الثامنة. وقد كان وزير العدل، هفوستوف الأكبر، (الذي لا يجب خلطه مع ابن أخيه الحميم) في صدارة من أرادوا اعدام سونومالينوف. غير أن راسبوتين أجاد المهمة، ودل هفوستوف من منصبه الى منصب وزير الداخلية.

كان رودزيانكو الرجل الوحيد الذي رقب عن كتب وفقه ابن متعفي يوم هذه الدمانس والمكاند. وفي دهوة وجهت له لحضور حفل عشاء لمعاص الرواها، انتهز الفرصة وأمطروهم بكلمات كانت أشد في حديثها من حارس غاطلاً إياهم أنهم قد أهدروا الوقت منغمسين في مصاحبات تافهة فسوا حاجات الشعب وأغضفوا بصرهم عن البلاد وهي تنهارى ركباً بعد آخر. لقد حزن الجميع من الحديث خوفاً وكان له في نفوسهم رقماً بيد أن أحداً لم يحرك ساكناً.

إنك راسبوتين خطأ صغيراً في الجزء الأخير من مسرحية التأمور. وهو

قد أراد من تعيين العم هفوستوف وزيرا للداخلية ان يكون به بعيدا عن قضية سوجومالينوف. لكن العم كان رجلا نزيها لذا بادر باستغلال نفوذه الحالي ضد راسبوتين. فاناط مهجة حماية راسبوتين بالمستز (مانيلوف) الذي كان صديق راسبوتين لسنين عديدة (وما فكرة تعيين منورمر رئيسا للوزراء الا من بنات افكار مانيلوف، الذي استغل موقعه الخطير في جمع المال بأنى وسيلة والتي استقرت في جنتها الى الصبغة الشرعية). لذا قرر العم هفوستوف الابقاع به في شراكه وحاك مؤامرة فيها ارقاماً بمبالغ متعطل له كرشوة. اكل مانيلوف الطعام واخذ الرشوة فالتقي القبض عليه في الحال. لكن هذا الخلع الفاسق لم يتر له جرم وشار بلطف ان محاكمته لن تتعدى فضح كل اسرار راسبوتين. وصلت الأسماء التزارينا فوزا وتسارعت البرقيات وانتهى الأمر بخلع العم هفوستوف ثانية من منصبه. واعيد مانيلوف بجلده تام لراسبوتين واستمر في نلالته وغشاوراته. (كان عليه أن يمضي بعض الوقت في السجن بطلب من حليفة العم هفوستوف في منصبه.

عاد منصب وزير الداخلية شاغراً مرة أخرى. وأطال راسبوتين التفكير امر سبختار اليه، حتى استقر آخر المطاف على امعة أخرى هو (بروتوبوف)- الرجل الغريب الطباع القصير القامة- الذي لا يملك من المؤهلات أقلها وكل ما فيه أنه سيكون أداة طيعة لتنفيذ اوامر راسبوتين. وكتب التزارينا لزوجها رسالة تقترح فيها تعيين بروتوبوف للمنصب وقالت له «لقد احب صديقنا لأربع سنوات على الأقل». وعين الامعة وزيرا للداخلية في الحاشر من ايلول عام ١٩١٦ بعد طول تردد من القيصر وظل في منصبه حتى قيام الثورة. ان في هذا الاحتمار شيئا من السخرية للتزارينا ولروسيا. فمن اللامعقول أن يقطس

المرء أحسن من الفاع أو أن يختار عن حوله الاشد فيهم مخافة. فبعد بروتوبوف، لن يبقى في الأمر غير التدلي . . . اي شيء ما هذا الثورة.

الفصل الحادي عشر

النهاية

عمت مشاعر السخط روميا وفي الجبهة ثغرت الحدود جهاراً عن الثورة.
دارعهم من تحسن حالة الاعتماد الخيرية بفضل الجهد الكبير الذي بذلته (الجبهة
الدفاع) التي ساهمت (لدموا) بأشغالها مساهمة فعالة. بيد أن الشعور انعدام
بلاكماء الرجال المسكين برسام المنطقة كان يحترق في حصد أحيش ويورد
رودز يانكو في رسالة له مثالا نموذجياً يصف الوضع العام:

اشترع أبنا في سرد تخاريه. لقد تمحفت البلاكماء والاعلام النماول بين
معروف القيدة العليا من حرية لتطبيقنا المتنهضة. وأكد لرجال مناظاً
ومرسل أن المعبر هذا مستحيلاً برعم بطونة هذه الأرض. لقد عحص
نهراندوق (بول) أمراً محاصرة نقطة محددة له ملوثة من إيجاج وأرسل
قصفاته للقيام هجوم متقدم عن مرتفعات (راي ميسوا). فوجد الحدود حاهم في
منافع أهلك ملهم وبها هم يتحيطون في أوجده فقصمتهم الطائرات
الدينية. وعطش أبي حتى لطفه وكانت معبرة أهم لقتوه. لم يكن ثمة
سبل لأجراح الخرج من المنفع ففرقوا به. لقد كانت بيران مدفعت حذ
ب مسعة فشلت في تحفيز الأسبحة الشدكة. وبهاوت انفذاف على حروء
مهم. وسحب الخمرال (رووش) كتنه مدلاً من اطاعة الأوامر ورجع الحياة

في مهمتهم برغم واقع الحال هذا وبلغوا المرتفعات وشرح الخوف عليهم (ثم صدرت اليهم الأوامر بالتخلي عنها فيما بعد). وليس غريباً أن يحتسب ابن رودريانكو قوله: «لقد نخر الفساد اجساد القيادة العليا وعقولها...» أننا لن ندحر حالاً حتى نموت من أجل روسيا لا من أجل نزعات الجنرالات وأهواءهم. ولو تحلت الحكومة الروسية بنصف فعالية جيشها لانتصرت روسيا في الحرب ولما قامت الثورة أصلاً. إذ حقق الجنرال (بروميلوف) أسر التحاحات بين شهري حزيران وأيلول وبدا أن القيصر لنج من المية برغم فواجع سياساته الداخلية.

لكن السبل قد بلغ الزبر في بيتروجراد ولم يعد أحد يستطيع أن يوقف الانهيار. فقد عجت محطات القطار بفنيان المقاتلين الذين ينقصهم السلاح، وهم اذا ما وصلوا الجبهة لحملوا معهم دون ريب روح الهزيمة وأبناء الفوضى التي نعم الدهار. فقد اختفى اللحم من بيتروجراد وموسكو ومع هذا تم نقل الرلاجات المحملة بجثث المائبة المتعفنة حل أعين الناس الى مصانع حساء اللحم وتصل فاسدة لمحطات القطار. ودارت شائعات عن قطارات ملء باللحوم محمولة في سيارتها متفد حالاً يتم تفريغها. بيد أن أحداً لا يعرف ما ينبغي عليه فعله حيال مشكلة النقل.

إن الوزير الجديد لمصوب الداخلية ربما كان أغرب من اختاره راسبوتين حتى الآن. وأعلن رودريانكو أن الترقية المفاجئة ستصيب بروتوبويوف بمس من الجنون لو سمعها وربما أصاب في ذلك. لقد كان بروتوبويوف صديقاً مقرباً لراسبوتين بل هو أقرب اليه من منوبير أو هفوستوف في أيامها الخوالي. وهو قد خلق نصيحة حين التقى في صيف عام ١٩١٦ في ستوكهولم مولاً المانياً شديد

الصلة بالحكومة الألمانية. ولما نشرت وسائل الاعلام نبأ هذا اللقاء أهمل بروتوبويوف أنه ما أخبر الممول شيئاً سوى أن روسيا ستقاتل حتى الموت. لكن الأرجح من الاحتمالات أنه كان مبعوثاً من راسبوتين للتفاوض في امكانية توقيع اتفاقية سلام روسية- المانية بعد جهود بلدنا راسبوتين لصح التزار بضرورة إيقاف لجيب الحرب وإن كان ثمة النكاية باتجلترا وفرنسا. أما وقد بات وزيراً للداخلية، انقلب حال بروتوبويوف رأساً على عقب، وبدا كأن نشوة صولة سكته وصرح تكراراً أنه اختبر لينتق روسيا. من جهة أخرى كان هذا ساذجاً صداحة الاطفال. فعندما أخبره أحدهم أن عليه الاستقالة. قال: «أنا لي أن أستقيل؟ وقد حلمت طوال حياتي أن أكون نائب محافظ وما اتنا وزيراً مرة واحدة!». بيد أن أفكاره لاتقار روسيا إنما هي محض خيال فهو أعجز من أن يعالج الأزمات الداخلية الخطيرة. ولعل أفضل بنات افكاره كانت تعيين رودريانكو رئيساً للوزراء والذي كان يتنى له ذلك لو قبل التعاون مع راسبوتين والشزازينا. لقد أخبره رودريانكو أن شرطه الوحيد في تولي منصب رئاسة الوزراء هو وجوب حجز التزاوينا في قصر ليفاديا لما تبقى من الحرب لم يصدق بروتوبويوف ما سمع وذهب مسرعاً صوب راسبوتين خشية أن تحمل الواقعة على رودريانكو بعد ادعائه الأفضلية على راسبوتين والتزاوينا.

لم تتل التزاوينا كل ما ترونو اليه. ففي شباط من عام ١٩١٦، رار القيصر الدوما دون سابق اذار والقى فيها خطبة رجب فيها بالتعاون بين الحكومة والدوما وقد لقت خطبته ارتياحاً واثراً طيباً لدى اعضائها. (من الاحبة القول أن كلا من راسبوتين ورودريانكو قد نصحاها القيام بهذه الخطوة. فكلهما قاسم الثاني أغلب طموحاته ومن دواعي الأسى أن رودريانكو لم يدرك ذلك) فيها

أصبحت التزانيا أن في الولاية استسلاماً للأعداء فهاضت ما ملكت من نفوذ
وأنجزت كل روحها كي تحلل الدوما ويحمر رودزيانكو قدر ما استطاع. ونجحت
في معامها الصنف روحها أمامها وتم اختار ولاء رودزيانكو للعرش على نحو
هايم.

الث وزير العدل الجديد (ماكياروف) أنه أصعب من سهولة نظريته.
ثالثه شأن المهم هموسوف. إذ رفض علق ملف قضية (سوخوميلينوف) فجاءه
رودزيانكو عليه وأبعد عن منصبه بديل جاء به راسبوتين والذي لم يهدر وقتاً في
ملف قضية حليف راسبوتين سوخوميلينوف ومايلوف لكن راسبوتين كان قد
مات في حينها.

ثم في الثاني والعشرين من تشرين الثاني ووسط دهشة الجميع وعظمة
الحدث إلهام متورم من مصه ويبدو أن صب هذا القرار هو راية غير
معتقة قام بها وزيرتي الحرب والشؤون البحرية للدوما أعلن فيها رغبتها في
الذهاب مع الدوما وهي إشارة ارتداد من جانب مجلس الوزراء وهنا استطاعت
الملكة لعجز متورم السيطرة على وزارته وأمرت التراجع. وقد
كانت الملكة بدلاً عنه (تريشوف) الذي هو أحد أعداء راسبوتين. أنذاك ظهر
في مسرح. لأحدث أحد المبع وأحب أعضاء الدوما يدعى (فد) أو
(فدريش). وهو غير متحمس للملكة وأحد الذين مفتوا راسبوتين. لقد
مروا به وقبحاً متى ما أعلن المير في النوما متحدتاً انضمت على شفاه الأسماء
الملكة والف كثيراً من الأسماء حجا فيها راسبوتين والتي رددتها عديم
الصدق. وهو الذي صاغ عبارة «أولسات الوزاوية» وأصفاً مرة تغير الوزراء
بين الهيئة والأخرى.

وفي مطلع شهر كانون الأول التقى بورشكيش حطة أمام الدوما. وكان
هي الأحرار والأكثر صراحة ما سمع لها الأعضاء شيئاً من قبل. وهذا هو
غضبها على راسبوتين وهاجم فيها برودنيكوف والبروسكوف. كان الحطام
ومعها صدق إيمان ملفتها صديق الأثر في نفوس مستمعيه. الدعة أنها
بأحد أعضاء الدوما اخصور أن يتخذ قراراً مفاجئاً هو أن الحطام هو الأول.
يرسوف الذي طلق بأودته فكرة اغتيال راسبوتين والذي أدرك الدوم أن الملكة
قد حانت للكل.

والأمر قد بلغا أعرب ما انطوت عليه القضية لقد أدرك الدوما
سنوات عديدة حلت أن أحداً سيمتلكه أغلب الأمر وما اهتز له. ومن
لكه أصبح. بعد حطة بورشكيش، كنية صامتاً وأحسن أن الدهشة
حبة وساع الموت قد أزلت.

وفي يوم من ثمنى محادثة هر (البيدا) عهد عودته قال لي أنه ولد في
الدوقين وهي بيوة لما سيحدث بعد عام ثم كتب لعائلته قال «هذا هو
الموت قد اقترب أمضها حقيقة هي الأعرب بيوة نفوق حدود العمل
عنواها روح كريكورتي ايموسوفش راسبوتين» صبح من قوته ١٩٠٥. ١٩٠٥
وفيها يلي نصها:-

أكتب رسالتني هذه وأتركها برهناتي في مدينة القسطنطينية. ومن
تشمع في معازق هذه الحياة قبل اليوم الأول من شهر كانون الثاني. والذين
يترك كل الشعب الروماني والسلافي والام الرومسية. جميع الأنظمة التي
والتي الروماني اعظم ما يجب أن يتركوه. والذين يتركون فتنهم.

فلا خوف عليك ايها التزار وسيفي حركت حاكماً وبأيا القيص لا تخشى على
اطمأنك شيئاً فإن لهم حكم روسيا لمئات روسيا. ولكن إذا ما اغتالي البوياريون
والبلاد وإذا ما اهدروا دمي لسوف نظل ابدىهم ملطخة بدمي ولن تفصلها لهم
السنوات الخمس وعشرين القادمة وسوف يجبرون روسيا، تاركين الأخ يقتل
احبه ولن يكون للنبلاء مكاناً في البلاد لخمس وعشرين سنة. يا قيص الأروس
الروسية : إذا ما سمعت نداء بيتك مقتل فعلبك أن تعرف التالي : ان كان قاتلي
من أهليك فلن يبق منك ولك أحد حباً لأكثر من ستين بعد موتي وقتلهم
شمعك الروسي. انني أرحل وفي داخلي أمر الهي أن أخبر التزار الروسي بالذي
عليه فعله بعد رحلي. ترضى الحكمة ما انت فاعل وترقب صداها في نفوس
رعاياك. عليك بسلامتك، وأخبر من لك من الأغنياء اني أشاطرهم بقاءهم
بدمي. انني مفادير الدنيا ولم أعد من أحيائها فصل لأجل، صل وكن قويا
واحتن بعائلتك المباركة. كرهكوري.

اغخذ سميانوفيش الرسالة، على حد قوله، للتزاورنا طالبا منها ألا تعرضها
على نيقولا. وقد اعيدت اليه، حسب ادهته، بعد وفاتها مع ملاحظات أخرى
خاصة به.

وبضيف بيرس، الذي قرأ نسخة طبق الأصل من الرسالة، أن
سميانوفيش ملك بحوزته ايضا كتاب صلاة التزارينا مع رصمها المفضل وهو
السواستنيكا، وهو اختيار يستحق التهكم والاستهزاء في ضوء دلالته الأخيرة
للسنازية الألمانية والذي كان بحوزتها حين مقتلها. وبذلك يكون الدليل على

صفحة الرسالة وامتخاً قبله حتى الشكوكي بيرس.

وكما هو شأن كثير من أحداث حكم نيقولا، يزرع مقتل راسوتين شعوراً
أنه عفور في لوح القدر منذ دهر طويل. فهو لم يكن بأشئ شكل حس الخطأ
وكانت مستغفل المحاولة لو صادفها أصغر عارض. تقرب يوسف من
بوريشكفيس وعرض الخطة عليه فوافقه اياها في لحظة وقرر الاستفادة من عون
اثنين من اصدقائه وهما الفراندوق (ديميتري بافلوفيش)، الذي كان يحاطب
التزار «ياهم»، وضابط شاب يدهى (سوخوتين). وقد اضاف لها بوريشكفيس
طبيبا اسمه (لأرافيرت).

وبرغم قسم المتآمرين الا يبحرخوا بسرهم لغيرهم، أذاع التزار
بوريشكفيس الخطة على الملأ. فليبه ماكلاكوف في صالة الدوما بين حشد من
الناس وأخبره القصة كما أخبر صحيفة تدمي (يكر) مزودا اياها بكل التفاصيل
وفاكراً اسما المتآمرين. وعندما نصح يوسف اخيرا في دهوة راسوتين لمراه
ليلة التاسع والعشرين من كانون الأول، توجه سميانوفيش وبروتوبيوف وأما
فيرويوف الا يذهب فيتمعرض لخطر ما وانتزع منه بروتوبيوف وعداً بعدم
الذهاب والذي نقضه راسبوتين بعدئذ ما دام قد وعد يوسف بالظهور اليه
وخلال يومين قبيل مقتله. بلغت نبوءة راسبوتين بدنو حثفه ذروتها فاكشفه
لذلك خوف عميق. ولأنه قد تنبأ بيوم موته قبل الأول من شهر كانون الثاني
(أي بعد مقتله بأسبوعين والذي يوافق الثالث عشر من شهر كانون الثاني حسب
التقويم الجديد^(١١))، فستحل لا معقولة محازفته اللهاب وحيداً لزل يوسف في

(١١) التقويم الجديد - حسب السنن والتواريخ على حسب التقويم الغربي

(١٢) السواستنيكا هي صورة الملك

متصف الليل وقد نجد تعليلاً لذلك في تفسير بيرس القاتل أن راسبوتين شعر
بصرح من العطف والازدراء للشاب الوسيم المصوب يوسبوف والذي سماه
«الصغير» عليه لم يتخيله البتة مصدرًا للخوف والخطر. من جهة أخرى كان
بوسبوف الصديق المقرب لا تخلص تلميحات راسبوتين إلا وهي (موتيا كولوفن)
التي أرادت من تقارب بوسبوف وراسبوتين خلق نوع من الإعجاب بينهما.

وفوق هذا تطلع راسبوتين للتعرف على زوجة بوسبوف الغاتية
الغرايدوق (ايرينا اليكسندروف) وربما وجد فيها فرصة محتملة. وبذلك وجد
فيها بوسبوف الطعم المثالي لاغواء راسبوتين قدوم منزله وكان له الحجة أيضاً في
محي راسبوتين ليلاً وسراً لقصره قوالده الذي كان أحد أعضاء السلطة المدنية
المسؤولة عن موسكو قد ملق راسبوتين أشد الملق.

كانت آخر مرة رأى فيها راسبوتين القصر حين طلب منه الأخير أن
يساركه فرد عليه راسبوتين قاتلاً: «حان الوقت الآن لباركني انت». وفي امسية
يوم التاسع والعشرين من تشرين الثاني طلبت التزارينا من آنا فيروبوف أن
توصل لها رسائلها لراسبوتين في محل اقامته. وقد أخبرها راسبوتين أنه وافق على
لقاء بوسبوف فبادت آنا تخافها من هذا الموعد الغريب فطمأنها راسبوتين بقوله
أن دافعه وراء الأبقاء على الزيارة سراً هو خشيته من والديه. لكنها لم تتألك
نفسها خشية عليه وترددت قبل مغادرتها اياه سبياً وقد خاطبها بصوت لم تألفه
قبل هذه الساعة: «أنتيقن مني المزيد؟ لقد أعطيتك كل ما تبغين».

قصت آنا بمودتها للقصر الذي حدثت بينها وبين راسبوتين للتزارينا التي
قالت: «لا بد من وجود خطأ ما... فأيرينا (زوجة بوسبوف) في الكرسي»

الآن. ومع ذلك لم تحبر راسبوتين هاتفياً بمخاوفها وظلت تصارع خوفها ومرددة
هبة: «لا بد من وجود خطأ ما...».

يقول بوسبوف أنه جهز الغرفة التحية بفساتيل خمر وكعكة شيكولاته محوي
سيانيد البوتاسيوم كما وضع مسحوقاً من السياند في بعض اقداح الخمر

بحلول منتصف الليل ذهب بوسبوف برنحف خروفا وعلما الى منزل
راسبوتين الذي كان وحيداً بانتظاره وأخبره أن بروتوبوبوف قد اتصل به في ذلك
المساء وترجاءه أن يتخل عن فكرة الذهاب لتلا يفتال وهي ايهاء صريحة أن
بوسبوف ليس بموضع ثقة.

عندما وصل راسبوتين قصر بوسبوف سمع صوت الكراموفون يضي
«باتسكي دوول» فأخبره بوسبوف ان لدى زوجته زواراً ومستظم اليها فور
مغادرتهم. ومضى الاثنان لغرفة الجلوس التحية وقد ابهرت راسوتين الحرارة
المرخرفة فيها وربما ساوره الشك حينها فهو قد رفض شرب الشاي او الخمر
باديء الأمر برغم تناوله بعض البسكويث. ويقول بوسبوف أن راسبوتين قد
أكل آخر الأمر بعض الكعك المسموم. وهنا يشوب الشك هذا القول. إذ تقول
(ماريا راسبوتين) ان ابيها لم يأكل الكعك في حياته تحت أي ظرف من الظروف
بضاف لذلك أن أي اثر للسم لم يوجد في الجنة. وربما أصابت ماريا الخليفة في
قولها. أي أن بوسبوف قد زوق جريمته الشائنة جريمة قتل فيها رجل اعزل
السلاح حل يد أربعة من القتلة مكنهم الرعب منه. ويزعم بوسبوف ان

(١) وهذا لولائق لايزيح.

راسبوتين لم يتناول الكعك المسموم فحسب بل شرب كأسين من الخمر المسموم. ثم انتظر يوسيفوف ولم يحدث شيء وهذا بعد ذاته قول ينطوي على كثير من الشكوك قدو تعلق الأمر بمفعول السيانيذ السريع. فتناول بضع ميلغرامات منه سيجلب الموت على صاحبه في بضع ثوان نتيجة لشل الجهاز التنفسي. واستناداً لوصف يوسيفوف فإن راسبوتين قد ابتلع اوبعة كاملة تقريباً. لم يشعر راسبوتين بشيء وطلب من يوسيفوف ان يضي ويبرزف على كيتاره ولا بد ان الموقف قد تطلب رباطة جأش يوسيفوف حتى يحسن علاجه. وفجأة رفعه راسبوتين بنظرة تعابير بغضاً لكن الأصوات العالية الآتية من الطابق العلوي هذأت الموقف ونتم يوسيفوف وقال انه ذاهب ليرى ان كانت زوجته قد استعدت للقاء راسبوتين. فذهب الى الطابق العلوي حيث ينتظر باقي المتآمرين على احر من الجمر وأخبرهم أن السم لم يعط مفعولاً. فتشاوروا على قتله خفياً بيد أن يوسيفوف رفض الفكرة خشية أن يحدث صدام بين راسبوتين وبوريشكيفيش. وأخذ من القرائندوق مسدسه ونزل الى الأسفل لوجد راسبوتين جالساً ورأسه مغطى على صدره. وقال ليوسيفوف أنه يشعر بغير ما يرام وان بلعومه يشتعل ناراً ثم اقترح ليوسيفوف الذي اتمهش لإقتراحه. وجوب الذهاب لمشاهدة الفجر. وبعد هنية قال: «فلنذهب ونحن نحمل الله في نفوسنا والإنسان في اجسادنا».

(١) أخيراً السيد نجل مورلاند، الكاتب المشهور في عالم الجريمة، أن راسبوتين كان يعاني من التهاب حاد في المعدة جراء تناوله الكحول مما يزيد من سمك غشاء المعدة، لذلك يستغرق السيانيذ وقتاً طويلاً حتى يظهر مفعوله. وقد علم السيد مورلاند، الذي كان في روسيا ايام الثورة، هذه الحقيقة من صديق مقرب لراسبوتين كان قد ساعده الأخير في الحرب من أوردية. وكان راسبوتين يردد كثيراً أمام أصدقائه بأن نعلب غشاء معدته يومئذ لشرب كميات كبيرة من الكحول دون أن يضر عليه أي سكر. وقد استخدم السيد مورلاند هذه الفكرة في روايته شيفة اسمها «السيانيذ المشط»، والمؤلف

صارع يوسيفوف لجذب انتباهه لصليب من الكرستال وقال له: «كرهيكوري اينموفيش... من الأفضل ان تزدي صلاتك امام هذا الصليب». ورمقه ثانية بنظرة يكتنفها الخوف والشك الشديدين استدار بعدد نحو الصليب واطلق يوسيفوف رصاصتين استقرتا في ظهره وتداعى على السجادة. انطلق المتآمرون صوب الغرفة واطفاً احدعهم النور ففرقت الغرفة في بحر من الظلام. وعندما اضاءوا الغرفة مرة اخرى راوا راسبوتين ساقطاً على الأرض وجنبه مغلقين فحصبوا الجثة واعلن الطبيب لازافيرت عن موت الضحية. بيد ان اعصاب الطبيب كانت شبه منهارة وأصابته نوبة هستيريا وهو ينتظر يوسيفوف يفيق من غيبوبته ويخرج من المنزل وسقط مغشياً عليه فوق الجليد. ثم نزع اثنان من الشركاء معطف راسبوتين وارناده (سوخوتين) حتى يضل من يرب القصر أن راسبوتين غادره في الثالثة صباحاً تقريباً. وتارة أخرى صعد يوسيفوف وبوريشكيفيش للطابق العلوي وقرر يوسيفوف أن يلقي نظرة اخرى على الحفة لظنه أن لدى راسبوتين قوى شيطانية تؤهله للنهوض من الموت، (وقد اعترف يوسيفوف لماكلاكوف بعد الحادثة أنه اراد لراسبوتين ان يتطلع الى الصليب قبل هلاكه كي يقلل منه قواه الشيطانية). هنّ يوسيفوف الجثة فظلت هامدة. ثم تحركت اجفان راسبوتين واهتزت اجفان يوسيفوف رعباً فقد انتصت «الحفة» ومزقت كتيفغية من كتفه. هرع يوسيفوف مذهوراً للطابق العلوي وراسبوتين بطارده زاحفاً على اربع لوجد نفسه امام باب مغلق يزدي الى فناء الدار وبفوه هائلة نجح في فتحه والخروج منه. انطلق بوريشكيفيش وراءه واطلق عليه نيران مسدسه. وأخطأته اولى الرصاصتين وأصابته الثانية فتهاوى أرضاً ثم وكل بوريشكيفيش، ذلك الرجل الأصلع القصير ذو الألف التعحرف، رأس راسبوتين بقدمه وحرق من المنزل صائحاً: «قتلت راسبوتين» هدير روسيا

والعصاة ثم صاحبه الشاد من الحرد على سحب الخشة داخل المنزل ففرض
يوسف بعدها حل الحسد لأحمد بمفصل حديد يهود لآلاف ومرفها أرباً
والا تعكس هذه الجريمة هشاشة معنى الرأفة لدى يوسف وبورشكفيتش
... فطبع الحسد الا دلالة أهم انها قتلوه لعذائهم له لا تجيذاً لعمل بطولي
وطني كما وصفه لاحقاً.

فبذبت جثة راسبوتين ووضعت في سبابة الفراتدوق وأخذت الى ساحل
اسمه «نيفك الصغيرة» ورميت الى حفرة في الحليد وربما معها معضفه
الذي حرمنه النبي بقينا على سطح الحليد ووجدهما لاحقاً ابن ميوفيتش
الذي نصح الشرطة بالبحث عن جثة راسبوتين هناك.

لم ير راسبوتين حياً عندما دفعوا به الى الهره وربما مناور الشك
المسرين اذ اوثقوه جيداً من وضعه في سبابة وقد انقذ الماء البارد راسبوتين
وسمعه يصرخ في تحرير احده يديه بيد ان الثلج كان يعطيه فلم ينقطع الا
سنة شمارة الطبيب قبل ان يفرق وجين وحلته حتى كانت هذه اليمنى ما تزال
مل صدره وقد رقعا عن ثلاثة اصابع.

من المتألمون أهم مقتلهم راسبوتين سيفيروا عرى القدر الروسي وقد
... في منهم وما لموايد ذلك الا أصغر دور في سفر التاريخ الروسي
... الذين لم يكن يصاحب ذلك القود الذي خاله فيه عذاره وما رما السلطة
... الخفيفين الا بيد التزاريا وبعد موت راسبوتين ظل الحار يراخ في
... لم يغيره شيء سوى ان التزار والتزارينا اصحبا اعق ايهاا من دي
فيل ايها لفارقان في وحل كارتة لا ملاذ لها هنا.

شاع ما - غل راسبوتين في صبيحة اليوم التالي وقد انصبت لها ...
راسبوتين بالتزاريا لتأماً من مكان نواجد ايها وانكر يوسف وجده
راسبوتين في منزله تلك الليلة لكن التحريات أكدت وجود بقع دم على ...
السبابة وفي القبر وفي فناء الدار. فأمرت التزاريا يوسف والعراة في ...
منزليهما. ثم ارسل يوسف لاحقاً الى مقاطعة الريبة وإجل العراة ...
الجهة على الحدود الايرانية - في انقل حياته اذ انه كان خارج حدود روسيا ...
قيام الثورة. وسمح ليوريشكفيتش باللعاب للجهة.

تم العثور على جثة راسبوتين بعد يومين من اغتياله واستدعيت ماريا
راسبوتين واختها للتعرف على جثة ايها. وجاء في تقرير الطبيب الشرعي
«كان الشعر الأحمر مغطى بكتل من الدم، ولوجه متورماً والعيان طوفان
وحد نزاع المعطف بنت صلاته كحلل خش ملئصق في بعض المناطق ...
في مناطق اخرى. لكن اعرب شيء على اجثة هو ان اليد اليمنى ثابتة ...
إشارة الضيف. ... ولم تشر المحوصات الى وجود اثر للسم في جثة ...
يوم صابني لف العاصمة. وتخليداً في الثالث من شهر كانون الثاني تم دفن جثة
راسبوتين في الساحة الاميرةاطورية وحضر مراسم الدفن المئات ...
سأل التزاريفيتش الصغير الذي عرف عنه دقة لرأسبوتين عاصراً ان ...
مطلقاً.

لم يمشعل شيء ... سات القيصير أشد لامبالاة ولم يعد يكثر ...
للجهة برغم حفة حدة القتل في اجهة ايام الشتاء وكان الوقت لما يزال ...
لأشهاد الحرف الروسي لو اغتم القيصير العرصة وصرح في عهد ...
... في قصه ينظر القامد اله ...

ففسحها واشتد انشغالها بعائلتها. لقد خلق موت راسبوتين موجة احتياج واسعة
الطاق بيد أنه حقق شعور الفلاحين بالامتصاص وقال احدهم لما كلاكوف:
«أجل... لم ينبج إلا موجيكاً واحداً في بلوغ بلاط التزار... وقد قتله
الأسياء...».

لاح التفكك واضحاً لكل امريء في روسيا... حتى لم يعد أحد يقبل
مصبأ حاليأ في الدولة. اذ استقال رئيس الوزراء (تريوف) من منصبه وعين
بدلا عه المجوز المرم الأمير (كولينسين) برغم انه. وطرد وزير العدل من
منصبه ليعين بدله مرشح راسبوتين (بروفولسكي) الذي لم يخاف للتزارينا
أمراً. وأبعد ايضا وزير الحرب ومُصح لوزير التربية والتعليم بالاستقالة.
وأضفى بروتوبوف جل وقته في التزاريكو سيلو اذ قيل انه كان مصمماً (على
السبر على نهج راسبوتين) وخلافته في الخطوة لدى التزار والتزارينا وأشاع
رودزيانكو قولاً ان بروتوبوف كان يعقد جلسات تحضير ارواح ويتلقى
التعليقات من روح راسبوتين.

في الأشهر الأولى من عام ١٩١٧، استمع رودزيانكو لخطبتين انقلابيتين
كانت اولها عندما عقد الجنرال (كريموف) اجتماعاً غير رسمي للدوما في منزل
رودزيانكو وأخبر الأعضاء أن الجيش يرى نفسه مهزوما طالما بقيت التزاريا
تمسك بزماس السلطة في روسيا وأضاف: «باتت الحاجة للإنتقال ملحّة جدّاً»،
فاجابه رودزيانكو انه لن يشجع قيام ثورة اطلاقاً. وبعد فترة ليست بالطويلة
تلقى دعوة من القرائدوق (ماري بافلوفا) - ارملة القرائدوق (فلاديمير) الذي
كان مسؤولاً عن اطلاق الرصاص في «يوم الأحد الدامي» - وأخبرته علانية أن
التزارينا (قد حان يوم حسابها) وهنا عبر رودزيانكو عن مخاوفه من فكرتها

ومصادر منزلها.

هذا اندلاع الثورة أمراً مقضياً وباتت كأنها رياح تلج عاصفة. فقبل هذا
اليوم وتحديدأ في شهر تشرين الاول فنحت الشرطة تيران اسلحتها على
متظاهرين ققتل أغلبهم. وبحلول كانون الثاني غدت التظاهرات وميراث
الاحتجاج أمراً معتاداً وبذل بروتوبوف جهده الجهد في قمعها واعتقال
اتصارها «واستورده» روحانيا اجنيا بعد أن لم يعتمد على نصائح روح راسبوتين.
وعانى الشعب الروسي من نقص الغذاء والوقود ومنحت طواير الناس المنتظرين
لقمة خبز المحرضين السياسيين ما يهدون من أعوان. ويتروجراد قد اكتظت
بالفرق القادمة المتظرة دورها صوب جبهات القتال بيد انها كانت على اتم
الاستعداد لمعاونة العمال إذا ما أمروا بقمع الثورة. وفي شباط من عام ١٩١٧
جاءه رودزيانكو في آخر مسعى له لإقناع التزار بضرورة التحرك من اجل
الشعب والملكية لكن القيصر بدا متعباً ولا مبالياً بل قد أدار أذناً صماء لقول
رودزيانكو أن فترة حكمه كانت برمتها سلوكية خاطئة طال أمدها. وهنا استدكر
رودزيانكو، وهو يسرد تفاصيل اللقاء، مقابلة اخرى له مع التزار سلمه فيها
تقارير مهمة فنظر نيقولا الى القضاة الذي امامه وقال: «كنت اليرم في
الغيبات... يا لكونها... ان المرء ليس فيها نتانة الماامرات ونفاة
الإنسان القلفة. لقد استشعرت روعي السلام... فالمره هناك اقرب
للطبيعة... اقرب الى الرب». وهذا القول يدل أن نيقولا كان راغباً عن أن
يكون حاكماً سبياً في عصر مضطرب كمصره. وكان سيكون اسمد لو كان رجلاً
ريفيأ يزعم أرضه ويتأبطا صلاحه.

كتب نيقولا في المصفحات الأولى من يومياته، والبلاد تسهلوى أمام

ناظرية: «مألعب الدومينا في اوقات فراغي».

اندلعت الثورة في العاصمة بيتروجراد في يوم الثلاثاء الموافق الثامن من آذار. فقد سادت القوضى بسبب نقص الخبز وعلم لاحقاً أن الخبز كان يكفي بيتروجراد لعدة ايام لكن العيب كان في سوء التوزيع. وبعد مضي يومين على ذلك فتحت الشرطة النار على تجمعات كانت تصرخ: «فلتقط المرأة الألمانية» اي التزارينا. وتزايد عدد القتلى في اليوم التالي. ثم تمردت كتية (فولونسكي) وقتلت احد ضباطها. وتتابع تمرد كتائب اخرى واقامت المتاريس في الطرقات. وفي الرابع عشر من الشهر ذاته قررت الدوما استغلال هذه الثغرة السياسية لتفرض تكوين حكومة مؤقتة. وقد كانت الثورة مشوشة وتفتقر للتنظيم. وكان فيها دور البلاشفة ضئيلاً جداً.

نصح القيصر بعد عودته مسرعاً الى التزاريسكوسيلو بالتخلي عن العرش. وحين لحق بزوجه أجبهش بالكاء امامها فقد احس للمرة الأولى في حياته أنه وحيد تماماً. ولما حاول بعد ذلك مغادرة القصر دفع به ستة جنود بمؤخرة اسلحتهم قائلين له: «ليس بمقدورك الذهاب من هذا الطريق ايها السيد الكولونيل»، وقد شامت التزارينا ذلك الموقف من النافذة... ولعل تلك اللحظة كانت اسوأ ما شهدته في حياتها.

ابتهج الألمان كثيراً لأبناء الثورة فهي تعني اجبار روسيا على عقد معاهدة سلام وفق شروطهم وهذا ما حدث فعلاً في العام التالي. وتم ارسال (لينين) من سويسرا الى روسيا بمساعدة كادر الماني وعابراً الأراضي الألمانية بقطار محكم الإغلاق حتى وصل المحطة الفنلندية في بيتروجراد في السادس عشر من نيسان

واستقبلته جموع حاشدة فقد امضى عشر سنوات في المنفى. والقى احد اعضاء «الطلبة السوفيت» كلمة رحب فيها بعودته ورد عليه لينين مرحباً «بالثورة المتصرة».

يبد ان نصر لينين لا يزال بعيداً. فكيريئسكي كان مسؤولاً عن الحكومة المؤقتة وتمرضت «الجبهة الثورية» للإتشفاق نتيجة الخلافات الدائرة بين صفوفها. لقد اراد لينين ان يطمئن أن لا عودة للنظام القديم البائد او أي نظام قريب له متذكراً درس فرنسا بعد الثورة الفرنسية ١٧٩٨. لكن البلاشفة أنفسهم لم يتأكدوا بعد أن روسيا ستفقد (ماركسية) بين عشية وضحاها. وانتهى الأمر أن أصدر كيريئسكي أمراً بالقبض على لينين الذي أجبر على السفر جوا الى فنلندا ثم عاد متكرراً في تشرين الأول. وفي الساعات الأولى من يوم السابع من تشرين الثاني ضرب البلاشفة ضربتهم واحتلوا المراكز المهمة في بيتروجراد ووقع الشيء ذاته في المدن الأخرى. ان الحرب الأهلية آتية بيد أن الثورة قد انتهت من ناحية أهدافها العملية.

في هذه الأثناء ظلت العائلة الملكية حبيسة قصر تزاريسكو سيلو. وعرضت عليها الحكومة البريطانية اللجوء السياسي وشرع كيريئسكي في تدبير خطابات رحيلها من روسيا ثم تمرد (ليود جورج) في بريطانيا على العرض فحبه الحكومة البريطانية.

لم يكن ثمة مبرر لحوف كبير لدى العائلة الملكية خلال الأشهر الأولى من الثورة. فقد سمحوا لها بمراسلة أصدقائها ومعارفها دون قيد، ودارت احاديث عن احتمالية ارسالها لليابان عبر سيبيريا فيما تعاطف معها كثيراً الضابط المسؤول

امر كيرينسكي في الثالث عشر من آب نقل التزار وعائلته لتوبولسك فاستقلوا قطاراً وعبروا تيومين ثم بقارب بخاري عبروا النهر مرووا بقريه واسيوتين (بوكروفسكو) . وقيل ان يطنوا ارض توبولسك ، كسبت التزارينا لصديقتها آنا فيروبوفا ، التي كانت سجنه في قلعة بير وبول ، رسالة قالت فيها : « ان روح صديقتنا المجيدة تنادينا . . . فلما رأوا منزل واسيوتين شحخت في الجو بنائية أهل من مثيلها طلت على ساحل النهر .

ومن سخرية القدر ان يكون اسقف توبولسك الكاهن هيروموجن الذي نفاء القيصر . وعندما حلت ذكرى تنويج نيقولا في الثالث من تشرين الثاني امر هيروموجن بقرع الأجراس في توبولسك .

كان زوج ماريا واسيوتين شابا غريب الأطوار وثيوصوفاً يدهى (بويس سولوفيف) . قرر هذا الرجل وزوجته المجازفة في انفاذ حياة التزار فلعبا متخفين لتوبولسك ووافق الأسقف هيروموجن على تقديم يد العون لهما . وتلخصت فكرتهم باهصال التزار وعائلته الى اقرب نقطة تمكنهم من الإنقاذ بالجيش الروسي الأبيض وهم الموالون الذين رفضوا القبول بالثورة . لكن التزار نفسه رفض الخطة وبدأ انه قد احتفظ حتى آخر ساعته بزعته العمل ضد ذاته . بل انه طلب ايضاً تعهداً بعدم اجباره على ترك الأراضي الروسية فهو لا يزال متآملاً في العودة لعرشه . وهو بذلك لم يكن مدركاً للخطر المحدث بحياته . ويوم موعده تنفيذ مؤامرة المروء أخبر هيروموجن جمعه أن أحدهم خدعهم فغادرت ماريا واسيوتين توبولسك الى بوكروفسكو فيما بقي القيصر على زوجها ثم

افرجوا عنه . غادرت ماريا وزوجها ارض روسيا الى برلين حيث ساعدهما سياتوفيتش - الذي سبقها بالقرار الى برلين وانتهى الأمر بهاريا واسيوتين راقصة في باريس بعد وفاة زوجها الذي تركها لتعيل طفلين .

تم نقل التزار في اواخر شهر نيسان الى (ايكاتيرينبرج) في جبال الأورال وقد قال عنها بيرس : « هي ريبا اشد المناطق بلشفية في كل ارجاء روسيا » وفي الطريق تم استبدال خيوله - لمتابعة الطريق - تحت نافذة منزل واسيوتين في بوكروفسكو ولحقت التزارينا وبقيّة افراد العائلة الملكية رب العائلة في ايار ، وكان مريض التزارفيتش سبب تأخرها في توبولسك .

وفي السادس عشر من تموز ابلغت العائلة بامر نقلهم الى مكان اخر في تلك الليلة نظراً لوجود قطعات تشيكوسلوفاكية عسكرية في الجوار (وقد احتلت تلك القطعات ايكاتيرينبرج في الخامس والعشرين من ذلك الشهر) . وفي تلك الليلة طلب اليهم التزول الى القبر . ويبدو أن شكاً لم يراود التزار البتة برغم امارات الكره التي ابداهها حيال سجانهم الجديد ويدهى (بوروفسكي) وهو يهودي من سيبيريا . وقد كتب القيصر في مذكراته : « هذا الشخص أقل من أحببنا في العالم » . وساعتها كان التزارفيتش جد مريض عجز حتى عن المشي فحملته اياه الذي اعطى كرمياً للجلوس عليه . ثم تقدم السجان يوروفسكي صوب القيصر وقال : « نيقولا اليكساندروفيتش : لقد حاول أتباعك تخريبك من قيدك وفشلوا . الآن حان لك أن تموت روسيا بالرصاص » صق التزار وقال « ماذا تقول ؟ » فاجابه يوروفسكي : « هذا » وأفرغ في صدر آخر القياصرة الرومانوفيين رصاص مسدسه ونجاوى أرضاً . ثم رسمت التزارينا الصليب على صدرها وهي شديدة اليقين بقرب حتفها وهذا ما حدث بعد ثوان من مقتل

زوجها حيث فتح الآخرون النار عليها ثم حل بناتها اللاتي وقمن على الأرض فقد تثقب الجدار من الأسفل. وقتل طبيب القيصر وطاعيه وحاولت الحادمة أن تسمي نفسها من الحراب بالوسائد وظلت تصارع حتى لفظت آخر أنفاسها. ويبدو أن أناستازيا قد هوجمت بقنقري بندقية ثم قُتلت بطعنة حربة. بيد أن امرأة أطلقت على نفسها لاحقاً اسم (أناستازيا) قالت إنها سقطت مفتشاً عليها وتظاهرت بالموت. وبينما كانت هذه الأحوال دائرة، كانت شاحنة تنتظر في الخارج لنقل الجثث وانتهى الأمر كله بقتل كلب الأطفال، أن حطموا رأسه برصاص بندقية.

ويذكر (فرانز شفيوبودا)، وهو أسير حرب سابق نمساوي الجنسية، سرد له في عام ١٩٣٨ أنه وزفلق له ساعداً في حمل الجثث للشاحنة وقد اعترت إحدى الجثث وكانت جثة أناستازيا، فغطياها بدثار ونجحا في حملها على حربة خارج السجن بدلا من الشاحنة المخصصة لحمل الجثث. حينها بدأت رحلتها الطويلة التي انتهت في برلين بعد ستين في محاولة انتحار وقد تسبب الإعلان عن شخصيتها في عطف عالمي على قدر آخر الرومانوفيين.

لا نملك حيزاً هنا لسرد قصة أنا ستازيا، غير أن بيرس يقول صراحة أنها مجرد مدعية كاذبة ويبدو أن التاريخ قد حكم عليها بذات التهمة أيضاً. ومع هذا، نقف لمصالحها براهين كثيرة جمع بعضها (رولاند كرج فون ندا) في سيرة حياتها أسماها «أنا... أناستازيا» ونمذوج واحد من هذه المذكرات سيغني بالمطلوب. وأعلن الكونت (كارل بوند)، الذي كان مرة رئيساً للبعثة السويدية للصليب الأحمر لسبيريا، في ملاحظات له نشرت عام ١٩٥٢:-

«بصفتي رئيساً للبعثة السويدية للصليب الأحمر لسبيريا، استقبلت في رحلتي عام ١٩١٨ قطاراً خاصاً. وفي مكان ما- لم تعد ذاكري اسمي للذكر اسمه- توقف القطار وبحثنا عن الفراندة أناستازيا ابنة التزار نيقولا الثاني. لكن أحداً لم يعرف مكان وجودها».

ومؤكد أن البلاشفة قد باسروا في تموز عام ١٩١٨ بحملات تفتيش واسعة أشارت جميع الدلائل أنها كانت بحثاً عن أناستازيا. وقد أيد (كيلياره) معلم التزارفيتش، أن المرأة التي ادعت نفسها أنا ستازيا هي نفسها أناستازيا، بعدها أنكر ذلك. ولم تتجع أنا ستازيا قط في إثبات هويتها أو في الحصول على ملايين الروبلات التي اودعها التزار في أمريكا تحسباً لأي طاريء. وإذا ما كانت المرأة التي ادعت هوية أناستازيا صادقة، على الأرجح، في زعمها فإن حكايتهن المأساوية ستكون نتيجة ملائمة جداً لتاريخ عائلة التزار التي وصفها أكثر من مؤرخ بأنها كانت موسومة بسوء الحظ.

ثم بعدها تدمير بقية الجثث بحامض الكبريت ورميت في حفرة عميقة. إن قدر التزار وعائلته لأجل مأساوية من بقية الرومانوفيين. فالفراندة (اليزابيث)، شقيقة التزارينا، نقلت إلى ألبينسك على مقربة من إيكاتيرينبرج مع الفراندة (سيرجيوس ميخيلوفيتش) وثلاثة من أبناء الفراندة (فستغلين) والابن الأصغر للفراندة (بول). وفي اليوم التالي للقتل يقولوا وعائلته تم رمي هؤلاء جميعاً في حفرة مهجورة أحياء باستثناء الفراندة سيرجيوس الذي حاول المقاومة. ثم القي الديناميت المتفجر وراءهم. وعندما أخرجت الجثث لاحقاً كانت جميع الرؤوس مهشمة وأشار تقرير طبي أنهم لم يموتوا في الحال بل ماتوا موتاً بطيئاً.

بعدها اعدم الكثير من القراندة بحجة «الإنظام» لموت (اوبنسكي) رئيس الشرطة السرية للبلاشفة ومحاولة اغتيال لينين على يد (دورا كابلان) وهو ثوري اشتراكي. كما اعدم العديد من الوزراء السابقين في نفس الوقت بعضهم ستورمر وماكلاكوف وبيلينسكي وبروتويوفوف وفوستوف (ابن الأخ)، وقبلهم مات كورميكين المعجوز خفياً على يد سواه الناس. وانتهى حال فوستوف وبيلينسكي - اللذان أصبحا لبعضهما ألد عدوين - في تزانة مشتركة شاركها فيها الثوري (بيرتيف)، والذي ساعده على الهرب لاحقاً المبتز ماتيلوف - اليد اليمنى لراسبوتين لنين هندية - ثم أعدمه البلاشفة مع الأمير أندرويكوف. وهذا وزير الحرب السابق بوليفانوف والجنرال بروسيلوف - الذي أوشك على الانتصار في الحرب عام ١٩١٦ - بلشقيين. وهزمت الكثير من الشخصيات القيادية في هذه القصة للعيش في كتب الدول الأخرى ومنهم رودزيانكو الذي توفي مدقعا في سيبيريا عام ١٩٢٤ والإمبراطورة (دواجر)، والدة التزار، التي عاشت في بريطانيا لفترة ماء، ومات يوريشكيش اثر اصابته بمرض التيفوئيد وهو يقاتل مع الجيش الأبيض في جنوب روسيا وكتب هو الآخر، شأنه في ذلك شأن يوسف، كتابا عن مقتل راسبوتين.

ربما كان يوسف هو الناجي الوحيد في هذه المأساة وظل على قيد الحياة دهرأ. وقد ثبت حقه في لقب «قاتل راسبوتين» في محكمة امريكية عندما قاضى يوسف فريق عمل في فيلم عن حياة راسبوتين، حيث صور الفيلم راسبوتين باعتصاف زوجة امير لقتله الأمير انتقاما لشرفه ولم يكن هذا «الأمير» يوسف اطلاقا، الا أن يوسف زعم في المحاكمة أن العالم عترفه قاتل راسبوتين وأن الفيلم لم يكن الا تشهيراً به فكسب القضية وجنى مالا وفيراً.

لم يذبح البلاشفة جثة راسبوتين راقدة في الساحة الملكية فنيشوا القبر وأحرقوا الكفن في محرقة كبيرة وقيل لذلك أن الجسد قد عانى من شدة هذا عناصر الطبيعة من الماء والتراب والنار والهواء.